

كتاب الأمان

للإمام الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٥٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني عشر

دار طاهر

بيروت

کتاب الاعجازی

12

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

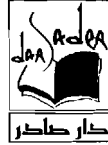
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AĠHĀNĪ 1/25
(*Abu al-Faraj al-Isphahānī*)

ISBN 9953-13-045-0

[197] - أخبار الأعشى وبنو عبد المدان وأخبارهم مع غيره¹

[كان الأعشى مثبناً وليد مجبراً]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن سيماك بن حرب عن يونس بن متي راوية الأعشى قال : كان ليبد مجبراً² حيث يقول :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
وكان الأعشى مثبناً³ حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالـ عدلٍ وولّى الملامة الرجلاً
فقلت له : من أين [أخذ] هذا ؟ فقال : أخذه من أساقفة نجران . وكان يعود⁴ في كل سنة إلى بني عبد المدان ، فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم وينادهم ، ويسمع من أساقفة نجران قولهم ؛ فكلُّ شيء في شعره منه هذا فمنهم أخذه .

خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ

فأما خبر مباہلتهم⁵ النبي ﷺ ، فأخبرني به علي بن العباس بن الوليد البجلي المعروف بالمقائعي الكوفي قال : أنبأنا بكار بن أحمد بن اليسع الهمداني قال حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب . قال بكار وحدثنا إسماعيل بن أبان العامري عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام ، وحدثه أتم الأحاديث . وحدثني [به] جماعة آخرون بأسانيد مختلفة والفاظ تزيد وتنقص : فمنّ حدثني به علي بن أحمد بن حامد التميمي قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن

- 1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1/257-266 والأغاني 9 : 80 والمرزباني 401-402 والمؤتلف 12 واللائي 83 والخزانة 1 : 83-86 وشعراء الجاهلية 357-399 والتذكرة الحمدونية 8 : 356-360 .
- 2 المجبر : الذي يقول بالمجير . وتقول الجبرية : إنه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسية ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .
- 3 مثبناً : من ثبت القدر .
- 4 ل : يفد .
- 5 المباہلة : الملاعة .

حيان بن علي [عن] الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه عن أبي رافع . وأخبرني علي بن موسى الحميمي في كتابه قال حدثنا جندل بن والقي قال حدثنا محمد بن عمر عن عبّاد الكلبي عن كامل [أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عباس . وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازة قال حدثنا أبي قال حدثنا حصين بن مخرق عن عبد الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عباس . قال الحصين وحدثني أبو الجارود وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر ، قال : وحدثني حمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام . قال حصين وحدثني سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس . وممن حدثني [أيضاً] بهذا الحديث علي بن العباس عن بكر عن إسماعيل بن أبان عن أبي أؤيس المدني عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن . وممن حدثني به أيضاً محمد بن الحسين الأشثاني قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام . وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفي عن محمد بن عمرو الخشاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبي ، واللفظ للحديث الأول . قالوا : قديم وقد نصارى نجران وفيهم الأسقف ، والعاقب وأبو حبش ، والسيد ، وقيس ، وعبد المسيح ، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ، وقال شهر بن حوشب في حديثه : وهم أربعون جبراً ، حتى وقفوا على اليهود في بيت المدراس ، فصاحوا بهم : يا ابن صورياً يا كعب بن الأشرف ، انزلوا يا إخوة القروء والخنازير . فنزلوا إليهم ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة [قد غلبكم !] أحضروا الممتحنة [لنمتحنه] غداً . فلما صلى النبي ﷺ الصبح ، قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدّمهم الأسقف فقال : يا أبا القاسم ، موسى من أبوه ؟ قال : عمران . قال : فيوسف من أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فانت من أبوك ؟ قال : أبي عبد الله بن عبد المطلب . قال : فعيسى من أبوه ؟ فسكت رسول الله ﷺ وآله ؛ فانقضّ عليه جبريل عليه السلام فقال : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ فتلاها رسول الله ﷺ ؛ فنزأ الأسقف ثم دير به معشياً عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبي ﷺ فقال [له] : أتزعّم أنّ الله جلّ وعلا أوحى إليك أنّ عيسى خلق من تراب ! ما نجد هذا فيما أوحى إليك ، ولا نجدّه فيما أوحى إلينا ؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أوحى إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا

وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَّهْلُ فَجَعَلُ لَعَنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾ . فقال : أنصفتنا يا أبا القاسم ، فمتى نُبَاهِلُكَ ؟ فقال : بالعادة إن شاء الله تعالى . وانصرف النصارى ، وانصرفت اليهودُ وهي تقول : والله ما نُبالي أَيُّهما أهلك الله الحَنيفِيَّةُ أو النصرانيَّةُ . فلَمَّا صارت النصارى إلى بيوتها قالوا : والله إنكم لتعلمون أنه نبيُّ ، ولئن باهلناه إِنَّا لنخشى أن نَهْلِكَ ، ولكن استَقِيلُوهُ لَعَلَّه يُقِيلُنَا . وغدا النبيُّ ﷺ من الصُّبْحِ وغدا معه بعليُّ وفاطمة والحَسَنُ والحُسَيْنُ صلواتُ الله عليهم . فلَمَّا صَلَّى الصبح ، انصرف فاستقبل الناس بوجهه ، ثم برك باركاً ، وجاء بعليُّ فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتْفَيْهِ ، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه ، وجاء بحُسَيْنٍ فأقامه عن يساره . فأقبلوا يستترون بالخَشْبِ والمسجد فَرَقًا أَنْ يبدَأَهُم بالمباهلة إذا رَأَاهُمْ ، حتى برَكوا بين يديه ، ثم صاحوا : يا أبا القاسم ، أَقِلْنَا أَقْلَكَ اللهُ عَثْرَتِكَ . فقال النبيُّ ﷺ : نعم ، قال : ولم يُسأل النبيُّ ﷺ شيئاً قطُّ إِلَّا أعطاه ، فقال : قد أَقَلْتُمْكُمْ [فَوَلُّوا] . فلَمَّا وَلُّوا قال النبيُّ ﷺ : «أَمَا وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لو باهلتُهُم ما بَقِيَ على وجه الأرض نَصْرَانِيٌّ ولا نَصْرَانِيَّةٌ إِلَّا أَهْلَكَهُم اللهُ تعالى» . وفي حديث شهر بن حَوْشَبٍ أَنَّ العاقب وثب فقال : أَذْكَرُكُمْ اللهُ أَنْ نُلَاعِنَ هذا الرجل ! فوالله لئن كان كاذباً ما لَكُم في مَلَاعِنَتِهِ خيرٌ ، ولئن كان صادقاً لا يَحُولُ الحَوْلُ ومنكم نافعُ ضَرْمَةَ¹ . فصالحوه ورجعوا .

[خبر قبة نجران]

وَأَمَّا خَبْرُ القُبَّةِ الأَدَمِ التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمِّي وحبیبُ بن نصر المَهْلَبِيُّ قالَا حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي عليُّ بن عمرو الأنصاريُّ عن هشام بن محمد عن أبيه قال : كان عبد المسيح بن دارسِ بن عَرَبِيِّ بن مُعَيْقِرٍ² من أهل نَجْران ، وكانت له قُبَّةٌ من ثلاثمائة جِلْدٍ أديم ، وكان على نهر بنجران يقال النَحِيرْدَانُ . قال : ولم يَأْتِ القُبَّةَ خائفٌ إِلَّا أَمِنَ ، ولا جائعٌ إِلَّا شَبِعَ ؛ وكان يَسْتَعْلِجُ من ذلك النهر عشرة آلاف دينار ، [وكانت القُبَّةُ تستغرق ذلك كله] . وكان أوَّلُ مَنْ نزل نَجْران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المدان [ابن الدَيَّان . وذلك أَنَّ عبد المسيح بن دارسِ زَوْجَ يزيد بن عبد المدان] ابنته رُهَيْمَةَ ، فولدت له عبد الله بن يزيد ؛ فهم بالكوفة . ومات عبد المسيح ، فانتقل ماله إلى يزيد ؛ فكان أوَّلَ حَارِثِيٍّ حَلَّ في نَجْران . وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة : [من المتقارب]

فكعبَةُ نَجْرانَ حَتَمَ عَلَيَّ لِكِ حَتَّى تُناخِي بأبوابِها

1 الضرمه : الجمرة ؛ يقال : ما في الدار نافع ضرمه ، أي ما فيها أحد وهنا مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 269/3 «ما بها نافع ضرمه» يعني بالمثل ما في الدار من أحد .

2 ل : معيفر .

نورُ يزيدَ وعبدَ المسيحَ وقيساً همُ خيرُ أربابِها

[خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أمية بن الأسكر فزوجها ليزيد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثني عَمِّي عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حَدَّثني بعضُ بني الحارث بن كعب ، [و] أخبرني عَمِّي قال حَدَّثني عبد الله بن أبي سعد] قال حَدَّثني عبد الله بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال : اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسمِ عكاظ ، وقَدِمَ أمية بن الأسكر الكِنَاني ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها ، فحطَّبهَا يزيدُ وعامرٌ . فقالت أمُّ كلابِ امرأةُ أمية بن الأسكر : مَنْ هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان بن الديان ، وهذا عامرُ بن الطفيل . فقالت : أعرِف بني الديان ولا أعرِف عامراً . فقال : هل سَمِعْتَ بملاعبِ الأسنَّة¹ ؟ فقالت نعم . قال فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيد فقال : يا أمية ، أنا ابن الديان صاحبُ الكَثيبِ ، ورئيس مَدحِج ، ومُكَلِّم العُقَاب ، وَمَنْ كان يُصَوِّبُ أصابعه فتنطِفُ² دماً ، ويدلُّك راحتيه فتخرجان ذهباً ، فقال أمية : بَخِ بَخِ . [فقال عامر : جَدِّي الأخرم ، وعمِّي مُلاعبُ الأسنَّة ، وأبي فارسُ قُرْزُل . فقال أمية : بَخِ بَخِ] مرعى ولا كالسعدان³ . فأرسلها مثلاً . فقال يزيد : يا عامرُ ، هل تعلم شاعراً من قزمية رحل بمدحية إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللهم لا . قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُردٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكنٌ يمانٍ ؟ قال لا . قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال نعم . فنهض يزيد وأنشأ يقول :

أُمِّي يا ابنَ الأسكرِ بنِ مُدْلِجٍ لا تَجْعَلَنَّ هَوَازِنَا كَمَدْحِجٍ
إِنَّكَ إِنْ تَلَهَجَ بِأَمْرِ تَلَجَجٍ ما النبع في مَعْرِيسِهِ كالعوسج⁴
ولا الصرَّيْحُ المَحْضُ كالمَمْرَجِ⁵

1 هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سَمِّي بملاعبِ الأسنَّة لقول أوس بن حجر فيه :

فلاعب أطراف الأسنَّة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

2 تنطف : تقطر .

3 مرعى ولا كالسعدان مثلٌ يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ، وقد روى المفضل أن هذا المثل لامرأة من طيء وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكندي وكان مفرطاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأول فقالت : «مرعى ولا كالسعدان ، فصل المقال للبكري 199 .

4 النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام ، ينبت في قُل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .

5 الصريح : الخالص من كل شيء .

قال : فقال مرة بن دودان النفيلي وكان عدواً لعامر : [من الرجز]

يا ليت شعري عنك يا يزيد
 ماذا الذي من عامر تريد
 لكل قوم فخركم عبيد
 أمطلقون نحن أم عبيد
 لا بل عبيد زادنا الهبيد¹

قال : فروج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا للرجال لطارق الأحران
 ولعامر بن طفيل الوسنان
 كانت إتاوة قوميه لمحرق
 زمناً وصارت بعداً للنعمان²
 عدّ الفوارس من هوازن كلها
 فخرأ علي وجئت بالديان
 فإذا لي الشرف المتين بوالد
 ضخم الدسيعة زانتي ونماني³
 يا عامم إنك فارس ذو ميعة
 غص الشباب أخو ندى وقيان⁴
 واعلم بأنك بابن فارس قرزل
 دون الذي تسعى له وتُداني
 ليست فوارس عامر بمقرة
 لك بالفضيلة في بني عيلان
 فإذا لقيت بني الحماس ومالك
 وبني الضباب وحي آل قنان⁵
 فاسأل عن الرجل المنوة باسمه
 والدافع الأعداء عن نجران
 يُعطي المقادة في فوارس قوميه
 كرمأ لعمرك والكريم يماني

فقال عامر بن الطفيل : [من الكامل]

عجباً لواصف طارق الأحران
 ولما يجيء به بنو الديان
 فخرُوا علي بحبوة لمحرق
 وإتاوة سيقت إلى النعمان⁶
 ما أنت وابن محرق وقبيله
 وإتاوة اللخمي في عيلان
 فاقصد بفخرك قصداً قومك قصرة
 ودع القبائل من بني قحطان

1 الهبيد : حب الخنظل .

2 محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال له المحرق الأكبر ، وعمرو بن هند يقال له المحرق الثاني . ولقب به أيضاً الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .

3 الدسيعة هنا : العطية .

4 ميعة كل شيء : أوله .

5 الحماس ، والضباب ، وقنان : قبائل من مذحج .

6 الحيوه (مثلثة الحاء) : العطية .

إِنْ كَانَ سَالِفَةُ الْإِتَاوَةِ فِيكُمْ أَوْلَا فَفَخْرُكَ فَخْرُ كُلِّ يَمَانِي
وَأَفْخَرُ بَرَهْطِ بَنِي الْحِمَاسِ وَمَالِكِ وَبَنِي الضُّبَابِ وَزَعْبَلِ وَقَنَانِ
فَأَنَا الْمُعْظَمُ وَابْنُ فَارِسِ قُرْزُلِ وَأَبُو بَرَاءِ زَانَنِي وَنَمَانِي
وَأَبُو جُزَيْءٍ ذُو الْفَعَالِ وَمَالِكِ مَنَعَا الدَّمَارَ صَبَاحَ كُلِّ طِعَانِ
وَإِذَا تَعَاظَمَتِ الْأُمُورَ هَوَازُنُ كُنْتُ الْمُنَوَّةَ بِاسْمِهِ وَالْبَانِي

[طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديان فأنى]

فَلَمَّا رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى بَنِي عَامِرٍ ، وَثَبُّوا عَلَى مُرَّةَ بْنِ دُودَانَ وَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ،
وَأَنْتَ شَاعِرٌ ، وَلَمْ تَهْجُ بَنِي الدِّيَّانِ ؛ فَقَالَ مُرَّةٌ :
[من الوافر]

تُكَلِّفُنِي هَوَازُنُ فَخْرَ قَوْمِ يَقُولُونَ : الْأَنَامُ لَنَا عَيْدُ
أَبُونَا مَذْحِجٍ وَبَنُو أَبِيهِ إِذَا مَا عُدَّتِ الْآبَاءُ هُودُ¹
وَهَلْ لِي إِنْ فَخَرْتُ بِغَيْرِ حَقِّ مَقَالٍ وَالْأَنَامُ لَهُمْ شُهُودُ
فَأَنِّي تَضْرِبُ الْأَعْلَامَ صَفْحًا عَنِ الْعَلِيَاءِ أَمْ مَنْ ذَا يَكِيدُ
فَقُولُوا يَا بَنِي عَيْلَانَ كُنَّا لَهُمْ قِنًا ، فَمَا عَنْهَا مَحِيدُ

[معاودة في مجلس ابن جفنة]

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ : قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانَ وَعَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرُبُ وَمَكْشُوحُ
الْمُرَادِيِّ عَلَى ابْنِ جَفْنَةَ زُورًا ، وَعِنْدَهُ وَجْهٌ قَيْسٍ : مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ
عَمْرُو بْنِ الصَّعْقِ ، وَدُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ . فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانَ : مَاذَا كَانَ يَقُولُ الدِّيَّانُ
إِذَا أَصْبَحَ فَإِنَّهُ كَانَ دَبَّانًا² . فَقَالَ : كَانَ يَقُولُ : آمَنْتُ بِالَّذِي رَفَعَ هَذِهِ (يَعْنِي السَّمَاءَ) ، وَوَضَعَ
هَذِهِ (يَعْنِي الْأَرْضَ) ، وَشَقَّ هَذِهِ (يَعْنِي أَصَابِعَهُ) ، ثُمَّ يَخِرُّ سَاجِدًا وَيَقُولُ : سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي
خَلَقَهُ وَهُوَ عَاشِمٌ³ ، وَمَا جَشَّ مَنِّي مِنْ شَيْءٍ فَإِنِّي جَاشِمٌ . فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ : [من الرجز]
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ : إِنَّ هَذَا لَذُو دِينٍ ، ثُمَّ مَالَ عَلَى الْقَيْسِيِّينَ وَقَالَ : أَلَا تَحَدِّثُونِي عَنْ هَذِهِ
الرِّيَاحِ : الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ وَالذُّبُورِ وَالصَّبَا وَالتَّكْبَاءِ ، لِمَ سُمِّيَتْ بِهِذِهِ الْأَسْمَاءِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَعْيَانِي
عِلْمُهَا ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذِهِ أَسْمَاءٌ وَجَدْنَا الْعَرَبَ عَلَيْهَا لَا نَعْلَمُ غَيْرَ هَذَا فِيهَا . فَضَحِكَ يَزِيدُ بْنُ

1 هود : جمع هائد ، وهو الراجع إلى الحق .

2 الديان هنا : الحاكم والسائس والقاضي .

3 العاشم : الطامع .

عبد المدان ثم قال : يا خيرَ الفتيان ، ما كنتُ أَحْسِبُ أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر . إنَّ العرب تضرب أبياتها في القيلة مطَّع الشمس ، لتُدْفِئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف . فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هَبَّ عن شماله فهي الشَّمال ، وما هَبَّ من أمامه فهي الصِّبَا ، وما هَبَّ من خلفه فهي الدُّبُور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكباء . فقال ابن جفنة : إنَّ هذا لِلْعِلْمِ يا ابن عبد المدان .

[سأل ابن جفنة القيسين عن النعمان بن المنذر فعابوه]

وأقبل على القيسين يسألهم عن النعمان بن المنذر . فعابوه وصغروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خيرَ الفتيان . ليس صغيراً من منعك العراق ، وشركك في الشام ، وقيل له : أبيت اللعن ، وقيل لك : يا خيرَ الفتيان ، وألقى أباه ملكاً كما ألفت أباك ملكاً ؛ فلا يسرك من يغررك ، فإن هؤلاء لو سألم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه . وإيمُ الله ما فيهم رجلٌ إلا ونعمةُ النعمان عنده عظيمة ! فعضب عامرُ بن مالك وقال له : يا ابن الديان ، أما والله لتحتلبن بها دماً ! فقال له : ولم ؟ أزيد في هوازن من لا أعرفه ؟ فقال : لا ، بل هم الذين تعرف . فضحك يزيد ثم قال : ما لهم جمرة بني الحارث ، ولا فتك مُراد . ولا بأسُ زبيد ، ولا كيدُ جعفي ، ولا مغارُ طيء . وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيراً قط ، ولا اشتهدنا حُرَّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً [حتى] نبيء¹ به . وإن هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم ، حتى يُقتل السميُّ بالسَّميِّ . والكنيُّ بالكنيِّ ، والجارُّ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسين شعراً غدا به على ابن جفنة :

[من الطويل]

تَمالاً على النعمان قومٌ إليهم	مَوارِدُهُ في مُلكِهِ ومَصادِرُهُ
على غيرِ ذنبٍ كان منه إليهم	سِوى أَنَّهُ جادت عليهم مَواظِرُهُ
فباعدهم من كل شرٍّ يخافه	وقربهم من كل خيرٍ يُيادِرُهُ
فظنوا ، وأعراضُ الظنون كثيرة ،	بأن الذي قالوا من الأمر ضائرة ²
فلم ينقصوه بالذي قيل شعرة	ولا فُللتُ أنيابُهُ وأظافِرُهُ
وللحارثُ الجفنيُّ أعلمُ بالذي	ينوءُ به النعمانُ إن خَفَّ طائرُهُ ³
فيا حارٍ كم فيهم لنعمانِ نعمة	من الفضلِ والمنِّ الذي أنا ذا كِرُهُ

1 أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

2 الظنون في ل : المنون .

3 خفَّ طائر فلان إذا استخف واستفز ، ويقال عكس ذلك سكن طائر فلان أو وقع إذا كان وقوراً .

ذُوباً عَفَا عَنْهَا وَمَالاً أَفَادَهُ وَعَظْماً كَسِيراً قَوْمَتَهُ جَوَابِرَهُ
ولو سألَ عنكَ العَابِئِينَ ابْنَ مُنْذِرٍ لِقَالُوا لَهُ الْقَوْلَ الَّذِي لَا يُحَاوِرُهُ

قال : فلما سمع ابنُ جفنةَ هذا القولَ عظمَ يزيدَ في عينه ، وأجلسه معه على سريره ، وسقاه بيده ، وأعطاه عطيةً لم يُعْطِهَا أحداً مِّنْ وَفَدَ عَلَيْهِ قَطُ .

[استشفع رجل إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له]

فلما قَرَّبَ يزيدُ رُكائبَهُ ليرتَحَلَ سَمِعَ صوتاً إلى جانبِهِ ، وإذا هو رجلٌ يقولُ : [من المتقارب]

أَمَّا مِنْ شَفِيعٍ مِنَ الزَّائِرِينَ يُحِبُّ الشَّا زَنْدَهُ ثاقِباً
يُرِيدُ ابْنَ جَفْنَةَ إِكْرَامِهِ وَقَدْ يَمْسَحُ الضَّرَّةَ الحَالِبُ
فَيُنْقِذُنِي مِنْ أَظْفِيرِهِ وَالْأ فَائِي غَداً ذَاهِبُ
فَقَدْ قَلْتُ يَوْمًا عَلَى كُرْبِيَةِ وَفِي الشَّرْبِ فِي يَثْرِبِ غَالِبُ
أَلَا لَيْتَ غَسَّانَ فِي مُلْكِهَا كَلْخَمٍ ، وَقَدْ يُخْطِئُ الشَّارِبُ
وَمَا فِي ابْنِ جَفْنَةَ مِنْ سُبَّةٍ وَقَدْ خَفَّ حَلْمِي بِهَا العَازِبُ
كَأَنِّي غَرِيبٌ مِنَ الأَبْعَدِينَ وَفِي الحَلْقِ مَنِّي شَجًّا نَاشِبُ

فقال يزيد : عليّ بالرجل ، فأتى به . فقال : ما خطبُك ؟ أنت تقول هذا الشعر ؟ قال : لا ! بل قاله رجلٌ من جُذامَ جفاه ابن جفنة ، وكانت له عند النعمان منزلةً ، فشرّب فقال على شرايه شيئاً أنكره عليه ابن جفنة فحبسه ، وهو مُخرجهُ غداً فقاتله . فقال [له] يزيد : أنا أغنيك . فقال له : ومن أنت حتى أعرفك ؟ فقال : أنا يزيد بن عبد المدان . فقال : أنت لها وأبيك ؟ قال : أجل ! قد كفيْتُك أمرَ صاحبك ، فلا يسمعنك أحدٌ تُنشدُ هذا الشعر . وغداً يزيد على ابن جفنة ليُودِّعه ؛ فقال له : حيّك الله يا ابن الديان ! حاجتكَ . قال : تُلجِقُ قُضاعةَ الشامِ [بغسان] ، وتُؤثِرُ مَنْ أتاكَ من وفودِ مَذْحِجٍ ، وتَهَبُ لِي الجُذامِيّ الذي لا شَفِيعَ له إلّا كرمك ، قال : قد فعلتُ . أما إنِّي حبستُه لأهبه لسيد أهل ناحيتك ، فكنت ذلك السيد ، ووهبه له . فاحتمله يزيد معه ، ولم يزل مُجاوِراً له بنجرانَ في بني الحارث بن كعب . وقال ابن جفنة لأصحابه : ما كانت يميني لَتْفِي إلّا بقتله أو هبته لرجلٍ من بني الديان ؛ فإن يميني كانت على هذين الأمرين . فعظم بذلك يزيدُ في عين أهل الشام ونبه ذكره وشرفه .

[استغاث هوازني يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه]

وقال ابن الكلبي في هذه الرواية عن أبيه : جاورَ رجَلان من هَوازَن ، يقال لهما عمرو وعامر ، في بني مُرّة بن عَوف بن ذُبيان ، وكانا قد أصابا دماً في قومهما . ثم إن قيس بن عاصم المِنقرِي أغار على بني مُرّة بن عوف بن ذُبيان ، فأصاب عامراً أسيراً في عِدّة أسارى كانوا عند بني مُرّة ، ففدَى كلُّ قومٍ أسيرهم من قيس بن عاصمٍ وتركوا الهَوازِنيّ ، فاستغاث أخوه بوجوه بني مُرّة : سِنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحُصين بن الحُمام فلم يُغيثوه ، فركب إلى موسم عكاظ ، فأتى منازلَ مَذحِجٍ ليلاً فنادى : [من الطويل]

دعوتُ سِناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً	وعاليتُ دَعوى بالحُصينِ وهاشمِ
أغيّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ	بتركِ أسيرٍ عند قيسِ بنِ عاصمِ
حَليفهمُ الأذنى وجارِ بيوتهم	ومَن كانَ عما سرّهم غيرَ نائمِ
فَصمُّوا وأحَدتُ الزمانِ كثيرةً	وكَم في بني العَلاتِ من مُتصامِمِ ¹
فيا ليتَ شعري منَ لإطلاقِ غلِهِ	ومَن ذا الذي يَحظى به في المَواسِمِ

قال : فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات : [من المتقارب]

ألا أيُّ هذا الذي لم يُجَب	عليك بحَيِّ يُجلِّي الكُرب
عليك بذا الحيّ من مَذحِجٍ	فإنهمُ للرُضا والغَضبِ
فنادِ يزيدَ بنَ عبدِ المَدانِ	وقيساً وعمرو بنَ مَعديكَربِ
يَفكُّوا أخاكَ بأموالهم	وأقلِّلَ بِمِثلهمُ في العَربِ
أولاكَ الرؤوسُ فلا تَعُدُّهمُ	ومَن يجعلُ الرأسَ مثلَ الذَّنْبِ

قال : فاتبع الصوت فلم يرَ أحداً ، فغدا على المكشوح ، واسمه قيس بن عبد يَعوثَ المراديّ ، فقال له : إني وأخي رجَلان من بني جُشم بن معاوية أصبنا دماً في قومنا ، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مُرّة وأخي فيهم مُجاوِرٌ فأخذهُ أسيراً ، فاستغثتُ بسِنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني . فأتيت الموسم لأصيب به من يَفكُ أخي ، فانتهيت إلى منازل مَذحِجٍ ، فناديتُ بكذا وكذا ، فسمعت من الوادي صوتاً أجنبي بكذا وكذا ، وقد بدأتُ بك لِتفكُ أخي . فقال له المكشوح : والله إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطُّ ولا هو لي بجار ، ولكن اشترِ أخاك منه وعليّ

1 بنو العَلاتِ : بنو أمهات شتى من أبٍ واحد .

الثلث ، ولا يَمْنَعُكَ غَلَاؤُهُ . ثم أتى عمرو بن مَعْدِيكَرْب فقال له مثل ذلك ؛ فقال : هل بدأت بأحد قبلي ؟ قال : نعم ؛ بقيس المكشوح . قال : عليك بمن بدأت به . فتركه ، وأتى يزيد بن عبد المَدان فقال له : يا أبا النَّضْر ، إن من قِصَّتِي كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أبعثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإن هو وهب لي أخاك شكرته ، وإلا أغرتُ عليه حتى يَتَّقِيَنِي بِأَخِيكَ ، فإن نلتها وإلا دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بنَجْران فاشتريتُ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسلَ يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات : [من البسيط]

يا قَيْسُ أُرْسِلُ أَسِيرًا مِنْ بَنِي جُشَمٍ إِنِّي بِكُلِّ الَّذِي تَأْتِي بِهِ جَازِي
لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أَنْ تَشْجِي بَعْصَتِهِ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِيكَ إِحْمَادِي وَإِعْزَازِي
فَأفْكَكَ أَخَا مَنَقَرٍ عَنْهُ وَقُلُّ حَسَنًا فِيمَا سُئِلْتَ وَعَقَّبَهُ بِإِنْجَازِي

قال : وبعث بالأبيات رسولا إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إياها ، ثم قال [له] : يا أبا علي ، إن يزيد بن عبد المَدان يقرأ عليك السلام ويقول لك ، إن المعروف قروض ، ومع اليوم غدٌ . فأطلق لي هذا الجُشَمِي ؛ فإن أخاه قد استغاث بأشراف بني مرة وبعمرو بن مَعْدِيكَرْب وبمكشوح مُرادٍ فلم يُصِيبْ عندهم حاجته فاستجار بي . ولو أرسلت إلي في جميع أسارى مُضَرَّ بنَجْران لقضيتُ حقك . فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بني تميم : هذا رسولُ يزيد بن عبد المَدان سيّد مدحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فرصة لكم ، فما ترون ؟ قالوا : نرى أن نُعَلِّبَهُ عليه ونَحْكُمُ فيه شَطَطًا ؛ فإنه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أما تخافون سِجَالَ الحروب ودَوَلَ الأيام ومجازاة القروض ! فلما أبوا عليه قال : يبعونيه ، فأغلوهُ عليه ، فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أن الأسير لو كان في يده أو في بني مَنَقَرٍ لأخذه وبعث به ، ولكنه في يد رجل من بني سعد . فأرسل يزيد إلى السعدي أن سير إلي بأسيرك ولك فيه حُكْمُكَ . فأتى به السعديُّ يزيد بن عبد المَدان ؛ فقال له : احتكم . فقال : مائة ناقة ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنك لقصير الهمة قريب الغنى جاهلٌ بأخطار بني الحارث . أما والله لقد غبتك يا أبا بني سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنه على جُلِّ أموالنا ، ولكنكم يا بني تميم قومٌ قصار الهِمَم . وأعطاه ما احتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْران .

[أغار عبد المَدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر]

وقال ابن الكلبي : أغار عبدُ المَدان على هوازن يوم السلف¹ في جماعة من بني الحارث بن

كعب ، وكانت حُمته¹ على بني عامر خاصة . فلما التقى القوم حمل على وبر بن معاوية النُميري فصرعه ، وثنى بطفيل بن مالك فأجره² الرمح ، وطار به فرسه قُرْزُلُ فنجأ ، واستحرق القتلُ في بني عامر ، وتبعَت خيلُ بني الحارث من انهزم من بني عامر ، وفي هذه الخيل عُميرٌ ومَعْقِلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب ، فلم يزلوا بقية يومهم لا يُبقون على شيء أصابوه . فقال في ذلك عبد المدان :

عفا من سُلَيْمى بطنُ غَوْلٍ فَيَذْبُلُ فَعَمْرَةٌ فَيَفِ الرِّيحُ فَاَلْمُنْخَلُ³
ديارُ التي صاد الفؤادُ ذلالُها وأغرَّت بها يوم النوى حين ترحلُ
فإن تكُ صدتُ عن هَوَايَ وراعها نوازلُ أحداثٍ وشيبٌ مُجَلَّلُ
فيا رَبَّ خيلٍ قد هدَّيتُ بِشَطْبَةِ يُعارضُها عَبلُ الجُزارةِ هَيْكَلُ⁴
سَبُوحٍ إذا جالَ الحِزامُ كأنه إذا انجابَ عنه النَّعْ في الخيلِ أجْدَلُ
يُواغِلُ جُرْداً كالقنفا حارثيةً عليها قَنانٌ والحِماسُ وزَعْبِلُ⁵
معاقلُهم في كلِّ يومٍ كريهة صدورُ العوالي والصَّفِيحُ المَصْقَلُ
وزغفٌ من الماضي بيضٌ كأنها نِهاءٌ مرَّتها بالعَشِيَّاتِ شَمالُ⁶
فما ذرَّ قرنُ الشمسِ حتى تلاحقتُ فوارِسُ يَهْدِيها عُميرٌ ومَعْقِلُ
فجالتُ على الحيِّ الكلابيِّ جولةً فباكرُهمُ ورْدٌ من الموتِ مُعْجَلُ
فغادرنَ وِراً تَحْجُلُ الطيرُ حوله ونجى طفيلاً في العجاجةِ قُرْزُلُ
فلم ينجُ إلا فارسٌ من رجالهم يُخَفِّفُ ركضاً خشيةَ الموتِ أَعزَلُ

وليزيد بن عبد المدان أخباراً مع دُرَيْدِ بن الصَّمَّةِ قد ذكرتُ مع أخبار دُرَيْدِ في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء ، فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع .

1 الحمة : الشدة .

2 أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه بجرة .

3 غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعله اسم لعدة مواضع . ويذبل : جبل بنجد . غمرة ، وفيه الرمح ، والمنخل : مواضع .

4 الشطبة (بالكسر والفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . عبل الجزيرة : ضخم الأطراف .

5 يواغل جرداً : يداخلها . الحماس ، وقنان ، وزعبل : قبائل .

6 الزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة للسلاسل والماضي هنا : السلاح من الحديد . ونهاة جمع نهى : غدران .

[أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنّة وأخيه فلمّا مات رثته أختهما]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السُّكْرِيّ قال حدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عبيدة وابن الكلبيّ ، قالوا : أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب على بني عامر ، فأسر عامر بن مالك مُلاعِبَ الأسنّةِ أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما . فلمّا مات يزيد بن عبد المدان ، واسمُ عبدِ المدانِ عمرو ، وكنيته أبو يزيد ، وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ، قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت مُلاعِبِ الأسنّةِ ترثي يزيد بن عبد المدان :

بكيّت يزيدَ بن عبد المدا نِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالها
شريكُ الملوكِ ومنَ فضله يَفْضُلُ في المجدِ أفضالها
فككّت أسارى بني جعفر وكِنْدَةَ إذ نلتَ أقوالها
ورَهطُ المُجالِدِ قد جَلَّتْ فواضلُ نِعْماكُ أجمالها

[من المتقارب] وقالت أيضاً ترثيه :

سأبكي يزيدَ بنَ عبد المدان على أنه الأحلمُ الأكرمُ
رِماحُ من العزمِ مركوزة ملوكُ إذا برزتَ تحكُمُ

قال : فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكت يزيد ؛ فقالت زينب :

ألا أيُّها الزاري عليّ بأنني زارئةُ أبكي كريماً يمانيا
وما لي لا أبكي يزيدَ وردني أجرُ جديداً مدرعي وردايا

صوت

[من الطويل]

أطلُّ حَمَلَ الشنّاءِ لي وبُغْضِي وعِشْ ما شِئتَ فانظُرْ منَ تَصْويرُ
إذا أبصرتني أعرضت عني كأنَّ الشمسَ من قِلي تَدورُ

الشعر لعبد الله بن الحشرج الجعدي . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أولٌ بالنصر عن الهشامي .

[198] - أخبار عبد الله بن الحشرج

[نسبه]

هو عبدُ الله بن الحشرج بن الأشهب بن وُرد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وكان عبد الله بن الحشرج سيِّداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها ، ولي أكثر أعمال خراسان ، ومن أعمال فارس ، وكرمان . وكان جواداً مُمدحاً . وفيه يقول زيادُ الأعجم :

[إِنَّ السَّمَاةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةِ ضُرَيْتٍ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
وله يقول أيضاً:]

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ السَّمَاةِ وَالنَّدَى فَسَائِلُ تُخَبِّرُ عَنْ دِيَارِ الْأَشْهَبِ
نسبه إلى الأشهب جدّه . وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة :

أَبْعَدَ فَوَارِسٍ يَوْمَ الشُّرَيْدِ فِ آسَى وَبَعْدَ بَنِي الْأَشْهَبِ¹
[بعض أخبار أبيه وعمّه زياد]

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيِّداً شاعراً وأميراً كبيراً . وكان غلب على قهستان² في زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبد الله بن خازم المُسيَّب بن أوفى القشيري ، فقتل الحشرج وأخذ قهستان . وكان عمّه زياد بن الأشهب أيضاً شريفاً سيِّداً ، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، يُصلح بينه وبين معاوية على أن يُؤلِّيه الشام فلم يُجبه . وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتدّ على معاوية :

وَقَامَ زِيَادٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ يُرِيدُ صِلَاحًا بَيْنَكُمْ وَيُقَرِّبُ

[مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثنا العُمريّ عن عطاء بن مُصعب عن عاصم بن الحدّان قال : جاء إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقهستان رجلاً من قشيريّ يقال له قدامة بن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

1 الشريف : ماء لبني نعيم . ويوم الشريفة من أيامهم .

2 قهستان : موضع ببلاد العجم ، وأكثر ما تستعمل : قوهستان .

أَخْ وَابْنُ عَمِّ جَاءَ كَمْ مُتَحَرِّمًا بِكُمْ فَارَابُوا خَلَائِثِهِ يَا ابْنَ حَشْرَجٍ
فَأَنْتَ ابْنُ وَرْدٍ سُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ مَعَدًّا عَلَى رَغَمِ الْمُنُوطِ الْمُعْلَهَجِ¹
فَبَرَزْتَ عَفْوًا إِذْ جَرَيْتَ ابْنَ حَشْرَجٍ وَجَاءَ سُكَيْتًا كُلُّ أَعْقَدٍ أَفْحَجٍ²
سَبَقْتَ ابْنَ وَرْدٍ كُلَّ حَافٍ وَنَاعِلٍ بِجَدِّ إِذَا حَارَ الْأَضَامِيمُ مِمْعَجٍ³
بِوَرْدٍ بَنِ عَمْرٍ فَتَهُمُ إِنْ مِثْلَهُ قَلِيلٌ وَمَنْ يَشِرِ الْمَحَامِدَ يَقْلُجُ⁴
هُوَ الْوَاهِبُ الْأَمْوَالِ وَالْمُشْتَرِي اللَّهَى وَضَرَّابُ رَأْسِ الْمُسْتَمِيَّتِ الْمُدْجَعِ⁵

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : اعذرني يا ابن عمي ؛ فإنني في حالة الله بها عليهم من كثرة الطلاب ، وأنت أحق من عذرني . قال : والله لو لم تُعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومن انقطع إليك لعذرتك ، فكيف وقد أجزلت العطاء ، وأرغمت الأعداء ! .

[قال في ابن عم له ناله بمساءة]

وكان لابن الحشرج ابن عم يقول للقشيري : ويحك ؛ ليس عنده خير ، وهو يكذبك ويملئك⁶ . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال :

[من الوافر]

أَطْلُ حَمَلِ الشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَاَنْظُرْ مَنْ تَضَيَّرُ
فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الْحَرْبُ الْكَبِيرُ
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وَكَيفَ تَعِيبُ مَنْ تُمْسِي فَقِيْرًا إِلَيْهِ حِينَ تَحْزُبُكَ الْأُمُورُ
وَمَنْ إِنْ بَعْتَ مَنْزِلَةً بِأُخْرَى حَلَلْتَ بِأَمْرِهِ وَبِهِ تَسِيرُ
أَتَزْعَمُ أَنَّي مَلِيذٌ كَذُوبٌ وَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدِي بُورُ
وَكَيفَ أَكُونُ كَذَابًا مَلُودًا وَعِنْدِي يَطْلُبُ الْفَرَجَ الضَّرِيرُ

1 المنوط : الدعوي الذي ينتمي إلى قوم ليس هو من أصلهم ، والمعلهج : الأحمق الهذر اللثيم والدعي ، والهجين الذي ولد من جنسين مختلفين .

2 السكيت : آخر خيل الحلبية . والأعقد : الملتوي الذنب . والأفحج : ذو الفحج .

3 الأضاميم : الجماعات ، والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة في المر .

4 يفلج : يظفر .

5 اللها : جمع لهاة .

6 ملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسر من غير فعل .

أواسي في النوائب من أتاني ويَجْبُرُ بي أخو الضَّرِّ الْفَقِيرُ

[كان يعطى كثيراً فلامته زوجته وأيدها صديق له]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم عن العمري عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثَان قال : أعطى عبدُ الله بن الحَشْرَج بخراسان حتى أعطى مِنْشَقَةً [كانت] عليه وأعطى فراشه ولحافه . فقالت له امرأته : لَشَدَّ ما تَلَاعَبَ بك الشيطان ، وصرتَ من إخوانه مُبَدَّرًا ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُبْدَرِينَ كانوا إِخوانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زويِّ النَّهْدِيِّ وكان أخوا له وصديقاً : يا رفاعة ، ألا تسمع إلى ما قالت هذه الورهاء¹ وما تتكلم به ؟ فقال : صدقتُ والله وبرَّت ! إنك لمبدرٌ ، وإنَّ المبذرينَ لإخوانُ الشياطين . فقال ابن الحشرج في ذلك :

[من الطويل]

مَكَارِمَ ما تَعَيَّا بِأَمْوَالِنَا التُّلْدُ ²	مَتى يَأْتِنَا الْغَيْثُ الْمَغِيثُ تَجِدُنَا
رِجالَ وَضُنَّتْ في الرَّخاءِ وفي الجَهْدِ	مَكَارِمَ ما جُدْنَا بِهِ إِذْ تَمَنَعْتُ
خِلافَ الَّذي يَأْتِي خِيارُ بني نَهْدِ	أَرَدْنَا بما جُدْنَا بِهِ من تِلادِنَا
وَيُسْعِدُها نَهْدُ بن زَيْدِ عَلى الزُّهْدِ ³	تَلومُ عَلى اتِّلافِي المِمالَ طَلَّتِي
عَلى ولا مِنْكُم عَوائِي ولا رُشْدِي ⁴	أَنهَدُ بن زَيْدِ لستُ مِنْكُم فَتُشْفِقُوا

أراد «غوايتي» فحذف الياء ضرورة .

وَكَهْلاً وَحَتَّى تُبْصِرُونِي في اللِّحْدِ	أَبَيْتُ صَغِيرًا ناشِئاً ما أَرَدْتُمُ
لِعَقْبِي وما أُجْنِي بِهِ ثَمَرَ الخُلْدِ	سَأبْدُلُ مِالي إِنْ مِالي ذَخِيرَةٌ
يَهْرُ عَلى الأَزْوادِ كالأَسَدِ الوَرْدِ ⁵	ولستُ بِمِيكاءَ عَلى الزَّادِ بِاسِلِ
لِما كُلفتُ كَفَّايَ في الرِّمَنِ الجَحْدِ	ولكِنْتِي سَمَحٌ بما حَزْتُ بِاذِلُّ
أَبوه بَأْنَ أُعْطِي وَأوفِي بِالْعَهْدِ	بذلك أَوْصاني الرُّقَادُ وَقَبْلَه

الرُّقَاد : ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته ، وكان شجاعاً سيِّداً جَواداً .
قال عطاء بن مُصْعَبٍ : وقال عبد الله بن الحَشْرَج أيضاً في [ذلك] هذه القصيدة .

1 الورهاء : الحمقاء .

2 التلد : المال القديم .

3 طلة الرجل : زوجته .

4 نهد بن زيد : القبيلة التي ينتسب إليها رفاعة بن زوي .

5 باسل هنا : بمعنى غاضب .

وقد ذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان شيئاً من هذه القصيد في كتابيهما المصنفين
ونسباً [ها] إليه :

[من الطويل]

من الذمّ ؛ إن المالَ يَفْنِي وَيَنْفَدُ
وغيرهم والجودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ
بمالي ، ونارُ البخلِ بالذمّ تُوقَدُ
ولكنّه للمرءِ فضلٌ مُؤَكَّدُ
بما ملكتَ كَفَاهُ والقومُ شُهَدُ
وقلتُ لها بَنِي المكارمِ أَحْمَدُ
بذلك غَيْظِي واعتراها التَّبَلْدُ
وتطليقها والكفُّ عَنِّي أَرشُدُ
قَرِينُكَ شيطانٌ مَرِيدٌ مُقَنَّدُ
ولي عنك في النّسوانِ ظِلٌّ وَمَقْعَدُ
فَمِنْهُنَّ غُلٌّ شَرُّها يَتَمَرَّدُ²
من الشَّرِّ بَرّاقٌ يَدُ الدَّهْرِ يُرْعِدُ
كريمٌ يُغاديه من الطيرِ أَسْعَدُ
بلايا فإنّ الموتَ للنّاسِ مَوْعِدُ
يلومُكَ في بَدَلِ النّدى وَيُفْنَدُ
هي الغايةُ القُصوى وفيها التَّمَجُّدُ³
وذو المَجْدِ محمودُ الفِعالِ مُحَسَّدُ

سأجعل مالي دونَ عِرْضِي وقايةً
ويُقي لي الجودُ اصطناعَ عَشيرَتِي
ومتخذٍ ذنباً عليّ سَمَاحَتِي
يبيدُ الفتى والحمدُ ليس بيائدٍ
ولا شيءٌ يقي للفتى غيرُ جودِهِ
ولائمةٍ في الجودِ نَهْنَهْتُ غَرَبِها
فلما أَلَحَّتْ في الملامةِ واعترتُ
[عرضتُ عليها خَصَلَتَيْنِ سَمَاحَتِي
فلجّتْ وقالتُ أنتَ غاويٌ مُبَدَّرُ
فقلتُ لها بيني فما فيك رغبةٌ
وعيشٌ أُنِيقُ والنساءُ مَعادِنُ
لها كلُّ يومٍ فوقَ رأسِي عارِضُ
وأخرى يَلدُّ العيشُ منها ، ضَجِيعُها
فيا رجلاً حُرّاً خُذِ القَصْدَ واتركِ الأَ
فِعشُ ناعماً واتركِ مَقالَةَ عادِلِ
وجُدْ باللّها إنَّ السّماحةَ والنّدى
وحسبُ الفتى مجدداً سَمَاحَةً كَفَهُ

[طلق امرأته لعدوها إياه فلامه حنظلة بن الأشهب]

قال فقالت له امرأته : والله ما وَقَفَكَ اللهُ لِحِظِّكَ ! أَنْهَيْتَ مالَكَ وبذرتَه وأعطيتَه هَيانَ بن
بَيان⁴ ، ومن لا تدري من أيِّ هافيةٍ⁵ هو ! قال : فغضب فطلّقها ، وكان لها محباً وبها مُعجَباً .

1 نهنت غربها : كففت حدتها وزجرتها .

2 يتمرد : يتجاوز الحد .

3 اللها : العطايا مفرداها لهوة .

4 هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه .

5 هفت هافية من الناس : طرأت .

فَعَنَّفَهُ فِيهَا ابْنُ عَمِّ لَهَا يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةٌ بِنِ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ ، وَقَالَ لَهُ : نَصَحْتِكَ فَكَافَأَتْهَا بِالطَّلَاقِ ! فَوَاللَّهِ مَا وُقِفْتَ لِرُشْدِكَ ، وَلَا نِلْتَ حَظَّكَ ، وَلَقَدْ خَابَ سَعْيُكَ بَعْدَهَا عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ . فَهَلَاءَ مَضَيْتَ لِطَيْبَتِكَ ، وَجَرَيْتَ عَلَى مِيدَانِكَ ، وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالطَّيْشِ لَمْ تُخَلِّقْ لِلْمَشُورَةِ وَلَا مِثْلُ رَأْيِهَا يُقْتَدَى بِهِ . فَقَالَ ابْنُ الْحَشْرَجِ لِحَنْظَلَةَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَحْظَلَّ دَعُ عَنْكَ الَّذِي نَالَ مَالَهُ
فَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ بَائِسٍ قَدْ جَبَّرْتُهُ
وَمِنْ مُتْرَفٍ عَنِ مَنَهَجِ الْحَقِّ جَائِرٍ
وَزَارِ عَلِيَّ الْجُودِ وَالْجُودِ شِمْتِي
فَمِثْلُكَ قَدْ عَاصَيْتُ دَهْرًا وَلَمْ أَكُنْ
أَبِي لِيَّ جَدِّي الْبُخْلَ مَذَكْتُ يَافِعًا
وَيَسْتَعْنِ عَنْهُ النَّاسُ ، فَارَكَبْ مَحَجَّةَ الْ
فَانِّي امْرُؤٌ لَا أَصْحَبُ الذَّهْرَ بِاخِلًا
وَمُسْتَحَمَقٍ غَاوٍ أَتَتْهُ نَذِيرَتِي
نَفَحْتُ بَيْتِي يَمَلًا الْفَمِ شَارِدٍ
فَكَفَّ ، وَلَوْ لَمْ أَرْمِهِ شَاعَ قَوْلُهُ ،
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيْتُ ظِلَامَهُ
إِلَى مَلِكٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَاجِدٍ
يَجُودُ إِذَا ضَنَّتُ قَرِيضُ بَرْفِدْهَا
أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ
وَقُورٌ إِذَا هَاجَتْ بِهِ الْحَرْبُ مَرْجَمٌ

لِيَحْمَدَهُ الْأَقْوَامُ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ
وَمِنْ عَائِلٍ أَغْنَيْتُ بَعْدَ التَّعْيَلِ
عَلَوْتُ بَعْضُ ذِي غِرَارَيْنِ مِقْصَلٍ¹
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَكُنْ غَيْرَ مُفْضِلٍ
لَأَسْمَعَ أَقْوَالَ اللَّيْمِ الْمُبْخَلِ
صَغِيرًا وَمَنْ يَبْخَلُ يَلْمُ وَيُضَلَّلِ
كِرَامٍ وَدَعُ مَا أَنْتَ عَنْهُ بِمَعْرَلِ
لَيْمًا وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّ مُعَدَّلِ
فَلَجَّ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعْرَةَ مِقُولِي²
لَهُ حَبْرٌ كَأَنَّهُ حَبْرٌ مِغُولِ³
وَصَارَ كَدْرِيَاقِ الذُّعَافِ الْمُثْمَلِ⁴
بِنَاجِيَةِ كَالْبُرْجِ وَجَنَاءِ عَيْهَلِ⁵
كَرِيمِ الْمُحْيَا سَيِّدِ مُتَفَضَّلِ
وَيَسْبِقُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَفَضَّلِ
مَرَاهَا بِمَسْنُونِ الْغِرَارَيْنِ مِجْلِ⁶
صَبُورٌ عَلَيْهَا غَيْرُ نِكْسٍ مُهْلَلِ⁷

1 السيف المقصل : القطاع .

2 النذيرة : طليعة الجيش التي تنذره .

3 مغول : شبه سيف قصير يشتمل به المرء تحت ثيابه أو هو سوط في جوفه سيف دقيق .

4 المثلل : السم الناقع .

5 البرج : الحصن . الناجية : النافذة السريعة ، والوجناء : الشديدة ، والعيهل : السريعة .

6 مسنون الغرارين : الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسته .

7 المرجم من الرجال : الشديد . والمهلل : الجبان .

أقامَ لأهل الأرضِ دينَ محمدٍ وقد أدبرُوا وارتابَ كلُّ مُضَلَّلٍ
فما زالَ حتَّى قَوْمَ الدِّينِ سَيْفُهُ وَعَزَّ بِحَزْمِ كُلِّ قَرْمٍ مُحَجَّلٍ
وغادَرَ أهلَ الشُّكِّ شَتَّى ، فمِنْهُمْ قَتِيلٌ وناجٍ فوقَ أُجْرَدَ هَيْكَلٍ
نَجَا من رماحِ القومِ قُدْماً وقد بَدَا تَباشِيرُهُ في العارِضِ المُتَهَلِّلِ

قال عاصم : يعني بهذا المذح محمد بن مروان لما قتل مُصعب بن الزبير بدير الجائليق¹ .
وكان محمد بن مروان يقوم بأمره ، ويؤكِّيه الأعمال ، ويشفع له إلى أخيه عبد الملك .

[لامه ابن عم له في تبذيره]

أخبرني محمد بن خلفٍ قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال حدَّثنا العُمريُّ عن عطاء بن مُصعب
عن عاصم بن الحدَّان قال : قال عبد الله بن الحشرج لابن عمِّ له لامه في إتهاب ماله وتبذيره
إيَّاه ، وقال له فيما يقول : امرأتك كانت أعلم بك ، نصحتك فكافأتها بالطلاق . فقال له : يا
ابن عمِّ ، إن المرأة لم تخلق للمشورة ، وإنما خلقت وثاراً للباءة² . ووالله إن الرشد واليمن لفي
خلاف المرأة . يا ابن عمِّ ، إياك واستماع كلام النساء والأخذ به ؛ فإنك إن أخذت به
ندمت . فقال له ابن عمِّه : والله ليوشكن أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفت فلا تقدر عليه ولا
يُخلفه عليك هنٌّ وهنٌ³ . فقال ابن الحشرج :

[من الطويل]

وعاذلِة هبَّتْ بليلى تلومني وتعدلني فيما أفيدُ وأتلفُ
تلومتها حتَّى إذا هي أكثرت أتيتُ الذي كانت لَدَيَّ توكفُ⁴
وقلتُ عليك الفجَّ أكثرتِ في الندى ومثلي تحاماه الألدُّ المغطرفُ⁵
أبى لي ما قد سُمِّتني غيرُ واحدٍ أبٌ وجدودٌ مجدُّها ليس يُوصفُ
كهولٌ وشبانٌ مَضُوا لِسبيلهم إذا ذكروا فالعينُ مِنِّي تذرِفُ
هُم الغيثُ إن ضنَّتْ سماءُ بقطرِها وعندهمُ يرجو الحيا مُتلهِفُ
وحربٍ يخافُ النَّاسُ شِدَّةَ عرِّها تظَلُّ بأنواعِ المنيَّةِ تصرِفُ⁶

1 دير الجائليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السواد وأرض تكريت .

2 الوثار : الفراش الوطيء .

3 هن : كناية عن اسم الإنسان ، أي فلان وفلان .

4 تلومتها : أمهاتها . توكف : توقع .

5 المغطرف : المتكبر المختال .

6 العر : الشر والأذى . تصرِف : تصوت .

حَمَوْهَا وَقَامُوا بِالسُّيُوفِ لِحَمِيهَا
فَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا طِمَاحاً تَنَمَّرُوا
فَذَلَّتْ وَأَعْطَتْ بِالْقِيَادِ وَأَذَعَتْ
وَكَانَتْ طَمُوحَ الرَّأْسِ يَصْرِفُ نَابُهَا
[فَلَمَّا امْتَرَيْنَا بِالسُّيُوفِ خُلُوفَهَا
فَدَرَّتْ طِبَاقاً وَارَعَوْتُ بَعْدَ جَهْلِهَا

[ولامه ابن زوي في تبذيره]

قال : وقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زوي النهدي فيما كان يلومُه فيه من التبذير
والجود :

[من الطويل]

أَلَمْ عَلَى جُودِي وَمَا خِلْتُ أَنَّنِي
فِي لَائِمِي فِي الْجُودِ أَقْصِرُ فَإِنِّي
وَجَدْتُ الْفَتَى يَفْنَى وَتَبَقَى فَعَالُهُ
وَإِنِّي وَبِاللَّهِ احْتِيَالِي وَحِرْفَتِي
أَرَى حَقَّهُ فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ وَاجِباً
وَصَاحِبِ صِدْقٍ كَانَ لِي ففَقَدْتُهُ
يَلُومُ فَعَالِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
يُخَالِفُنِي فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
فَلَمَّا تَمَادَى قَلْتُ غَيْرَ مُسَامِحٍ

[مدحه زياد الأعجم فوصله]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا ابن
عائشة قال : وقد زياد الأعجم على عبد الله بن الحشرج الجعدي وهو بسابور⁶ أمير عليها ،

1 التعجرف : ركوب الأمر لا تروى فيه .

2 قفقف : ارتعد .

3 طباقاً : دفعات متوالية . الرمام : جمع رمة وهي قطعة يشد بها الأسير ويقلد بها البعير .

4 المائق : الأحمق .

5 العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

6 سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

فَأَمْرٌ بِإِنزَالِهِ وَالطَّفَهَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ زَيْدًا فَأَنَشَدَهُ : [من الكامل]

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
مَلِكٌ أَغْرُ مُتَوَجِّحٌ ذُو نَائِلٍ لِلْمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ¹
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمُنَابِرَ بِالتُّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُتَحَرِّجِ
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِعًا لِنَوَالِكُمْ أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ

قال : فَأَمْرٌ لَهُ بَعَشْرَةَ آفِ دَرَاهِمٍ .

وقد قيل : إن الأبيات التي ذكرتها وفيها الغناء ونسبها إلى عبد الله بن الحشرج لغيره . والقول الأصح هو الأول . أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن هشام بن الكلبي : أنه سمع أبا بسل الطائي يُنشد هذا الشعر ، فقلت : لمن هو ؟ فقال : لعمري عنترة بن الأخرس ؟ قال : وكان جدِّي أخرس ، فولد له سبعة أو ثمانية كلهم شاعر أو خطيب . ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي ، أو حكاة عن رجل ادعى فيه ما لا يعلم .

صوت

[من الطويل]

أَصْحَابُ أَلَا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَجْدٍ وَرِيحِ الْخَزَامِيِّ غَضَّةً مِنْ نَسْرَى جَعْدٍ
وَهَلْ لِلْيَالِينَا بِذِي الرَّمْثِ مَرْجِعٌ فَتَشْفِي جَوَى الْأَحْزَانِ مِنْ لَاعِجِ الْوَجْدِ²
عروضه من الطويل . الشعر للطرمّاح بن حكيم . والغناء ليحيى المكي ، ثقيلٌ أول

بالبنصر من كتابه .

1 شنجت يده : تقبضت ، كناية عن البخل .

2 ذو الرمث : واد لبني أسد .

[199] - أخبار الطرمّاح ونسبه¹

[نسبه]

هو الطرمّاح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدَر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرّول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيبى . ويكنى أبا نقر ، وأبا ضبيّنة . والطرمّاح : الطويل القامة . وقيل : إنه [كان] يُلقَّب الطرمّاح . أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كان الطرمّاح بن حكيم يُلقَّب الطرمّاح لقوله : [من الطويل]

[صوت]

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا ارتحِ بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأرواح²
بلى إنَّ للعينين في الصُّبحِ راحةً بطرحِهما طرفيهما كلَّ مطرَح³

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقيلاً أول بالوسطى من كتابه .

والطرمّاح من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم . ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَنْ وردها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشُّراة الأزارقة . [كيف دخل في مذهب الشُّراة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شُبّة عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : قدّم الطرمّاح بن حكيم الكوفة ، فنزل في تيم اللات بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخ من الشُّراة له سمّت وهيفة ، وكان الطرمّاح يُجالسه ويسمع منه ، فرسخ كلامه في قلبه ، ودعاه الشيخ إلى مذهبه ، فقبله واعتقده أشدّ اعتقادٍ وأصحّه ، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة : كان الطرمّاح والكميت يصيرانِ إليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، فأراه بعدُ في أشعارهما . [غريب شعره]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال سمعت محمد بن حبيب يقول : سألتُ ابن الأعرابيّ

1 انظر أخباره في الاشتقاق : 234 والمؤتلف : 148 والعيني 2 : 276-278 وفي مقدمة ديوانه تحقيق عزة حسن : 7-12 ، وجمهرة أنساب العرب : 402-403 .
2 ألا ارتح في الديوان 96 : ألا اصبحي . وبصبح في الديوان 96 : بيم ، وبم : مدينة بكرمان .
3 بلى إن في الديوان 96 : على أن .

عن ثمانين عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمّاح ، فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري ، لا أدري .

[صدقة الطرمّاح والكميت]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب قال حدثنا ابن قتيبة ، قالا : كان الكميت بن زيد صديقاً للطرمّاح ، لا يكادان يفترقان في حال من أحوالهما . فقيل للكميت : لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرمّاح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد : هو شاميّ فحطاني شاريّ ، وأنت كوفيّ زاربيّ شيعيّ ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ فقال : اتفقتنا على بغض العامة .

قال : وأنشد الكميت قول الطرمّاح :

إذا قبضت نفس الطرمّاح أخلقت
عريّ المجد واسترختي عنان القصائد

فقال : إي والله ، وعنّان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة . وقال عمر بن شبة :

«والسماحة» مكان «الشجاعة» .

[وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت]

نسخت من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوبة ، رحمه الله تعالى ، بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : وقد الطرمّاح بن حكيم والكميت بن زيد على مخلد بن يزيد المهلبيّ ، فجلس لهما ودعاهما . فتقدم الطرمّاح ليُنشد ؛ فقال له : أنشدنا قائماً . فقال : كلاً والله ، ما قدر الشعر أن أقوم له فيحطّ مني بقيامي وأحطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب . قيل له : فتنحّ . ودعي بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلما خرج الكميت شاطرها الطرمّاح ، وقال له : أنت أبا ضبيّنة أبعد همة وأنا أطف حيلة . وكان الطرمّاح يُكنى أبا نفر وأبا ضبيّنة .

[هو والكميت وذو الرمة في مسجد الكوفة]

ونسخت من كتابه رضي الله عنه : أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن علاّق قال أخبرني شيخ لنا أن خالد بن كلثوم أخبره قال : بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرمّاح والكميت وهما جالسان بقرب باب¹ الفيل ، إذ رأيت أعرابياً قد جاء يسحب أهداماً² له ، حتى إذا توسّط المسجد خرّ ساجداً ، ثم رمى بيصره فرأى الكميت والطرمّاح فقصدتهما .

1 باب الفيل : موضع بالكوفة .

2 الأهدام : جمع هدم وهو الثوب البالي المرقع .

فقلتُ : مَنْ هذا الحائن¹ الذي وقع بين هذين الأُسدين ! وَعَجِبْتُ من سجدته في غير موضع سُجود وغير وقت صلاة . فقصدته ، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفت إلى الكُميت فقال : أسمعني شيئاً يا أبا المُستهلّ ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

أبت هذه النفسُ إلاّ ادّكارا

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنت والله يا أبا المُستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونظم عقديها . ثم التفت إلى الطرمّاح فقال : أسمعني شيئاً يا أبا ضبيّنة ، فأنشده كلمته التي يقول فيها : [من الطويل]

أساءك تقويضُ الخَلِيطِ المَبَاينِ نَعَم والنوى قَطَاعَةٌ للقَرَائِنِ²

فقال : لله دَرُّ هذا الكلام ! ما أحسن إجابته لرويتك ! إن كِدْتُ لأطيلُ لك حسداً . ثم قال الأعرابي : والله لقد قلتُ بعد كما ثلاثة أشعار ، أمّا أحدها فكِدْتُ أُطير به في السماء فرحاً . وأمّا الثاني فكِدْتُ أُدعي به الخلافة . وأمّا الثالث فرأيت رقصاناً استقرّني به الجدَلُ حتى أتيتُ عليه . قالوا : فهات ؛ فأنشدهم [قوله] :

أإن توهّمتَ منْ خرّقاء منزلةً ماء الصبابة من عينيك مسجوم³

حتى إذا بلغ قوله :

تنجُو إذا جعلتَ تدمي أحشيتُها وأبتلّ بالزبدِ الجعدِ الخراطيم⁴

قال : أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنة ، فما ظفرتُ به إلاّ آتياً ، وأحسبكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قوله :

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها : [من الطويل]

إذا الليلُ عن نشزٍ تجلّى رمينهُ بأمثالِ أبصارِ النساءِ الفوارِكِ

قال : فضرب الكُميت بيده على صدر الطرمّاح ، ثم قال : هذه والله الديباج لا نسجي ونسجك الكرابيس⁵ . فقال الطرمّاح : لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجودته . فغضب ذو الرمة

1 الحائن : الهالك ، وكل ما لم يوفق للرشاد فهو حائن .

2 التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد .

3 مسجوم : مصبوب .

4 تنجو : تسرع . والأحشّة : جمه خيشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها . والجعد من

الزبد : الثخين الغليظ .

5 الكرابيس : جمع كراباس وهو ثوب غليظ من القطن .

وقال : يا طرِمَاح ! أنتُ تُحسِنُ أن تقول : [من الطويل]

وكائنٌ تَخَطَّتْ ناقِتي من مَفازِةٍ
بأعقارِهِ القِرْدانُ هزَلِي كأنَّها
إِليكَ وَمِنْ أَحْواضِ ماءِ مُسَدِّمٍ¹
نَوادِرُ صِيباءِ الهِبيدِ المُحَطِّمِ²

فأصغى الطرِمَاح إلى الكميت وقال له : فانظر ما أخذ من ثواب هذا الشعر ؛ قال : وهذه قصيدة مدح بها ذو الرمة عبد الملك ، فلم يمدحه فيها ولا ذكَّره إلا بهذين البيتين ، وسائرهما في ناقته . فلما قدم على عبد الملك بها أنشده إياها . فقال له : ما مدحت بهذه القصيدة إلا ناقتك ، فخذ منها الثواب . وكان ذو الرمة غير محظوظ من المدح ، قال : فلم يفهم ذو الرمة قول الطرِمَاح للكميت . فقال له الكميت : إنه ذو الرمة وله فضله ، فأعْتَبَهُ³ . فقال له الطرِمَاح : معذرة إليك ؛ إن عِنانَ الشَّعرِ لفي كَفِّكَ ، فارجع مُعْتَباً ، وأقول فيك كما قال أبو المستهل .

[مر الطرماح يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّوفيّ قالَا حَدَّثَنَا الحسن بن عُليلِ العَنزِيّ قال حَدَّثَنِي محمد بن إبراهيم بن عباد قال حَدَّثَنِي أبو تمام الطائِيّ قال : مرَّ الطرِمَاح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته . فقال رجل : من هذا الخطار ؟ فسمعه فقال : أنا الذي أقول :

صوت

لقد زادني حُباً لِنَفْسِي أَنِّي
وأني شَقِيٌّ بِاللُّئامِ ولا ترى
بَغِيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائِلٍ⁴
شَقِيّاً بِهِم إلا كَرِيمَ الشَّمائِلِ
إذا ما رآني قَطَعَ اللِحْظَ بينه
وبينيَ فَعَلَ العارِفِ المُتجاهِلِ
مَلأتُ عليه الأَرْضَ حَتى كأنَّها
من الضِّيقِ في عَينِهِ كِفَّةٌ حابِلٍ⁵

في هذه الأبيات لأبي العنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ أوَّل بالبصرة .

[قصته مع خالد القسري حين وفد عليه بمدح]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعُ قال أَخبرنا إِسْماعيل بن مُجمَع قال حَدَّثَنَا هشام بن محمد قال

- 1 الماء المسدم : المتغير لطول العهد .
- 2 الأعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الخنظل . والصيباء : الضاوي الهزبل منه .
- 3 أعْتَبَهُ : أرضاه وأزال عتبه .
- 4 رجل غير طائل : أي دون خسيس .
- 5 كفة الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

أخبرنا ابن أبي العَمْرَطَةَ الكِنْدِيّ قال : مدح الطرمّاح خالد بن عبد الله القسريّ ، فأقبل على العُريّان¹ بن الهيثم فقال : إنّي قد مدحتُ الأمير فأحبّ أن تُدخِلني عليه . قال : فدخِل إليه فقال له : إنَّ الطرمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً . فقال : ما لي في الشعر من حاجة . فقال العُريّان للطرمّاح : تراء له . فخرج معه ، فلما جاوز دار زيادٍ وصعد المُسنّاة² إذا شيء قد ارتفع له ، فقال : يا عُريّان انظر ، ما هذا ؟ فنظر ثم رجع فقال : أصلح الله الأمير ، هذا شيء بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجستان ؛ فإذا حُمُرٌ وبغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ . فقال : يا عريان ، أين طرمّاحك هذا ؟ قال : هاهنا . قال : أعطه كل ما قدّم به . فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنشدّه . قال هشام : والطرمّاح : الطويل .

[سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موّه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثني الحجاجيّ قال : بلغني أنّ الطرمّاح جلس في حلقةٍ فيها رجلٌ من بني عَبَس ، فأنشد العبيسيّ قول كثيرٍ في عبد الملك رحمه الله :

[من الطويل]

فكنتَ المُعلّى إذ أُجِبتَ قِداحُهُمُ وجمال المنيحُ وسَطَها يَتَقَلَّلُ³

فقال الطرمّاح : أما إنّه ما أراد به أنّه أعلامهم كعباً ، ولكنّه موّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنّه السابع من الخلفاء الذين كان كثيرٌ لا يقول بإمامتهم ؛ لأنّه أخرج عليّاً عليه السلام منهم ، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع ، وكذلك المُعلّى السابع من القِداح ؛ لذلك قال ما قاله . وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال :

[من المتقارب]

وكان الخلائفُ بعدَ الرّسُو لِ اللهِ كُلُّهُمُ تَابِعَا
شهيديانِ من بعد صيديّهم وكان ابنُ حَرَبٍ لهم رابعَا
وكان ابنه بعده خامساً مُطيعاً لمن قبله سامِعَا
ومروانُ سادِسُ مَنْ قد مَضَى وكان ابنه بعده سابعَا

قال : فعجّينا من تنبه الطرمّاح لمعنى قول كثيرٍ ، وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً .

[فضله أبو عبيدة والأصمعيّ بيتين له]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دَماذ قال : كان أبو عبيدة والأصمعيّ

- 1 كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعيّ أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسريّ أميراً على العراق .
- 2 المسناة : الأحباس تبنى في وجه السيل .
- 3 المعل من القداح ، له أكبر نصيب من أنصبة قداح اليسر ، وهي عشرة . والنيح : قذح منها لا نصيب له .

يفضِّلان الطَّرِمَّاحَ في هذين البيتين ، ويزعُمان أنَّه فيهما أشعرُ الخَلْقِ : [من الكامل]

مُجْتَابُ حَلَّةٍ بُرْجِدٍ لِسِرَاتِهِ قَدَدًا وَأَخْلَفَ مَا سِوَاهُ الْبُرْجُدِ¹
يَبْدُو وَتَضْمِيرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرْفٍ يُسَلُّ وَيُعْمَدُ

[أثنى أبو نواس على بيت له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حَدَّثَنَا دَمَازُ قَالَ قَالَ أَبُو نِوَاسٍ : أَشْعَرُ بَيْتٍ قِيلَ بَيْتُ الطَّرِمَّاحِ :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَّاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرَحَى عِنَانَ الْقَصَائِدِ

[من الطويل]

[مناقضة بينه وبين حميد الشكري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : فَضَّلَ الطَّرِمَّاحَ بَنِي شَمَخٍ² فِي شِعْرِهِ عَلَى بَنِي يَشْكُرَ ؛ فَقَالَ حُمَيْدُ الْيَشْكِرِيِّ :

[من الوافر]

أَتَجْعَلُنَا إِلَى شَمَخِ بْنِ جَرْمٍ وَنَبْهَانٍ فَأَفٍّ لَذَا زَمَانَا
وَيَوْمَ الطَّالِقَانِ حَمَاكَ قَوْمِي وَلَمْ تَخْضِبْ بِهَا طِيَّ سِنَانَا³

فَقَالَ الطَّرِمَّاحُ يُجِيبُهُ :

لَقَدْ عَلِمَ الْمَعْدَلُ يَوْمَ يَدْعُو بِرِمْتَةٍ يَوْمَ رِمْتَةٍ إِذْ دَعَانَا⁴
فَوَارِسُ طِيٍّ مَنَعُوهُ لَمَّا بَكَى جَزَعًا وَلَوْلَاهُمْ لِحَانَا⁵

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ :

لَأَقْضِيَنَّ قِضَاءَ غَيْرِ ذِي جَنْفٍ بِالْحَقِّ بَيْنَ حُمَيْدٍ وَالطَّرِمَّاحِ
جَرَى الطَّرِمَّاحُ حَتَّى دَقَّ مَسْحَلَهُ وَغَوَدَرَ الْعَبْدُ مَقْرُونًا بَوْضَاحٍ⁶

يَعْنِي رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانَ يُهَاجِي الْيَشْكِرِيَّ .

[شعر له في الشراة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَلَفٌ : كَانَ

- 1 مجتاب خلة : لابسها . والسراة : الظهر . والبرجد : كساء من صوف أحمر وقيل كساء مخطط ضخم . والتدد جمع قدة وهي القطعة من الشيء .
- 2 شمش ابن جرم ونبهان : بطنان من طيء .
- 3 الطالقان : اسم بلدين ، إحداهما بخراسان بين مرو والروذ وبلخ ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .
- 4 رمثة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة .
- 5 حان : هلك .
- 6 المسحل : اللجام .

[من المنسرح] الطرمّاح يرى رأي الشُّرّة ، ثم أنشد له :

للهِ ذرُّ الشُّرّةِ إنّهـمُ إذا الكرى مالَ بالطلّى أرقوا¹
يُرْجَعونَ الحَينَ آوِنَةً وإن عَلا ساعَةً بهم شَهَقوا
خوفاً تبيتُ القلوبُ واجفَةً تكاد عنها الصدورُ تنفلقُ
كيف أرحي الحياةَ بعدهمُ وقد مضى مؤنسيّ فانطلقوا
قومٌ شحاحٌ على اعتقادهمُ بالفوزِ ممّا يُخافُ قد وثقوا

[أنشد خالداً القسريّ شعراً في الشكوى فأجازه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التّوّريّ عن أبي عبيدة عن يونس قال : دخل الطرمّاح على خالد بن عبد الله القسريّ فأنشده قوله : [من الطويل]

وشيبتي ما لا أزالُ مُناهضاً بغيرِ غنى أسمو به وأبوع²
وأنّ رجالَ المالِ أضحوّوا ومالمُ لهم عند أبوابِ الملوكِ شفيحُ
أُمخترمي ربُّ المُنونِ ولم أنلُ من المالِ ما أعصي به وأطيعُ
فأمر له بعشرين ألفَ درهمٍ وقال : أمضِ الآن فاعصِ بها وأطع .

[قال المفضل : كأنه يوحى إليه ، في الهجاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا حذيفة بن محمد الكوفيّ قال قال المفضّل : إذا ركب الطرمّاح الهجاء فكانما يوحى إليه ، ثم أنشد له قوله : [من البسيط]

لو حانَ ورْدُ تميمٍ ثم قيل لها حوضُ الرّسولِ عليه الأزْدُ لم تردِ
أو أنزلَ اللهُ وحيّاً أن يُعذبها إن لم تعدْ لِقِتالِ الأزْدِ لم تعدِ
لا عزّ نصرٌ امرئٍ أضحى له فرسٌ على تميمٍ يُريدُ النصرَ من أحدِ
لو كان يخفي على الرحمنِ خافيةً من خلقه خفيت عنه بنو أسدِ

[افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلا نعشه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدّثني المدائنيّ قال حدّثني ابنُ دأبٍ عن ابن شبرمة ، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال أخبرني أبي قال حدّثني

1 الطلّى : الأعناق ، واحد طليّة .

2 في الديوان 314 : «أن لا أزال» . أبوع : يوع : يمدّ باعه .

الحسنُ بن عبد الرحمن الرِّبَعيّ قال حدَّثني محمد بن عمران قال حدَّثني إبراهيم بن سَوار الصَّبَّيِّ قال حدَّثني محمد بن زيادِ القُرشيّ عن ابن شُبْرَمَةَ قال : كان الطَّرِمَاحُ لنا جليساً فَفَقَدْنَاهُ أَيَّاماً كَثِيرَةً ، فَقُمْنَا بِأَجْمَعِنَا لِنَنْظُرَ مَا فَعَلَ وما دَهاه . فَلَمَّا كُنَّا قَرِيباً مِنْ مَنْزِلِهِ إِذَا نَحْنُ بِنَعْشٍ عَلَيْهِ مُطْرَفٌ أَخْضَرٌ ، فَقَلْنَا : لِمَنْ هَذَا النَعْشُ ؟ فَقِيلَ : هَذَا نَعْشُ الطَّرِمَاحِ . فَقَلْنَا : وَاللَّهِ مَا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ حَيْثُ يَقُولُ :

[من الطويل]

وَأَنِّي لَمُقْتَادٌ جَوَادِي وَقَاذِفٌ	به وَبِنَفْسِي الْعَامَ إِحْدَى الْمَقَاذِفِ
لَأَكْسِبَ مَالاً أَوْ أُوْوَلْ إِلَى غَنِي	مَنْ اللَّهُ يَكْفِينِي عِدَاتِ الْخَلَائِفِ
فَيَا رَبِّ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ	عَلَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ ¹
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلُهُ	بِجَوِّ السَّمَاءِ فِي نُسُورِ عَوَاكِفِ ²
وَأَمْسِي شَهِيداً ثَاوِيّاً فِي عِصَابِي	يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ ³
فَوَارِسُ مَنْ شَيْبَانَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ	تُقَى اللَّهُ نَزَالُونَ عِنْدَ التَّرَاخُفِ
إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى	وَصَارُوا إِلَى مِيعَادِ مَا فِي الْمَصَاحِفِ ⁴

صوت

[من البسيط]

هل بالدَّيَّارِ التي بالقاع من أَحَدِ
تلك المنازل من صَفْرَاءَ لَيْسَ بِهَا
باقٍ فَيَسْمَعُ صَوْتَ الْمُدْلِجِ السَّارِي
حَيٌّ يُجِيبُ وَلَا أَصْوَاتُ سُمَّارِ
الشعر لِيَبْهَسَ الْجَرْمِيَّ . والغناء لابن محرزٍ ثاني ثَقِيلِ الْبِنْصَرِ ، عن عمرو وقال : ذكر
ذلك يَجِيئُ الْمَكِّيَّ ، وَأَظَنَّهُ مِنَ الْمُنْحَوْلِ . وفيه لَطِيَابُ بِنِ إِبراهيمِ الْمُوصِلِيِّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، وهو
مَأخُوذٌ مِنْ لَحْنِ ابْنِ صَاحِبِ الْوَضُوءِ :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْرُبُكَ ضَعْفُهُ

1 شرح : النعش . بخضر في الديوان 333 : بدكن .

2 ولكن قبري في الديوان 336 : ويصبح قبري .

3 الشطر الأول من البيت في الديوان 334 : «ولكن أجن يومي شهيداً وعصبته» .

4 في الديوان 334 : موعود .

[200] - أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

هو بيهس بن صُهَيْب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب بن عدي بن سُمَيْس بن طرود بن قدامة بن جَرَم بن رَبَّان بن حُلوان بن عمران بن إلخاف بن قُضاعة ، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأموية . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرَمٍ وكلَبٍ وعُدرة ، ويحضر إذا حضرُوا فيكون بأجناد الشام .

[آتهم يقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان]

قال أبو عمرو الشيباني : لما هدأتِ الفِتنَةُ بعد وقعة مَرَج [رَاهِطِ] وسكن الناس ، مرَّ غلامٌ من قيسٍ بطوائفٍ من جَرَمٍ وعُدرةٍ وكلَبٍ ، وكانوا متَجاورين على ماءٍ هناك لهم . فيقال : إن بعض أحداثهم نَحَسَ به ناقته فألقته ، فاندقت عنقه فمات . واستعدى قومه عبد الملك بن مروان ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فهُرَبَ بيهسُ بن صُهَيْبِ الجَرَمِيِّ ، وكان قد آتهم بأنَّه هو الذي نخس به ، فنزل بمحمد بن مروان واستجارَ به ، فأجاره إلَّا من حدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ ، فَرَضِي بذلك .

صوت

[من الطويل]

فإنسي إلى أصواتكُنَّ حَرِينُ	ألا يا حماماتِ اللوى عُدْنَ عودَةَ
وكذتُ بأسراري لَهْنُ أَيْنُ	فعدنَ فلما عدنَ كِذَنَ يُمتنني
شربنَ حُميًّا أو بهنَّ جُنُونُ	دَعَوْنَ بأصواتِ الهديلِ كأنما
بَكَيْنَ ولم تَدْمَعِ لَهْنُ شوونُ	فلم تَرَ عيني مثلهنَّ حماماً

الشعر لأعرابيٍّ ، هكذا أنشدناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل . والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخر خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي . وقد قيل : إن الشعر لابن الدُمينة .

[201] - أخبار محمد بن الحارث بن بسخر

[نسبه وبعض أخباره]

هو محمد بن الحارث بن بسخر ، ويكنى أبا جعفر . وهم ، فيما يزعمون ، موالى المنصور . وأحسبه ولاء خذمة لا ولاء عتق . وأصلهم من الرّي . وكان محمد يزعم أنه من ولد بهرام جوين¹ . وولد محمد بالحيرة . وكان يُغني مرتجلاً ، إلا أن أصل ما غنى عليه المعزفة ، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة . فمرّ غلامه بها يوماً ، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق : مع هذا الغلام مصيدة الفأر ، وقال بعضهم : لا ، بل هي معزفة محمد بن الحارث . فحلّف يومئذ بالطلاق والعتاق ألا يُغني بمعزفة أبداً أنفةً من أن تشبّه آله يُغني بها بمصيدة الفأر . وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداءً وأسرعهم أخذاً للغناء . وكان لأبيه الحارث بن بسخر جوار مُحسِنات . وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمرهنّ أن يطرحن على جواريه . وقال يوماً للمأمون وقد غنى مُخارق بين يديه صوتاً فالتاث² غناؤه فيه وجاء به مُضطرباً ، فقال إسحاق للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ مخارقاً قد أعجبه صوته وساء اداؤه في غنائه ، فمرّه بملازمة جوّاري الحارث بن بسخر حتى يعود إلى ما تريد .

[هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً]

أخبرني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : سمعتُ إسحاق³ بن إبراهيم بن مُصعب يقول للوائق : قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : ما قدّر أحدٌ قطُّ أن يأخذ مني صوتاً مستويّاً إلاّ محمد بن الحارث بن بسخر ؛ فإنه أخذ مني عدّة أصوات كما أغنيها . ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن الحارث . فقال له الواثق : حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا . فقال : قد قال إسحاق ذاك لي مرّات . فقال له الواثق : فأيّ شيء أخذت من صنعته أحسنَ عندك ؟ فقال : هو يزعمُ أنه لم يأخذ منه أحدٌ قطّ هذا الصوت كما أخذته منه :

[من الطويل]

1 من ملوك الفرس في أواخر القرن السادس الميلادي .

2 التاث هنا : اختلط .

3 كان إسحاق حاكم بغداد في عهد المأمون والمعتمد والوائق .

صوت

إذا المرء قاسى الدهرَ وابتضَّ رأسه وتلَم تثلِيمَ الإناءِ جَوَانِبُهُ
فليس له في العيش خيرٌ وإن بكى على العيشِ أو رجى الذي هو كاذِبُهُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ، فأمره الواصل بأن يُغنيهِ ، فغناه [إياه] وأحسنَ ما شاء وأجاد . واستحسنه الواصل وأمره بأن يُردِّده ، فردَّده مراراً كثيرةً ، حتى أخذه الواصل وأخذه جَوَارِيهِ والمُعَنُونَ . قال جحظة قال الهشاميّ فحدثتُ بهذا الحديث عمرو بن بانه فقال : ما خلَقَ الله تعالى أحداً يُغني هذا الصوت كما يُغنيهِ هبة الله بن إبراهيم بن المهدي . فقلت له : قد سمعتَ ابن إبراهيم يُغنيهِ ، فاسمعه من محمد ثم احكُم . فلقيني بعد ذلك فقال : الأمر كما قلت ، قد سمعته من محمد فسمعتُ منه الإحسان كله .

[ردد صوتاً لجارية كان يحبها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : كنت يوماً في منزلي ، فجاءني محمد بن الحارث بن بسخر مسلماً وعائداً من عليّة كنتُ وجدتها ؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل ، ودعوتُ بما حضر فأكلنا وشربنا ، وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

أمن ذِكْرِ خَوْدِ عَيْنِكَ اليومَ تَدَمَعُ وقلْبِكَ مشغولٌ بخَوْدِكَ مُوَلَعُ
وقائلية لي يومٌ وليتُ مُعْرِصاً أهذا فِرَاقُ الحِبِّ أم كيف تَصْنَعُ
فقلتُ كذاكِ الدهرُ يا خَوْدُ فاعلمي يُفَرِّقُ بين الناسِ طُرّاً ويَجْمَعُ

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى . قال الهشاميّ : وفيه لُفْلُحٌ ثاني ثقيلٍ ، وإسحاق خفيف رملٍ . قال علي بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مراراً وغناه أشجى غناءً : إن لك في هذا الصوت معنى ، وقد كررته من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم هذا صوتي على جارية من القيان كنتُ أحبُّها وأخذته منها . فقلتُ له : فلم لا توصلها ؟ فقال : [من السريع]

لو لم أنكها دام لي حبُّها لكِنِّي نَكْتُ فلا نِكْتُ

فأجبتُهُ فقلتُ : [من البسيط]

أكثرَ من نيكها والنيكُ مَقْطَعَةٌ فارُقْ بِنَيْكِكَ إنَّ الرُّفُقَ محمودُ

[أخذ جوارِي الواصل منه غناء أخذه من إسحاق]

وأخبرني جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواصل لحنه : [من الطويل]

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أُمَامَ الْمَطَايَا تَشْرُبُ وَتَسْنَحُ¹
 مِنَ الْمَوْلِيفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شِعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ²

والشعر لذي الرِّمَّة . ولحن إسحاق فيه ثقیلاً أوَّل ، فأمره الواثق أن يُعِيدَهُ على الجوارى ، وأحلفه بحياته أن ينصح فيه . فقال : لا يستطيع الجوارى أن يأخذنه مني ، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذنه مني وتأخذنه الجوارى منه ؛ [فأحضِر وألقاه عليه ، فأخذنه منه ، وأخذته الجوارى منه] .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوسوسة الموصلی قال حدثني حماد بن إسحاق قال : قال لي محمد بن الحارث بن بسنخر : أخذت جارية للواثق مني صوتاً أخذته من أبيك ، وهو :

صوت

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشِيْبٍ قِنَاعَا
 وَتَوَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَأْبَى الْقَلِيلُ إِلَّا وَدَاعَا

الشعر والغناء لإسحاق ثقیلاً أوَّل . قال : فسَمِعَهُ الواثق منها ، فاستحسنه وقال لعلويّه ومُخَارِق : أتعرفانه ؟ فقال مخارق : أظنه لمحمد بن الحارث . فقال علويّه : هيهات ؛ ليس هذا ممّا يدخل في صنعة محمد ، هو يُشبهه صنعة ذلك الشيطان إسحاق . فقال له الواثق : ما أبعدت . ثم بعث إليّ فأخبرني بالقصة ؛ فقلت : صدق علويّه يا أمير المؤمنين ، هذا لإسحاق ومنه أخذته .

[غنّت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام : جاءني محمد بن الحارث بن بسنخر يوماً فقال لي : قُم حتى أطفل بك على صديقي لي حرٌّ ، وله جارية أحسن خلق الله تعالى وجهاً وغناء . فقلت له : أنت طفيلي وتطفل بي ؟ هذه والله أحسن حال . فقال لي : دع المجون وقم بنا ؛ فهو مكان لا يستحي حرٌّ أن يتطفل عليه . فقمت معه ، فقصد بي دار رجل من فتيان أهل «سُرَّ مَنْ رَأَى» كان لي صديقاً يُكنى أبا صالح ، وقد غُيِّرَت كنيته على سبيل اللقب فكُنيتُ أبا الصالحات ، وكان ظريفاً حسن المروءة ، [يضرب بالعود على مذهب الفرس ضرباً حسناً] ، وله رزق سني في الموالى ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزله يخلو من طعام كثير نظيف لكثرة قُصْد أخواته منزله . فلما طرّق بابهُ قلت له : فرجّت عني ،

1 أم شادن : طيبة . تسنح : تعرض لك أو تأتي عن شمالك . والمعنى الأول أولى هاهنا .

2 الأدم من الظباء : البيض تلوهم جدد فيها غبرة .

[هذا صديقي] وأنا طفيليّ بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيليّ . فدخلنا ، وقُدّم إلينا طعامٌ عتيّدٌ طيبٌ نظيفٌ فأكلنا ، واحضرنا النبيذ ، وخرجتْ جاريتُه إلينا من غير سِتارةٍ ، فغنتْ غناءً حسناً شكلاً ظريفاً ، ثم غنّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه - وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبي عُيَيْنة :

[من الكامل]

صوت

ضَيَّعْتَ عَهْدَ قَتَى لِعَهْدِكَ حَافِظِي فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
إِنْ تَقْتُلِيهِ وَتَذْهَبِي بِفَوَائِدِهِ فِيحُسْنِ وَجْهِكَ لَا بِحُسْنِ صَيِّعِكَ

فَطَرِبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَنَقَطَهَا بِدَنَانِيرِ مُسَيِّفَةٍ¹ كَانَتْ مَعَهُ فِي خَرِيطَتِهِ ، وَوَجَّهَ غَلَامَهُ فَجَاءَهُ بِبِرِّيَّةٍ غَالِيَةٍ كَبِيرَةٍ ، فَغَلَّفَهَا² مِنْهَا وَوَهَبَ لَهَا الْبَاقِي . وَكَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ أَخٌ طَيِّبٌ ظَرِيفٌ يُكْنَى أَبُو هَارُونَ ، فَطَرِبَ وَنَعَرَ وَنَحَرَ ، وَقَالَ لِأَخِيهِ : أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئاً فِي السَّرِّ . قَالَ : قُلْهُ عَلَانِيَةً . قَالَ : لَا يَصْلُحُ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْءٌ إِلَّا بَالِي أَنْ تَقُولَهُ جَهْراً ، فَقُلْهُ . فَقَالَ : أَشْتَهِي عِلْمَ اللَّهِ أَنْ تَسْأَلَ أَبَا الصَّالِحَاتِ أَنْ يَبَيِّنَ لِي ، فَعَسَى صَوْتِي أَنْ يَنْفَتِحَ وَيَطِيبَ غِنَائِي . فَضَجِكَ أَبُو الصَّالِحَاتِ وَخَجَلَتِ الْجَارِيَةُ وَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ : سَخَنَتْ عَيْنُكَ ! فَإِنَّ حَدِيثَكَ يَشْبَهُ وَجْهَكَ .

صوت

[من الطويل]

وَإِيُّ أَخٍ تَبْلُو فَتَحَمَدَ أَمْرَهُ إِذَا لَحَجَّ خَصَمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزِلُ³
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُصَيِّفِ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ
إِذَا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكذُ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ
الشعر لمعن بن أوس المزني . والغناء لعريب [خفيف] رمل بالوسطى .

1 دينار مسيف : إذا كانت جوانبه نقية من النقش .

2 غلّفها : ضمخها وطيبها .

3 البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام رقم 8 ص 326 :

وَإِيُّ أَخِي أَخَاكَ الدَّائِمَ الْعَهْدَ لَمْ أَخُنْ إِنْ أَبْرَأَكَ خَصَمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزِلُ

[202] - أخبار معن بن أوس ونسبه

[نسبه]

هو معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسحَم بن زياد بن أسعد بن أسحَم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن عذَاء بن عثمان بن مُزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مُضر بن نزار . ونُسبوا إلى مُزينة وهي امرأة : مُزينة بنتُ كَلْب بن وبرة ، وأبوهم عمرو بن أد بن طابخة .

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخُزاعي وعمي قالوا : حدثنا أحمد بن الحارث الخُزاز عن المدائني قال : مُزينة بنتُ كَلْب بن وبرة ، تزوجها عمرو بن أد بن طابخة ، فولدت له عثمان وأوساً ، فغلبتُ أمهما على نَسبهما . فعلى هذا القول عذَاء هو ابن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة .

[شاعر فحل مخضرم له مدائح في الصحابة]

ومعنٌ شاعرٌ مُجيدٌ فحلٌ ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي ﷺ ورحمهم ، منهم عبد الله بن جحش ، وعمر بن أبي سلمة المخزومي . ووفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التي أولها :

تأوَّبه طيفٌ بذاتِ الجرائمِ فنامَ رَفيقاًه وليس بنائم¹

وعمرٌ بعد ذلك إلى أيامِ الفتنَةِ بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .

[رأي معاوية في شعر مزينة]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن المنذر الخُزاعي قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثوبان عن علقمة بن محجن الخُزاعي عن أبيه قال : كان معاوية يُفضِّل مُزينةً في الشعر ، ويقول : كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير ، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعبٌ ، ومعنٌ بن أوس .

[هو مثنث وله شعر في تفضيل البنات]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني العُتبيُّ قال : كان معنٌ بن أوس مثنثاً² ، وكان يُحسِن صُحبةً بناتِه وتربيتهن ؛ فولد لبعض عشيرته بنت

1 ذات الجرائم : موضع .

2 رجل مثنث : الذي يلد الإناث ، وكذلك المرأة .

فَكَرَّهَهَا وَأَظْهَرَ جَزَعًا مِنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ مَعْنٌ :

[من الطويل]

رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ
وَفِيهِنَّ ، وَالْأَيَّامُ تَعْتُرُ بِالْفَتَى ،
وَفِيهِنَّ ، لَا تُكْذَبُ ، نِسَاءُ صَوَالِحُ
نَوَادِبُ لَا يَمْلِكُنَّهٗ وَنَوَائِحُ

[مر به عبید الله بن العباس ، وقد كَفَّ بصره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّمِيرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ (يعني الحسن بن عَلِيْل) قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُؤَيْدِ بْنِ مَنجُوفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَرَّ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ
الْمَطَّلِبِ بِمَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمُزَنِّيِّ وَقَدْ كُفَّ بَصْرَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : ضَعُفُ
بَصَرِي وَكَثْرُ عِيَالِي وَغَلْبَنِي الدِّينُ . قَالَ : وَكَمْ دَيْنُكَ ؟ قَالَ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ
ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنَ الْغَدِّ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مَعْنُ ؟ فَقَالَ :

[من الطويل]

أَخَذْتُ بَعِيْنَ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ
وَبِالدَّيْنِ حَتَّى مَا أَكَادُ أَدَانُ
وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغِنَى
وَرَدَّ فُلَانٌ حَاجَتِي وَفُلَانُ

فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، إِنَّا بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالْأَمْسِ لُقْمَةً فَمَا لُكِنَهَا حَتَّى انْتَزَعْتَ مِنْ
يَدِكَ ، فَأَيُّ شَيْءٍ لِلْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ وَالْحَيْرَانِ ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أُخْرَى . فَقَالَ مَعْنٌ
يَمْدَحُهُ :

[من الطويل]

إِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّمَا
تَمُجُّ النَّدَى مِنْهَا الْبَحُورُ الْفَوَارِعُ
ثَوْرًا قَادَةً لِلنَّاسِ بِطُحَاءِ مَكَّةِ
لَهُمْ وَسِقَايَاتُ الْحَجِيجِ الدَّوَاعُ
فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكِ مِنْهُمْ
عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعَيُونُ الدَّوَامِعُ

[أعرابي زوجته حضريّة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْقُرَشِيُّ عَنْ
سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الزُّبَيْرِيِّ قَالَ : كَانَ لِمَعْنِ بْنِ أَوْسِ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا ثَوْرٌ وَكَانَ لَهَا مُجَبًّا ، وَكَانَتْ حَضْرِيَّةً
نَشَأَتْ بِالشَّامِ ، وَكَانَتْ فِي مَعْنِ أَعْرَابِيَّةً وَلَوْثَةً ، فَكَانَتْ تَضْحَكُ مِنْ عَجْرَفِيَّتِهِ . فَسَافَرَ إِلَى الشَّامِ فِي
بَعْضِ أَعْوَامِهِ ، فَضَلَّتْ الرُّفْقَةَ عَنِ الطَّرِيقِ وَعَدَلُوا عَنِ الْمَاءِ ، فَطَوَّأُوا مِنْزِلَهُمْ وَسَارُوا يَوْمَهُمْ
وَلَيْلَتَهُمْ ، فَسَقَطَ فَرَسُ مَعْنِ فِي وَجَارٍ ضَبَّ دَخَلَتْ يَدُهُ فِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْفَرَسُ أَنْ يَقُومَ مِنْ شِدَّةِ
الْعَطَشِ حَتَّى حَمَلَهُ أَهْلُ الرُّفْقَةِ حَمَلًا فَأَنْهَضُوهُ ، وَجَعَلَ مَعْنٌ يَقُودُهُ وَيَقُولُ :

[من الرجز]

لَوْ شَهِدْتَنِي وَجَوَادِي نَوْرُ
وَالرَّأْسُ فِيهِ مَيْلٌ وَمَوْزُ¹

لَضَحِكْتُ حَتَّى يَمِيلَ الْكُورُ¹

[قدومه على ابن الزبير بمكة فلم يحسن ضيافته ، وأكرمه غيره.]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكُرَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ : قَدِيمٌ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ مَكَّةَ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ فَأَنْزَلَهُ دَارَ الضَّيْفَانِ ، وَكَانَ يَنْزِلُهَا الْغُرَبَاءُ وَأَبْنَاءُ السَّبِيلِ وَالضَّيْفَانِ ، فَأَقَامَ يَوْمَهُ لَمْ يُطْعَمَ شَيْئاً ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَ مَعَهُ ابْنُ الزَّبِيرِ بَتَيْسٍ هَرَمٍ هَزِيلٍ فَقَالَ : كُلُّوْا مِنْ هَذَا ، وَهَمَّ نَيْفٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا ؛ فَعَضِبَ مَعْنٌ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَاتَى عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَقَرَأَهُ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ ، ثُمَّ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ وَحَدَّثَهُ حَدِيثَهُ ، فَأَعْطَاهُ حَتَّى أَرْضَاهُ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ رَحَلَ . فَقَالَ يَهْجُو ابْنَ الزَّبِيرِ وَيَمْدَحُ ابْنَ جَعْفَرَ وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ : [من الطويل]

ظَلَّلْنَا بِمُسْتَنَّ الرِّيَّاحِ غُدِيَّةً ²	إِلَى أَنْ تَعَالَى الْيَوْمُ فِي شَرِّ مَحْضَرٍ ²
لَدَى ابْنِ الزَّبِيرِ حَابِسِينَ بِمَنْزِلٍ ³	مِنَ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ وَالرَّفْدِ مُقْفِرٍ ³
رَمَانَا أَبُو بَكْرٍ وَقَدْ طَالَ يَوْمُنَا	بَتَيْسٍ مَنِ الشَّاءِ الْحِجَازِيِّ أَغْفَرٍ ⁴
وَقَالَ اطْعَمُوا مِنْهُ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ	وَسَبْعُونَ إِنْسَانًا فَيَالِئِمْ مَخْبِرٍ
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَقْرِنَا فَأَمَامَنَا	جِفَانُ ابْنِ عَبَّاسِ الْعُلَا وَابْنِ جَعْفَرٍ
وَكَنْ آمِنًا وَأَنْعَقْ بَتَيْسِكَ إِنَّهُ	لَهُ أَعَزُّ يَنْزُو عَلَيْهَا وَأَبْشَرٍ ⁵

[أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرِيّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْأَسَدِيّ قَالَ : قَدِيمٌ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمَزْنِيّ الْبَصْرِيُّ ، فَفَعَدَّ يُنْشِدُ فِي الْمَرْبَدِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ : يَا مَعْنُ مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

لَعَمْرُكَ مَا مُزِينَةٌ رَهْطُ مَعْنٍ
بِأَخْفَافٍ يَطَّانَ وَلَا سَبَامٍ

فَقَالَ مَعْنٌ : أَتَعْرِفُ يَا فَرَزْدَقُ الَّذِي يَقُولُ :

[من الوافر]

1 الكور هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلف به رأسها .

2 مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجري .

3 حابسين : أي محبوسون هنا .

4 أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير .

5 النعيق هنا : دعاء الراعي الشاء .

لَعَمْرُكَ مَا تَمِيمٌ أَهْلُ فُلَجٍ بِأُرْدَافِ الْمُلُوكِ وَلَا كِرَامٍ¹

فقال الفرزدق : حَسْبُكَ ؛ إِنَّمَا جَرَّبْتُكَ . قال : قد جَرَّبْتَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ . فانصرف وتركه .

[تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ أبو ذُفْلَفَ قال حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قال حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قال : دخلتُ خَضْرَاءَ رَوْحٍ ، فإذا أنا برجلٍ من ولده على فاحشةٍ يوماً ، فقلتُ : قَبْحَكَ اللهُ ! هذا موضعٌ كان أبوك يَضْرِبُ فيه الأَعناقَ وَيُعْطِي اللهُمَّي وَأَنْتَ تفعل [فيه] ما أرى ! فالتفت إليَّ من غير أن يزولَ عنها وقال :

وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّيِّعَا

إِذَا الْحَسَبُ الرَّفِيعُ تَوَاكَلْتُهُ بُنَاةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا

قال : والشَّعْرُ لمَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمُرْزَبِ .

[سافر إلى الشام وخلف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطاب]

أخبرني محمد بن جعفر النحويُّ صهر المُبَرِّدِ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ أَبُو عَصِيدَةَ عَنْ الْحِرْمَازِيِّ قال : سافر مَعْنُ بْنُ أَوْسِ إِلَى الشَّامِ وَخَلَّفَ ابْنَتَهُ لَيْلَى فِي جِوَارِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ، وَأُمُّهُ أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا ، وَفِي جِوَارِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ . فقال له بعض عشيرته : على مَنْ خَلَّفْتَ ابْنَتَكَ لَيْلَى بِالْحِجَازِ وَهِيَ صَبِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا مَنْ يَكْفُلُهَا ؟ فقال مَعْنُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا لَيْلَى بَدَارٍ مَضِيعَةٍ وَمَا شَيْخُهَا أَنْ غَابَ عَنْهَا بِخَائِفِ

وَإِنَّ لَهَا جَارَيْنِ لَنْ يَغْدُرَا بِهَا رَيْبَ النَّبِيِّ وَابْنَ خَيْرِ الْخَلَائِفِ

[رأي عبد الملك في شعر معن]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَتَرِيُّ قال حَدَّثَنِي مَسْعُودُ بْنُ بَشْرٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَحْسَنَ شِعْرٍ سَمِعَ بِهِ ؛ فَذَكَرُوا لَامِرِيءَ الْقَيْسِ وَالْأَعْشَى وَطَرْفَةَ فَأَكْثَرُوا حَتَّى أَتَوْا عَلَى مَحَاسِنِ مَا قَالُوا . فقال عبد الملك : أَسْعُرُهُمُ وَاللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :

[من الطويل]

1 فليح هنا : واد بين البصرة وحى ضربة من منازل عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم . الأرداف : جمع ردف وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غوا .

وذي رَجِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ
بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمِّتُهُ وَصَلَ الْقَرَابَةَ سَامِنِي
فَأَسْعَى لِكَيْ أَنْبِي وَيَهْدِمُ صَالِحِي
فَأَسْعَى لِكَيْ أَنْبِي وَيَهْدِمُ صَالِحِي
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ
فَمَا زِلْتُ فِي لِينٍ لَهُ وَتَعَطُّفِي
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّغْنَ حَتَّى سَلَّتْهُ
وَأَسْعَى لِكَيْ أَنْبِي وَيَهْدِمُ صَالِحِي

قالوا : وَمَنْ قَائِلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : مَعْنُ بْنُ أَوْسِ الْمُرِّيِّ .

[خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلي ثم عودته إلى زوجته الأولى]

أخبرني عيسى بن حسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان ابن عيَّاش السَّعْدِيُّ عن أبيه قال : خرج معنُ بنُ أَوْسِ الْمُرِّيِّ إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له ؛ فلما قَدِمَهَا نزل بقومٍ من عشيرته ، فتولَّتْ ضيافته امرأةٌ منهم يقال لها ليلي ، وكانت ذات جمال ويسار ، فخطبها فأجابته فتزوجها ، وأقام عندها حولاً في أنعم عيش . فقال لها بعد حَوْلٍ : يا ابنة عمِّ ، إنِّي قد تركتُ ضيعةً لي ضائعةً ، فلو أذنت لي فاطلعتُ¹ [طلعت] أهلي ورَمَمْتُ² من مالي ! فقالت : كم تقيم ؟ قال : سنةً ، فأذنت له . فأتى أهله فأقام فيهم وأزمنَ عنها (أي طال مُقامه) . فلما أبطأ عليها رحلتُ إلى المدينة فسألتُ عنه ، فقيل لها : إنَّه بعمقٍ (وهو ماءٌ لِمُرَيْنَةَ) . فخرجتُ ، حتَّى إذا كانت قريةً من عمقٍ نزلتُ منزلاً كريماً . وأقبل معن في طلب ذؤودٍ له قد أضلَّها وعليه مدرعةٌ من صوفٍ وبِتُّ من صوفٍ أخضر ، قال : والبِتُّ : الطيلسان ، وعمامةٌ غليظةٌ . فلما رُفِعَ³ له القومُ مال إليهم لِيَسْتَسْقِي ، ومع ليلي ابنُ أخٍ لها ومولىٌ من موالِها جالسٌ أمام خيَّابٍ له . فقال له معنٌ : هل من ماءٍ ؟ قال : نعم ، وإن شئتَ سويقاً ، وإن شئتَ لبناً ؛ فأناخ . وصاح مولى ليلي : يا مُنْهَلَةَ ، وكانت مُنْهَلَةُ الوصيْفَةُ التي تقوم على معنٍ عندهم بالبصرة ، فلما أتته بالقدح وعرفها وحسّر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح في يده وأقبلتُ مسرعةً إلى مولاتها فقالت : يا مولاتي ، هذا والله معنٌ إلاَّ أنه في جَبَّةِ صُوفٍ وبِتُّ صوفٍ . فقالت : هو والله عَيْشُهُمْ ، الْحَقِّي مولاي فقولي له : هذا معنٌ ، فاحبسْه . فخرجتُ الوصيْفَةُ مُسرعةً فأخبرت . فوضع معنُ القدح وقال له : دَعْنِي حتَّى ألقاها في غير هذا الزَّيِّ . فقال :

1 اطلع طلعه : عرف أمره .

2 رممت من مالي : أصلحت .

3 رُفِعَ له الشيء : أبصره عن بُعد .

لستَ بارحاً حتى تدخل عليهما . فلما رأته قالت : أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا معن ؟ ! قال : إي والله يا ابنة عمِّ ! أما إنك لو أقمتِ إلى أيام الربيع حتى يُنبتَ البلد الخزامى والرُخامي¹ والسَّخِير² والكمأة³ ، لأصبتَ عيشاً طيباً . فغسلتُ رأسه وجسده ، وألبسته ثياباً ليّنة ، وطيبته ، وأقام معها ليلته أجمع يهرجها³ ، ثم غدا متقدماً إلى عمّي حتى أعدّ لها طعاماً ونحر ناقه وغنماً ، وقدمتُ على الحيّ ، فلم تبق [فيهم] امرأة إلا أتتها وسلّمتُ عليها ، فلم تدعْ منهن امرأة حتى وصلتها . وكانت لمعن امرأة بعمّي يقال لها أم حقة . فقالت لمعن : هذه والله خير لك مني ، فطلّقني ، وكانت قد حملتُ فدخله من ذلك وقام . ثم إن ليلى رحلتُ إلى مكة حاجّةً ومعن معها . فلما فرغا من حجّهما انصرفا ، فلما حاذيا مُنرَجَ الطريق إلى عمّي قال معن : يا ليلى ، كأن فوادي ينعرجُ إلى ما هاهنا . فلو أقمتِ سنتنا هذه حتى نَحجَّ من قابلٍ ثم نرحلَ إلى البصرة ؛ فقالت : ما أنا بيارحية مكاني حتى ترحلَ معي إلى البصرة أو تطلّقني . فقال : أما إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق . فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عمّي . فلما فارقتَه ندِمَ وتبعتها نفسه ؛ فقال في ذلك :

[من الطويل]

تَوَهَّمْتُ رُبْعاً بِالْمُعْبَرِ وَاضِحاً	أَبَتْ قَرَّتَاهُ الْيَوْمَ إِلَّا تَرَاوِحاً ⁴
أُرَيْتُ عَلَيْهِ رَادَةٌ حَضْرَمِيَّةً	وَمُرْتَجِزٌ كَأَنَّ فِيهِ الْمَصَابِحَا ⁵
إِذَا هِيَ حَلَّتْ كَرْبَلَاءَ فَلَعْلَعاً	فَجَوَزَ الْعُذَيْبِ بَعْدَهَا فَالذَّوَابِحَا ⁶
وَبَانَتْ نَوَاهَا مِنْ نَوَاكٍ وَطَاوَعَتْ	مَعَ الشَّائِنِينَ الشَّامِتَاتِ الْكَوَاشِحَا
فَقُولَا لِلَّيْلِ هَلْ تُعَوِّضُ نَادِماً	لَهُ رَجْعَةً قَالَ الطَّلَاقَ مُمَازِحَا
فَإِنْ هِيَ قَالَتْ لَا فَقُولَا لَهَا بَلِي	أَلَا تَتَّقِينَ الْجَارِيَاتِ الذَّوَابِحَا

وهي قصيدة طويلة . فلما انصرف ليلى معه قالت له امرأته أم حقة : ما فعلت ليلى ؟ قال : طلّقتها . قالت : والله لو كان فيك خيرٌ ما فعلت ذلك ، فطلّقني أنا أيضاً . فقال لها معن :

[من الوافر]

- 1 الرُخامي : نبتة غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تحفره الحمر بجوافرها .
- 2 السَّخِير : يشبه الثمام له جرثومه وعيدانه كالكرات في الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رؤوسه وانحنت .
- 3 يهرجها : يُجامعها .
- 4 المعبر : موضع تلقاء الودعات من البقيع . قرّناه : الغداة والعشي .
- 5 أُرَيْتُ : أقامت .
- 6 لعلع والعديب والنوايح مواضع متقاربة بظاهر الكوفة .

أَعَاذِلُ أَقْصِرِي وَدَعِي نِيَاتِي فَإِنَّكَ ذَاتُ لَوَمَاتٍ حُمَاتٍ¹
 فَإِنَّ الصُّبْحَ مُنْتَظَرٌ قَرِيبٌ وَإِنَّكَ بِالْمَلَامَةِ لَنْ تُفَاتِي
 نَأْتُ لَيْلِي فَلَيْلِي لَا تُوَاتِي وَضَنْتُ بِالْمَوْدَةِ وَالْبَيَاتِ
 وَحَلَّتْ دَارُهَا سَفْوَانَ بَعْدِي فَذَا قَارَ فَمُنْخَرَقَ الْفُرَاتِ²
 تُرَاعِي الرَّيْفَ دَانِيَةً عَلَيْهَا ظِلَالُ أَلْفٍ مُخْتَلِطِ النَّبَاتِ
 فَدَعَهَا أَوْ تَنَاوَلَهَا بَعْسٌ مِنْ الْعَيْدِي فِي قُلُوصِ شِخَاتِ³

وهي قصيدة طويلة . قال : وقال لأم حجة في مُطالبتها إياه بالطلاق : [من الطويل]

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَا أُمَّ حِجَّةَ قَبْلَ ذَا بِمِيطَانَ مُصْطَافٍ لَنَا وَمَرَاعٍ⁴
 وَإِذْ نَحْنُ فِي غُصْنِ الشَّبَابِ وَقَدْ عَسَا بِنَا الْآنَ إِلَّا أَنْ يُعَوِّضَ جَارِعُ⁵
 فَقَدْ أَنْكَرْتَهُ أُمَّ حِجَّةَ حَادِثًا وَأَنْكَرَهَا مَا شِئْتَ وَالْوُدَّ خَادِعُ
 وَلَوْ آذَنْتَنَا أُمَّ حِجَّةَ إِذْ بِنَا شِبَابٌ وَإِذْ لَمَّا تَرَعْنَا الرَّوَائِعُ
 لَقُلْنَا لَهَا بَيْنِي بَلِيلٌ حَمِيدَةٌ كَذَاكَ بِلَا ذَمٍّ تُوَدِّي الصَّنَائِعُ

صوت

[من الطويل]

أَعَابِدُ حَيِّتُمْ عَلَى النَّأْيِ عَابِدَا سَقَاكَ إِلَاهُ الْمُنْشَاتِ الرَّوَاعِدَا
 أَعَابِدَ مَا شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا بَدَتْ بِأَحْسَنَ مِمَّا بَيْنَ عَيْنَيْكَ عَابِدَا

ويروى :

أَعَابِدَ مَا شَمْسُ النَّهَارِ بَدَتْ لَنَا

ويروى :

أَعَابِدُ مَا الشَّمْسُ الَّتِي بَرَزَتْ لَنَا بِأَحْسَنَ مِمَّا بَيْنَ ثَوْبَيْكَ عَابِدَا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب . والغناء لعطرد ثاني ثقيلٍ بالبصرة . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَسٍ .

1 دعوي لومي في البيات . حمات : جمع حمة ، وهي السم .

2 سفوان الآن بلدة قريبة من البصرة .

3 العيدي : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية ، أو هو نسبة إلى رجل . الشخات : جمع شخنة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لا هزالاً .

4 مييطان : من جبال المدينة .

5 عسا النبات : غلظ ويس .

[203] - أخبار الحسين بن عبد الله

[شعره في عابدة قبل زواجه بها]

قد تقدّم نسبه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكنى أبا عبد الله . وكان من فتيان بني هاشم
وظرفائهم وشعرائهم . وقد روى الحديث وحُمِلَ عنه ، وله شعرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها
في زوجته عابدة بنت شُعَيْب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي أخت عمرو بن
شُعَيْب الذي يُروى عنه الحديث . وفيها يقول قبل أن يتزوجها : [من الطويل]

صوت

أعابدُ إنّ الحبَّ لا شكَّ قاتلي لئن لم تُقارِضني هوى النفسِ عابِدةُ
أعابدُ خافي الله في قتلِ مُسلمٍ وجُودي عليه مرّةً قطُّ واحدُ
فإنّ لم تُريدي في أجراً ولا هوى لكم غيرَ قتلي يا عبيدةُ فراشِدةُ
فكمّ ليلةٍ قد بتُّ أرعى نُجومها وعبيدةُ لا تدري بذلك راقِدةُ

الغناء لحكم الوادي ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البُنصر ، عن إسحاق .

[لا حرج إن شاء الله]

فيمّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدّثني به أحمد بن سعيد قال حدّثني محمد بن عبّيد الله
[ابن] المنادي قال حدّثني يونس بن محمد قال حدّثنا أبو أويس عن حسين بن عبد الله بن
عبّيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : مرّ النبي ﷺ على حسان بن ثابت وهو
في ظلِّ فارِع¹ وحواله أصحابه وجاريتُه سيرين تُغنيه بمزهرها : [من مجزوء الخفيف]

هَلْ عَلِيٌّ وَيَحْكُمَا إنّ لَهَوْتُ من حَرَجِ

فضحك النبي ﷺ ثم قال : « لا حَرَجَ إن شاء الله » .

وكانت أمّ عابدة هذه عمّة حسين بن عبد الله بن عبّيد الله ، أمّها عمرة بنت عبّيد الله بن
العبّاس ، تزوّجها شعيب فولدت له محمداً وشُعيباً ابني شعيب وعابدة ، وكان يقال لها عابدة
الحسن ، وعابدة الحسناء .

[عابدة تزوجت الحسين بن عبد الله ، والتعريف به]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن

يحيى قال : خَطَبَ عابدة بنتَ شُعَيْبِ بَكَارِ بنِ عبدِ الملكِ وحُسَيْنِ بنِ عبدِ الله ، فامتنعتُ على بَكَارِ وتزوَّجتِ الحسين . فقال له بَكَارِ : كيف تزوَّجتِ العابدةَ واختارتكِ مع فقركَ ؟ فقال له الحسين : **أَتَعَيَّرْنَا بِالْفَقْرِ** وقد نَحَلْنَا اللهُ تعالى الكَوَثَرَ !

أخبرني الحرَمِيُّ والطُّوسِيُّ قالا حدَّثنا الزبير بن بَكَارِ عن عمِّه قال : كان حسين بن عبد الله أمُّهُ أُمٌ وَلِدٌ ، وكان يقول شيئاً من الشعر ، وتزوج عابدة بنت شعيب وولدت منه ، وبسببها رُدَّتْ على ولدِ عمرو بن العاصِ أموالُهم في دولة بني العباس . وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تعكَّرَ ما بينهما ؛ فقال فيه ابن معاوية : [من مجزوء الكامل]

إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ وَابْنَ أُمَّ	كَ مُعَلِّمٌ شَاكِي السَّلَاحِ
يَقْصُ الْعَدُوَّ وَلَيْسَ يَرُ	ضَى حِينَ يَيْطِشُ بِالْجِرَاحِ ¹
لَا تَحْسَبَنَّ أَدَى ابْنِ عَمِّ	كَ شُرْبَ أَلْبَانِ اللَّفَاحِ
بَلْ كَالشَّجَاةِ وَرَا اللَّهََا	وَ إِذَا تُسَوَّغُ بِالْقِرَاحِ
فَاخْتَرَتْ لِنَفْسِكَ مَنْ يُجِي	بُكَ تَحْتَ أَطْرَافِ الرَّمَاكِ
مَنْ لَا يَزَالُ يَسُوؤُهُ	بِالْغَيْبِ أَنْ يَلْحَاكَ لِاحِي

فقال حسين له :

أَبْرَقُ لِمَنْ يَخْشَى وَأَوْ	عِدْ غَيْرَ قَوْمِكَ بِالسَّلَاحِ
لَسْنَا نَقْرُ لِقَائِي	إِلَّا الْمُقْرَطَ بِالصَّلَاحِ ²

قال : وحسين يقول ابن معاوية :

قُلْ لِيذِي الْوُدِّ وَالصَّفَاءِ حُسَيْنِ	أَقْدِرِ الْوُدَّ بَيْنَنَا قَدْرَهُ
لَيْسَ لِلدَّابِغِ الْمُحَلَّمِ بُدٌّ	مِنْ عِتَابِ الْأَدِيمِ ذِي الْبَشْرَةِ ³
لَسْتُ إِنْ رَاغَ ذُو إِخَاءِ وَوُدٌّ	عَنْ طَرِيقِي بِتَابِعِ أَثْرَهُ
بَلْ أَقِيمُ الْقَنَاةَ وَالْوُدَّ حَتَّى	يَتَّبَعَ الْحَقُّ بَعْدُ أَوْ يَذْرَهُ

[كان صديقاً لابن أبي السمع ومدحه]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام قال :

1 وقص : كسر .

2 المقرط بالصلاح : الموسوم به .

3 المحلَّم : الذي ينزع الحلم (وهو دود) عن الجلد . إشارة إلى المثل «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة» .

كان مالك بن أبي السَّمْح الطائِي المَغْنِي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس وندماً له ، وكان يتغنى في أشعاره . وله يقول الحسين رحمه الله تعالى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْدِ حَ فَلَ تَلَحَّنِي وَلَا تَلْمِ
أَبْيَضُ كَالسَيْفِ أَوْ كَمَا يَلْمَعُ الْـ بَارِقُ فِي حِنْدِسٍ مِنَ الظُّلْمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الْكَرِيمِ وَلَا يَهْتِكُ حَقَّ الْإِسْلَامِ وَالْحُرْمِ
يَا رَبُّ لَيْلٍ لَنَا كَحَاشِيَةِ الْـ بُرْدٍ وَيَوْمٍ كَذَاكَ لَمْ يَدْمِ
قَدْ كُنْتُ فِيهِ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمِ ح الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ
مَنْ لَيْسَ يَعْصِيكَ إِنْ رَشِدْتَ وَلَا يَجْهَلُ آيَ التَّرْخِيصِ فِي اللَّمَمِ

قال : فقال له مالك : ولا إن عَوَيْتَ والله بأبي [أنت] وأمي أعصيك . قال وغنى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد ، فقال له : أخطأ حسين في صِفَتِكَ ، إنما كان ينبغي أن يقول :

أَحْوَلُ كَالْقَرْدِ أَوْ كَمَا يَخْرُجُ الْـ سَّارِقُ فِي حَالِكِ مِنَ الظُّلْمِ

[الحسين بن يحيى وجه الغناء]

[أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صلى العصر دخل منزله وسمع الغناء عشيته . فأتاه قومٌ ذات عشية في حاجة لهم فقضاها ، ثم جلسوا يحدثونه . فلما أطالوا قال لهم : أتأذنون ؟ فقالوا نعم . فقام في أصحاب له وهو يقول :

قَوْمُوا بِنَا نُذْرِكُ مِنَ الْعَيْشِ لَذَّةً وَلَا إِثْمَ فِيهَا لِلتَّقِيِّ وَلَا عَارًا]

صوت

[من الخفيف]

إِنَّ حَرْبًا وَإِنَّ صَخْرًا أَبَا سُفْ بِيَانَ حَازَا مَجْدًا وَعِزًّا تَلِيدَا
فَهُمَا وَارِثَا الْعُلَا عَنْ جُدُودِ وَرِثُوهَا آبَاءَهُمِ وَالْجُدُودَا

الشعر لفصالة بن شريك الأسيدي من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية . وبعد هذين البيتين يقول :

وَحَوَى إِرْثَهَا مُعَاوِيَةُ الْقَرِّ مُ وَأَعْطَى صَفْوَةَ التُّرَاثِ يَزِيدَا
وَالْغِنَاءَ لِإِبْرَاهِيمِ بْنِ خَالِدِ الْمُعِيطِيِّ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبِنَصْرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

[204] - أخبار فضالة بن شريك ونسبه

[نسبه]

هو فضالة بن شريك بن سلمان¹ بن خويلد بن سلمة بن عامر موقد النار بن الحريش بن نمير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان [بن أسد] بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام . وكان له ابنان شاعران ، أحدهما عبد الله بن فضالة الوafd على عبد الله بن الزبير والقائل له : إن ناقتي قد نَقَيْتَ² ودَبَّرْتَ ؛ فقال له : ارقعها بجِلْدٍ واخصفها بهُلْبٍ³ وسِرْ بها البردَيْنِ⁴ .

[ابن فضالة يقول لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك]

فقال له : إني قد جئتك مُستَحِملاً لا مستشيراً ، فلَعَنَ اللهُ ناقةَ حملتني إليك . فقال له ابن الزبير : إن وراكبها . فانصرف من عنده وهو يقول :

[من الوافر]

أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادِ	أَقُولُ لِعِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِي
إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ ⁵	فَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِ
وَتَعْلِيْقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ ⁶	سَيِّعِدُ بَيْنَنَا نَصُ الْمَطَايَا
مَنَاسِمُهُنَّ طَلَاعَ النَّجَادِ	وَكُلُّ مُعْبَدٍ قَدْ أَعْلَمْتُهُ
نَكِدْنَ وَلَا أُمِيَّةً بِالْبِلَادِ ⁷	أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ
أَغْرُ كَفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ	مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ

[ابنه فاتك ومدح الأقيشر له]

حدَّثنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني . فأما فاتك ابن فضالة فكان سيِّداً جَوَاداً . وله يقول الأقيشر يمدحه :

[من الكامل]

- 1 ل : سليمان .
- 2 يقال : نقب البعير ، إذا حفي ورقَّت أخفافه ، والدبّر : جرح يكون في ظهر الدابة .
- 3 الهلب : الشعر .
- 4 البردان : الغداة والعشي .
- 5 ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة . ابن الكاهلية : يريد ابن الزبير .
- 6 نص المطايا : سيرها الشديد ، الأداوي جمع إداوة وهي المطهرة . والمزاد : الأسقية ، واحدها مزادة .
- 7 أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير . نكدن : تعسرن .

وَقَدِ الْوَفُودُ فَكُنْتَ أَوْلَ وَافِدٍ يَا فَاتِكُ بْنُ فَضَالَةَ بْنِ شَرِيكِ

[مرّ فضالة بعاصم بن عمر بن الخطاب فلم يقره فهجاه]

أخبرني بما أذكر من أخباره هاهنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب ، وما ذكرته متفرقاً فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذته . قال ابن حبيب : مرّ فضالةُ بن شريكٍ بعاصم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنهما ، وهو متبذّبٌ بناحية المدينة ، فنزل به فلم يقره شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ ، وقد عرفوه مكانهم ، فارتحلوا عنه . والتفت فضالةُ إلى مولى لعاصمٍ فقال له : قلْ له : أما والله لأطوّقنك طوقاً لا يبلى . وقال بهجوه :

[من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي الْقَرِي لَسْتَ وَاحِداً	قِرَاكُ إِذَا مَا بَتَّ فِي دَارِ عَاصِمِ
إِذَا جِئْتَهُ تَبْعِي الْقَرِي بَاتَ نَائِماً	بَطِيناً وَأَمْسَى ضَيْفُهُ غَيْرَ نَائِمِ
فَدَعُ عَاصِماً أَفٌ لَأَفْعَالِ عَاصِمِ	إِذَا حُصِّلَ الْأَقْوَامُ أَهْلُ الْمَكَارِمِ
فَتَى مَنْ قَرِيشٍ لَا يَجُودُ بِنَائِلِ	وَيَحْسَبُ أَنَّ الْبُخْلَ ضَرْبُهُ لَازِمِ
وَلَوْلَا يَدُ الْفَارُوقِ قَلَّدْتُ عَاصِماً	مُطَوَّقَةً يُحْدِي بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ
فَلَيْتَكَ مِنْ جَرَمِ بْنِ زَبَّانٍ أَوْ بَنِي	فُقَيْمٍ أَوْ التُّوكْسِيِّ أَبَانَ بْنِ دَارِمِ
أُنَاسٍ إِذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ يُبِوتَهُمْ	غَدَا جَائِعاً عَيْمَانَ لَيْسَ بِغَانِمِ ¹

[قال] : فلما بلغتْ أبياته عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذ

بالمدينة أميرٌ ، فهرب فضالةُ بن شريك فلاحق بالشام ، وعاذ بيزيد بن معاوية وعرفه ذنبه وما تخوف من عاصم ؛ فأعاده ، وكتب إلى عاصمٍ يخبره أن فضالةً أتاه مستجيراً به ، وأنه يحب أن يهبه له . ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ، ويضمن له ألا يعود لهجائه ؛ فقبل ذلك عاصمٌ وشقّع يزيد بن معاوية . فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية :

[من الطويل]

إِذَا مَا قُرَيْشٌ فَاخَرَتْ بِقَدِيمِهَا	فَخَرَّتْ بِمَجْدٍ يَا زَيْدُ تَلِيدِ
بِمَجْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَزَلْ	أَبُوكَ أَمِينُ اللَّهِ غَيْرَ بَلِيدِ
بِهِ عَصَمَ اللَّهُ الْأَنَامَ مِنَ الرَّدَى	وَأَدْرَكَ تَبْلًا مِنْ مَعَاشِرِ صَيْدِ ²
وَمَجْدِ أَبِي سُفْيَانَ ذِي الْبَاعِ وَالنَّدَى	وَحَرْبٍ وَمَا حَرْبُ الْعُلَا بَرْهِيدِ

1 عيمان : عطشان .

2 التبل : الثار .

فَمَنْ ذَا الَّذِي إِنْ عَدَّدَ النَّاسُ مَجْدَهُمْ يَجِيءُ بِمَجْدٍ مِثْلَ مَجْدِ يَزِيدٍ

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصة بعينها .

[هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكْرِيُّ عن ابن حبيب قال : كان عبد الله بن الزبير قد ولَّى عبد الله بن مُطِيع بن الأسود بن نَضْلَةَ بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبي عبيد حين ظهر ؛ فقال فضالة بن شريك يهجو ابن مُطِيع :

دعا ابن مُطِيعٍ لِلْبِيعِ فَجِئْتُهُ
فَقَرَّبَ لِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا
مَعُودَةً حَمَلَ الْهَرَاوِي لِقَوْمِهَا
مِنَ الشُّنَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ لَمَسَهَا
وَلَمْ يُسْمِرْ إِذْ بَايَعْتُهُ مِنْ خَلِيفَتِي
مَتَى تَلَقَّ أَهْلَ الشَّامِ فِي الْخَيْلِ تَلَقَّنِي
مُمَرَّ كُبَيْانِ الْعِبَادِي مُخْطَفٍ
إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي بِهَا غَيْرُ عَارِفٍ
بِكَفِّي لَمْ تُشْبِهْ أَكْفَ الْخَلَائِفِ
فَرُوراً إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ التَّسَايِفِ¹
وَلَيْسَتْ مِنَ الْبَيْضِ السَّيَاطِ اللَّطَائِفِ
وَلَمْ يَشْتَرِطْ إِلَّا اشْتِرَاطَ الْمُجَازِفِ
عَلَى مُقَرَّبٍ لَا يُزْدِيهِ بِالْمَجَازِفِ²
مِنَ الضَّارِبَاتِ بِالْدَّمَاءِ الْخَوَاطِفِ³

[هجا عامر بن مسعود لأنه تسول في جمع صدق زوجته]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوج عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي امرأة من بني نصر بن معاوية ، وسأل في صداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كل رجل سألته درهمين درهمين . فقال له فضالة بن شريك يهجو بقوله :

أَنْكَحْتُمْ يَا بَنِي نَصْرِ فِتَاتِكُمْ
وَجَهًا يَشِينُ وَجُوهَ الرَّبِّ الْعَيْنِ
أَنْكَحْتُمْ لَا فَتَى دُنْيَا يُعَاشُ بِهِ
وَلَا شُجَاعاً إِذَا انشَقَّتْ عَصَا الدِّينِ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَبَا حَفْصٍ وَسُنَّتُهُ
حَتَّى نَكَحْتَ بِأَرْزَاقِ الْمَسَاكِينِ

[هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : أودع فضالة بن شريك رجلاً من بني سليم يقال له قيس ناقةً ، فخرج في سفر ، فلما عاد طلبها منه ، فذكر أنها سرقت . فقال

1 التَّسَايِفِ : التضارب بالسيوف .

2 الْمُقَرَّبِ مِنَ الْخَيْلِ : الذي يقرب مربوطه ومعلقه لكرامته . ولا يزدهي : لا يستخف .

3 مُمَرَّ : موقت الخلق . العباديون : نصارى الحيرة . ضرى بالشيء : لهج به وأغرم .

[فيه] :

[من المتقارب]

وَلَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَطْنِ الْعَقِيقِ ذَكَرْتُ وَذُو اللَّبِّ يَنْسَى كَثِيرًا
 مُصَابَ سُلَيْمٍ لِقَاحِ النَّبِيِّ لَمْ أُودِعِ الدَّهْرَ فِيهِمْ بَعِيرًا¹
 وَقَدْ فَاتَ قَيْسٌ بَعِيرَانَةَ إِذَا الظِّلُّ كَانَ مَدَاهُ قَصِيرًا
 مِنَ اللَّاعِيَاتِ بِفَضْلِ الزَّمَامِ إِذَا أَقْلَقَ السَّيْرُ فِيهِ الضُّفُورًا²
 وَمَنْ يَبْكُ مِنْكُمْ بَنِي مُوقِدٍ وَلَمْ يَرَهُمْ يَبْكُ شَجْوًا كَبِيرًا
 هُمْ الْعَاسِفُونَ صِلَابُ الْقَنَا إِذَا الْخَيْلُ كَانَتْ مِنَ الطَّعْنِ زُورًا³
 وَأَيْسَارُ لُقْمَانَ إِذْ أَمْجَلُوا وَعِزٌّ لِمَنْ جَاءَهُمْ مُسْتَجِيرًا⁴
 فَإِنَّا لَمْ يُقْضَ لِي الْقَهْمُ قَرَأْتُ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا

[عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنه لفضالة]

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أن القصيدة التي ذكرتها عن المدائني في خبر عبد الله بن فضالة بن شريك مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه ، وذكر الأبيات وزاد فيها :

[من الوافر]

شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنْ نَقَبْتُ قَلُوصِي فَرَدَّ جَوَابَ مَشْدُودِ الصَّفَادِ⁵
 يَضِينُ بِنَاقَةٍ وَيَرُومُ مُلْكَأ مُحَالٌ ذَلِكَمُ غَيْرُ السَّدَادِ
 وَكَلِمَاتُ إِمَارَةٍ فَبَخَلَتْ لِمَا وَكَلِمَاتُ بِنَاقَةٍ فَبَخَلَتْ لِمَا
 فَإِنْ وَكَلِمَاتُ أُمِّيَّةٍ أَبْدَلُوكُمْ بِكُلِّ سَمِيدَعٍ وَارِي الزُّنَادِ
 مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
 إِذَا لَمْ الْقَهْمُ بِمَنَى فَإِنِّي بَيْتٌ لَا يَهَشُّ لَهُ فَوَادِي
 سَيِّدُنِي لَهُمْ نَصُّ الْمَطَايَا وَتَعْلِيْقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ
 وَظَهْرُ مُعَبَّدٍ قَدْ أَعْمَلْتُهُ مَنَاسِمُهُنَّ طَلَاعِ النَّجَادِ

1 اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحداً لقوح ولقحة .

2 الضفور : جمع ضفر ما يشد به البعير من الشعر المظفور .

3 زور : مائلات ، واحداً أوزور وزوراء .

4 أيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر ، الواحد يسر .

5 الصفاد : ما يوثق به الأسير من قَدَّ أو قيد .

رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُنَاصِرَاتٍ وما بالعَرَقِ من سَبَلِ العَوَادِي¹
 فَهِنَّ خَوَاضِعُ الأَبْدَانِ قُودٌ كَأَنَّ رُووسَهُنَّ قَبُورٌ عَادٍ²
 كَأَنَّ مَوَاقِعَ الغِرَابَانِ مِنْهَا مَنَارَاتٌ يُبَيِّنُ عَلَى عِمَادٍ³

[طلب عبد الملك فضالة فوجده قد مات فأكرم أهله]

[قال] : فلَمَّا وُلِّيَ عبدُ الملك بعث إلى فَضالَةَ يَطْلُبُهُ ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقيةٍ تحمل وقرها بُرًّا وتمراً . [قال] : والكاهلية التي ذكرها زهرة بنت خنثر امرأة من بني كاهل بن أسد ، وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى .

صوت

[من الطويل]

لقد طال عَهْدِي بالإمامِ محمدٍ وما كنتُ أخشى أن يطولَ به عهدي
 فأصبحتُ ذا بُعْدٍ وداري قريّةً فَوَاعَجَبَا من قُرْبِ دارِي ومن بُعْدِي
 فيا لَيْتَ أن العَيْدَ لي عاد يَوْمُهُ فَإِنِّي رأيتُ العَيْدَ وَجْهَكَ لي يُبْدِي
 رأيتُكَ في بُرْدِ النبيِّ محمدٍ كَبَدْرِ الدُّجَى بين العِمَامَةِ والبُرْدِ
 الشعر لأبي السَّمْطِ مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة .
 والغناء لُبنانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد . وذكر الصُّوْلِيَّ أنَّ هذا الشعر ليحيى بن
 مروان . وهذا غلط قبيح .

1 خناصرات : خناصرة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .

2 قود : جمع أقود وقوداء . والقود : طول الظهر والعتق .

3 الغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب . والغراب أيضاً : فذال الرأس .

[205] - أخبار مروان الأصغر

[كان أهله شعراء]

قد مرّ نسبه في نسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتقدِّماً . وكان مروان هذا آخرَ مَنْ بَقِيَ منهم يُعَدُّ في الشعراء ، وبقي بعده منهم مُتَوَجِّحٌ . وكان ساقطاً بارد الشعر . فذُكِرَ لي عن أبي هِفَانٍ أَنَّهُ قَالَ : شِعْرُ آلِ أَبِي حَفْصَةَ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ الْحَارِّ . ابْتِدَاؤُهُ فِي نَهَايَةِ الْحَرَارَةِ ثُمَّ تَلِينُ حَرَارَتِهِ ، ثُمَّ يَفْتَرُّ ثُمَّ يَبْرُدُ ، وَكَذَا كَانَتْ أَشْعَارُهُمْ ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى مُتَوَجِّحٍ جَمَدَ .

وهذا الشعر يقوله مروان في المنتصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خِلافاً لأبيه في سائر مذاهبه حتى في التشيع ، فطرد مروان لنصبه ، وأخرجه عن جلسائه . فقال هذه الأبيات وسأل بُنَانَ بن عمرو فغنى فيها المنتصر ليستعطفه . وخبره في ذلك يُذَكِّرُ في هذا الموضع من الكتاب . إن شاء الله .

[مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعته ضيعة]

أخبرني عمِّي وحبيبُ بن نصر المهلبِيّ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بن أَحْمَدَ بن سُلَيْمَانَ الكَلْبِيّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو السَّمْطِ مَرْوَانَ الْأَصْغَرَ قَالَ : لَمَّا دَخَلْتُ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ مَدْحَتَهُ وَمَدَحَتُ وُلاةِ الْعُهُودِ الثَّلَاثَةِ ، وَأَنْشَدْتُهُ :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدِ وَيَا حَبْدًا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَغْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى نَجْدًا وَهِيهَاتَ مِنْ نَجْدِ
وَنَجْدٌ بِهَا قَوْمٌ هَوَاهُمْ زِيَارَتِي وَلَا شَيْءَ أَحْلَى مِنْ زِيَارَتِهِمْ عِنْدِي

قال : فَلَمَّا فَرَّغْتُ مِنْهَا أَمَرَ لِي بِمِائَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا وَثَلَاثَةَ مِنَ الظَّهْرِ فَرَسٍ وَبَغْلَةٍ وَحِمَارٍ ، وَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى قَلْتُ قَصِيدَتِي الَّتِي أَشْكُرُهُ فِيهَا وَأَقُولُ :

تَخَيَّرَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ جَعْفَرًا وَمَلَكَهُ أَمْرَ الْعِيَادِ تَخَيَّرًا
فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ :

فَأَمْسِكْ نَدَى كَفَيْكَ عَنِّي وَلَا تَزِدْ فَقَدْ كِدْتُ أَنْ أَطْعِي وَأَنْ أَتَجَبَّرَا
قال لي : لَا وَاللَّهِ لَا أُمْسِكُ حَتَّى أُغْرَقَكَ بِجُودِي .

وحدثني عمِّي بهذا الخبر قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني حماد بن أحمد بن يحيى قال حدثني مروان بن أبي الجنوب ، فذكر مثل هذا الخبر سواء ، وقال بعد قوله : « لا والله لا أمسك حتى أغرقك » : سألني حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضيعة التي أمرت أن أقطعها باليمامة ، ذكر ابن المدبر أنها وقفُ المعتصم على ولده ، فقال : قد قبَلتْك¹ إياها مائة سنة بمائة درهم . فقلت : لا يحسن أن تُضمَنَ ضيعةٌ بدرهم في السنة . فقال ابن المدبر : فبالف درهم في كل سنة . فقلت نعم . فأمر ابن المدبر أن يُفدَّ ذلك لي ، وقال : ليست هذه حاجة ، هذه قبالة ، فسألني حاجتك . فقلت : ضيعة يقال لها السُّيُوح أمر الواثق بإقطاعي إياها ، فمتنعنيها ابن الزيات ؛ فأمر بامضاء الإقطاع لي .

[هجاء علي بن الجهم في حضرة المتوكل فغلبه]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : كان علي بن الجهم يطعن على مروان بن أبي الجنوب ويثلبه حسداً له على موضعه من المتوكل . فقال له المتوكل [يوماً] : يا علي ، أيما أشعر أنت أو مروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعت ، فما عندك ؟ قال : كلُّ أحدٍ أشعرُ منِّي يا أمير المؤمنين ، وما أصفُ نفسي ولا أزكيها . وإذا رضييني أميرُ المؤمنين فما أبالي من زيفني . فقال له : قد صدقتك ، علي يزعمُ سراً وجهراً أنه أشعرُ منك . فالتفت إليه مروان فقال له : يا علي ! أنت أشعرُ منِّي ؟ فقال : أو تشكُّ في ذلك ؟ قال : نعم ؛ أشكُّ وأشكُّ ، وهذا أميرُ المؤمنين بيننا . فقال له علي : إن أمير المؤمنين يُحايبك . فقال المتوكل : هذا عيٌّ منك يا علي ؛ ثم قال لابن حمدون : احكمم بينهما . فقال : طرحتني والله يا أمير المؤمنين بين أنيابٍ ومخالبٍ أسدين . قال : والله لتحكمن بينهما . فقال له : أما إذ حلفت يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أعرفهما في الشعر . فقال له المتوكل : قد سمعت يا علي . قال : قد عَرَفَ مَيْلَكَ إليه فمال معه . فقال : دَعْنَا منك ، هذا كله عيٌّ ، فإن كنت صادقاً فاهجُ مروان . قال : [قد] سكرتُ ولا فضلَ في . فقال المتوكل لمروان : اهجه أنت ، وبحياتي لا تُبقي غايةً . فقال مروان : [من الطويل]

إن ابن جهم في المغيب يعيبي	ويقول لي حسناً إذا لاقاني
صغرت مهابتة وعظم بطنه	فكأتما في بطنه وكدان
ويح ابن جهم ليس يرحم أمه	لو كان يرحمها لما عاداني
فإذا التقينا ناك شعري شِعْرَه	ونزا على شيطانه شيطاني

1 قبلك إياها أي ضمتها لك والتمت بذلك .

قال : فضحك المتوكل والجلساء منه ، وانخزل¹ ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثر من أن قال : جَمَعَ حَيْلَةَ الرَّجَالِ وَحَيْلَةَ النِّسَاءِ . فقال له المتوكل : هذا أيضاً من عَيْكَ وَبِرْدِكَ ، إن كان عندك شيءٌ فهُاتِه ؛ فلم يأت بشيء . فقال لمروان : بحياتي إن حَضَرَكَ شيءٌ فهُاتِه ، ولا تُقَصِّرْ في شَتْمِكَ . فقال مروان :

لَعَمْرُكَ مَا الْجَهْمُ بْنُ بَدْرِ بِشَاعِرٍ وهذا عليٌ بعده يدعي الشعرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأمه فلما ادعى الأشعاراً أوهمني أمراً

قال : فضحك [المتوكل] وقال : زدّه بحياتي . فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

يا ابنَ بَدْرِ يا عَلِيَّةُ قُلْتُ إِنِّي قُرَشِيَّةٌ
قلتِ ما ليس بحقٍ فاسكُتِي يا نَبْطِيَّةُ
أسكُتِي يا بنتَ جَهْمٍ أسكُتِي يا حَلَقِيَّةُ²

فأخذ عبادةُ هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاوبه من كان يغني ، والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه ، وعليُّ مُطْرَقٌ كأنه ميّت ، ثم قال : عليٌّ بالدواة فأتى بها ، فكتب :

بِلاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بِلاءٌ عداوةٌ غيرُ ذي حَسَبٍ ودينٍ
يُبيحُكَ مِنْهُ عِرْضاً لَمْ يَصْنُهُ ويرتَعُ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَصُونٍ

[قال عليُّ بن الجهم شعراً في حبسه ، فعارضه فلم يلقوه]

أخبرني عليُّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني محمد بن السري قال : لما مدح عليُّ بن الجهم وهو محبوس المتوكل بقوله : [من الوافر]

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وسلمنا لأسباب القضاء

وذكر فيها جميع الندماء وسبهم³ وهجاهم ، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها ، وقد كان المتوكل رقاً له ، فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتورته ألسنة الجلساء فثلبوه واعتابوه وضربوا عليه ، فتركه في محبسه . والقصيدة :

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ يَا ابْنَ جَهْمٍ دَعِيٌّ فِي أَنْاسٍ أُدْعِيَاءِ

1 انخزل في كلامه : انقطع .

2 نسبة إلى داء الحلاق وهي ألا تشيع الأتان من السقاد .

3 سبعة : شتمه ووقع فيه .

أَعْبَدَ اللَّهُ تَهْجُوَ وَابْنَ عَمْرٍ وَبِخْتِيشُوعَ أَصْحَابَ الْوَفَاءِ
هَجَوْتَ الْأَكْرَمِينَ وَأَنْتَ كَلْبٌ حَقِيقٌ بِالسَّتِيْمَةِ وَالْهَجَاءِ
أَتْرَمِي بِالزَّنَاءِ بِنِي حَلَالٍ وَأَنْتَ زَيْمٌ أَوْلَادِ الزَّنَاءِ
أُسَامَةُ مِنْ جُدُودِكَ يَا ابْنَ جَهْمِ! كَذَبْتَ وَمَا بِذَلِكَ مِنْ خَفَاءِ

[قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ
قَالَ: لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ وَعُجَيْفٍ مَا كَانَ، أَتَشَدُّ مِرْوَانَ بْنَ أَبِي الْجَنْوَبِ
الْمُعْتَصِمِ قَصِيدَةً أَوْلَاهَا:

أَلَا يَا دَوْلَةَ الْمَعْصُومِ دُومِي فَإِنَّكَ قُلْتَ لِلدُّنْيَا اسْتَقِيمِي
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ:

هَوَى الْعَبَّاسُ حِينَ أَرَادَ غَدْرًا فَوَافِي إِذْ هَوَى قَعَرَ الْجَحِيمِ
كَذَاكَ هَوَى كَمَهْوَاهُ عُجَيْفٌ فَأَصْبَحَ فِي سَوَاءٍ لَطَى الْحَمِيمِ

[قال المعتصم: أبعده الله!]

[مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ: دَخَلَ مِرْوَانَ الْأَصْغَرَ بْنَ أَبِي الْجَنْوَبِ عَلَى
أَشْناسٍ وَقَدْ مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا، فَجَعَلَ أَشْناسٌ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ وَيَوْمِيءُ بِيَدَيْهِ وَيُظْهِرُ طَرْبًا
وَسُرُورًا، وَأَمْرًا لَهُ بِصَلَاةٍ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ كَاتِبُهُ: رَأَيْتُ الْأَمِيرَ قَدْ طَرِبَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ لِمَا
كَانَ يَسْمَعُهُ، فَقَدْ فَهَمَهُ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ يَقُولُ؟ قَالَ: مَا زَالَ يَقُولُ عَلَيَّ رُقِيَّةَ
الْخُبَيْرِ حَتَّى حَصَلَ مَا أَرَادَ وَانصَرَفَ.

[هجاء علي بن يحيى المنجم فردّ عليه]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ: كَانَ الْمَتْوَكَّلُ يُعَابِثُنِي كَثِيرًا،
فَقَالَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ لِمِرْوَانَ بْنِ أَبِي الْجَنْوَبِ: أَهْجُ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى؛ فَقَالَ مِرْوَانُ: [من الطويل]

أَلَا إِنَّ يَحْيَى لَا يُقَاسُ إِلَى أَبِي وَعَرَضُ ابْنِ يَحْيَى لَا يُقَاسُ إِلَى عَرَضِي
وَهِيَ آيَاتٌ تَرَكْتُ ذِكْرَهَا صِبَايَةَ لِعَلِيِّ بْنِ يَحْيَى. قَالَ: فَأَجَبْتُهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: [من الطويل]

صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا يُقَاسُ إِلَى أَبِي أَبُوكَ، وَمَنْ قَاسَ الشَّوَاهِقَ بِالْخَفْضِ
وَهَلْ لَكَ عَرَضٌ طَاهِرٌ فَتَقْيِسُهُ إِذَا قَيْسَتِ الْأَعْرَاضُ يَوْمًا إِلَى عَرَضِي

أَسْتَمُّ مَوَالِي لِلْعَيْنِ وَرَهْطِهِ أَعَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ ذِي الْحَسَبِ الْمَحْضِ
تُوَالُونَ مَنْ عَادَى النَّبِيَّ وَرَهْطَهُ فَتَرْمُونَ مَنْ وَالِي أُولِي الْفَضْلِ بِالرَّفْضِ
وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ أَرَى لَكَ مُبْعِضاً لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِلْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضِ

[نقد أبو العنيس الصيمري شعراً له فتهاجرا]

حدَّثني جحظة قال حدَّثني علي بن يحيى قال : أنشد مروان بن أبي الجنوب المتوكل ذات يوم :

إِنِّي نَزَلْتُ بِسَاحَةِ الْمُتَوَكَّلِ وَنَزَلْتُ فِي أَقْصَى دِيَارِ الْمُوَصِّلِ
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : فَكَيْفَ الْإِتِّصَالُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَالْمُرَاسَلَةُ ؟ فَقَالَ أَبُو الْعَنْبَسِ
الصِّيمَرِيُّ : كَانَ لَهُ حَمَامٌ¹ هُدِيَ يَبْعَثُ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ الْمُوَصِّلِ حَتَّى يُكَاتِبَهُ عَلَى أَجْنَحَتِهَا .
فَضَحِكَ الْمُتَوَكَّلُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَخَجَلَ مَرَوَانَ وَخَلَفَ بِالطَّلَاقِ لَا يَكَلِّمُ أَبَا الْعَنْبَسِ أَبَداً ،
فَمَاتَا مَتَهَاجِرَيْنِ . كَذَا أَكْبَرُ حَفْظِي أَنْ جَحْظَةُ حَدَّثَنِي بِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى ؛ فَإِنِّي كَتَبْتُهُ عَنْ
حَفْظِي .

[أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة ، فقال علي بن الجهم إن بعضها منتحل]

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبَّرِ
قَالَ قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ قَدِيمٍ : قَالَ عَوْفُ بْنُ مُحَلَّمٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي عِلَّةِ اعْتَلَّهَا : [من الطويل]

فَإِنْ تَكُ حُمَّى الرَّبِّعِ شَفَّكَ وَرَدُّهَا فَعُقْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطُولَ لَكَ الْعُمُرُ²
وَقَيْنَاكَ لَوْ نُعْطِيَ الْمُنَى فَيْكَ وَالْهَوَى لَكَانَ بِنَا الشُّكُوى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

قال : ثم حُمَّ الْمُتَوَكَّلُ حُمَّى الرَّبِّعِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرَوَانَ بْنُ أَبِي الْجَنُوبِ بْنُ مَرَوَانَ بْنِ أَبِي
حَفْصَةَ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً لَهُ عَلَى هَذَا الرَّوِيِّ ، وَأَدْخَلَ الْبَيْتَيْنِ فِيهَا ، فَسَرَّ بِهَا الْمُتَوَكَّلُ . فَقَالَ لَهُ
عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا شَعْرٌ مَقُولٌ ، وَالتَّفْتَإُ إِلَيَّ وَقَالَ : هَذَا يَعْلَمُ . فَالتَّفْتَإُ إِلَيَّ
[المتوكل] وَقَالَ : أَتَعْرِفُهُ ؟ فَقُلْتُ : مَا سَمِعْتُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ . فَسَتَمَّ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَقَالَ لَهُ : هَذَا
مِنْ حَسَدِكَ وَشَرِّكَ وَكَذْبِكَ . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : وَيْحَكَ ؟ مَا لَكَ قَدْ جُنِنْتَ ؟ أَمَا
تَعْرِفُ هَذَا الشَّعْرَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ؛ وَأَنشَدْتُهُ إِيَّاهُ . فَلَمَّا عَدْتُ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ مِنْ غَدٍ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، قَدِ اعْتَرَفَ لِي بِالشَّعْرِ وَأَنشَدَنِيهِ . فَقَالَ لِي : أَكُذَّاكَ هُوَ ؟ فَقُلْتُ : كَذَّبَ [يا أمير
المؤمنين] ! مَا سَمِعْتُ بِهِ قَطُّ ، فَازْدَادَ عَلَيْهِ غَيْظاً وَلَهُ شَتْمًا . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ لِي : مَا فِي الْأَرْضِ

1 الحمام الهذاء : ضرب من الحمام يدرب على السفر من مكان إلى مكان .

2 حمى الربيع : التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع .

شَرُّ مَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ أَحْمَقُ ، تَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَجِيءَ إِلَى شِعْرٍ قَدْ قَالَ فِيهِ شَاعِرٌ يُحِبُّهُ وَيُعْجِبُهُ
شِعْرُهُ فَأَقُولُ لَهُ : إِنِّي أَعْرِفُهُ فَأَوْقِعْ نَفْسِي وَعَرِضِي فِي لِسَانِ الشَّاعِرِ لَتَرْتَفِعَ أَنْتَ عِنْدَهُ ، وَيَسْقُطُ
ذَلِكَ وَيُغِضِنِي أَنَا !

صوت

[من مجزوء الرمل]

ما لإبراهيمَ في العِدِّ	م بِهَذَا الشَّانِ ثَانِ
إِنَّمَا عُمَرُ أَبِي إِسْدَ	حَاقَ زَيْنٌ لِلزَّمَانِ
فَإِذَا غَنَّى أَبُو آسْحَا	قَ أَجَابَتْهُ المَثَانِي
مِنْهُ يُجْنِي تَمَرُ اللّهُ	وِ وَرِيحَانُ الجِنَانِ
جَنَّةُ الدُّنْيَا أَبُو إِسْدَ	حَاقَ فِي كُلِّ مَكَانِ

عروضه من الرمل . الشُّعْرُ لِابْنِ سَيَابَةَ . والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بإطلاق
الوتر في مجرى البصر عن إسحاق ابنه .

[206] - أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه

[جده حجام وهو لا نباهة له ولا شعر]

إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم . وكان يقال : إنَّ جَدَّهُ حَجَّامٌ أَعْتَقَهُ بَعْضُ الْهَاشِمِيِّينَ . وهو من مُقَارِبِي شُعْرَاءِ وَقْتِهِ ، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف ، وإنما كان يميل بمودته ومدحه إلى إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، فغنياً في شعره ورفعا منه ، وكانا يذكُرانه للخلفاء والوزراء ويذكُرانهم به إذا غنياً في شعره ، فينفَعانِه بذلك . وكان خليعاً ماجناً . طيّب النادرة ، وكان يُرمى بالأُبنة .

[يعشق جارية سوداء فلامه أهله]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أبو زائدة عن جعفر بن زياد قال : عَشِقَ ابْنُ سَيَابَةَ جَارِيَةَ سَوْدَاءَ ، فلامه أهله على ذلك وعاتبوه ؛ فقال :

يكونُ الخالُ في وجهِ قَبِيحٍ فيكسُوهُ الملاحَةَ والجَمالاً
فكيف يُلامُ معشوقٌ على مَنْ يراها كَلَّها في العينِ خالاً

[قصته مع ابن سوار القاضي ودابته رُحاص]

أخبرني محمد بن مزيّد وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لَقِيَ¹ إبراهيم بن سيابة وهو سكرانُ ابْنِ لَسَوَّارِ بن عبد الله القاضي أُمَرَدَ ، فعانقه وقبله ، وكانت معه دابةٌ يقال لها رُحاص ، فقيل لها : إنّه لم يُقبَلْه تقبيلَ السلام ، إنَّما قبَلْه قبْلَةَ شَهْوَةٍ . فَلَجِحَّتْه الدّابةُ فشتّمته وأسمعتَه كلُّ ما يكره ، وهَجَرَه الغلام بعد ذلك . فقال له :

قُلْ لِلَّذِي لَيْسَ لِي مِنْ يَدَيَّ هَوَاهُ خِلاصُ
أَنَّ لَثْمُكَ سِرّاً فَأَبْصَرْتَنِي رُحاصُ
وقال في ذاك قومٌ على انتقاصي حِراسُ
هَجَرْتَنِي وَأَتَنِي شَتِيمَةٌ وانتقاصُ
فَهَاكَ فَاقْتَصَّ مِنِّي إِنَّ الجُروحَ قِصاصُ

وَيُرَوَّى أَنَّ رُحَاصَ هَذِهِ مَغْنِيَةَ كَانَ الْغَلَامُ يُحِبُّهَا ، وَأَنَّهُ سَكَرَ وَنَامَ ؛ فَقَبَّلَهُ ابْنُ سَيَابَةَ . فَلَمَّا
انْتَبَهَ قَالَ لِلجَّارِيَةِ : لَيْتَ شِعْرِي مَا كَانَ خَبْرُكَ مَعَ ابْنِ سَيَابَةَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : سَلْ عَنْ خَبْرِكَ أَنْتَ
مَعَهُ ، وَحَدَّثْتَهُ بِالْقِصَّةِ ؛ فَهَجَرَهُ الْغَلَامُ ؛ فَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ .
[جوابه لمن عاتبه على مجونه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ : عَاتَبَنَا ابْنُ
سَيَابَةَ عَلَى مَجُونِهِ ، فَقَالَ : وَيَلَكُمْ ؛ لِأَنَّ الْقِيَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ الْمَعَاصِي فَيَرْحَمَنِي ، أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ أَتُبَخَّرَ إِدْلَالاً بِحَسَنَاتِي فَيَمْتَقِنَنِي .

قَالَ : وَرَأَيْتَ ابْنَ سَيَابَةَ يَوْمًا وَهُوَ سَكَرَانٌ وَقَدْ حُمِلَ فِي طَبَقٍ يَعْثُرُونَ بِهِ عَلَى الْجَسْرِ ،
فَسَأَلَهُمْ إِنْسَانٌ مَا هَذَا ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الطَّبَقِ وَقَالَ : هَذَا بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ
تَحْمِيلَهُ الْمَلَائِكَةُ يَا كِشْحَانَ¹ .

[ولع به أبو الحارث جُمُن حتى أخجله فهاجاه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الشَّيْبَلِ
الْبُرْجُمِيُّ قَالَ : وَلِعَ [يَوْمًا] أَبُو الْحَارِثِ جُمُنَ بِابْنِ سَيَابَةَ حَتَّى أَخْجَلَهُ . فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنُ
سَيَابَةَ يَهْجُوهُ :

بَنَى أَبُو الْحَارِثِ الْجُمُنَ فِي وَسْطِ	مَنْ ظَهَرَهُ وَقَرِيبًا مِنْ ذِرَاعَيْنِ
دَيْرًا لِقَسٍّ إِذَا مَا جَاءَ يَدْخُلُهُ	أَلْقَى عَلَى بَابِ دَيْرِ الْقَسِّ خُرْجَيْنِ
يَعْدُو عَلَى بَطْنِهِ شَدًّا عَلَى عَجَلٍ	لَا ذُو يَدَيْنِ وَلَا يَمْشِي بِرَجْلَيْنِ

[جوابه لمن اقترض منه فاعتذر]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَزَاعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ تَيْنَةَ قَالَ : كَتَبَ ابْنُ سَيَابَةَ
إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَقْتَرِضُ مِنْهُ شَيْئًا ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ لَهُ وَيُخْلِيفُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا سَأَلَهُ . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ : «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَجَعَلَكَ اللَّهُ صَادِقًا ، وَإِنْ كُنْتَ مَلُومًا فَجَعَلَكَ اللَّهُ مَعذُورًا» .
[ضرب في جماعة فكلهم استه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ ابْنُ سَيَابَةَ
الشَّاعِرَ عِنْدَنَا يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ تَتَحَدَّثُ وَتَتَنَاشَدُ وَهُوَ يُنْشِدُنَا شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ ، فَتَحَرَّكَ فَضَرَطَ ،
فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى اسْتِهِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ ، ثُمَّ قَالَ : إِمَّا أَنْ تَسْكُتِي حَتَّى أَتَكَلِّمَ ، وَإِمَّا أَنْ تَتَكَلَّمِي
حَتَّى أُسْكُتَ .

[غلام يريد أن يتعلم الزندقة]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان قال : غمز ابن سيابة غلاماً أمرد ذات يوم فأجابه ، ومضى به إلى منزله ، فأكلا وجلسا يشربان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابة الزنديق ؟ قال نعم . قال : أحب أن تعلمني الزندقة . قال : أفعل وكرامة . ثم بطحه على وجهه ، فلما تمكن منه أدخل عليه ؛ فصاح الغلام أوة ! أيش هذا ويحك ! قال سألتني أن أعلمك الزندقة ، وهذا أول باب من شرائعها .

[المصيبة العظمى في فقد الدقيق]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني مخرز بن جعفر الكاتب قال : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة ، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم .

[سخط عليه الفضل بن الربيع ، فاستعطفه فرضي عنه ووصله]

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سخط الفضل بن الربيع على ابن سيابة ، فسألته أن يرضى عنه فامتنع . فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها :

[من الكامل]

فأحطُ بجرمي عَفْوِكَ المأمولا	إن كان جرمي قد أحاطَ بجرمتي
في مثلها أحدٌ فَنِلْتُ السُّولا ¹	فكم ارتجيتك في التي لا يُرتجى
ووجدتُ حِلْمَكَ لي عليك دليلا	وَضَلَلْتُ عنك فلم أجد لي مذهباً
يزدادُ عَفْوُكَ بعد طَوْلِكَ طولاً ²	هَبْنِي أسأتُ وما أسأتُ أقرُّ كَي
لم يَعْدَمِ الرَّاجون منه جميلا	فالعفو أجملُ والتفضلُ بامرىء

فلما قرأها الفضل دمت عيناه ورضي عن ابن سيابة ، وأوصله إليه وأمر له بعشرة آلاف

درهم .

[حوار المقذع مع بشار]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا الحسن بن الفضل قال سمعت ابن عائشة يقول : جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشار فقال له : ما رأيت أعمى قط إلا وقد عوَّض من بصره إما الحفظ والدكاء وإما حسن الصوت ، فأبي شيء

1 السؤال والسؤال : ما سأله وترك مهرهما .

2 الطول : الفضل .

عَوَّضْتَ [أنت] ؟ قال : أَلَا أرى ثَقِيلاً مِثْلَكَ ، ثم قال له : مَنْ أَنْتَ وَيَحْكُ ؟ قال :
إبراهيم بن سيابة . فَضاحَكَ ثم قال : لو نُكِحَ الأَسَدُ في اسْتِهِ لَدَلَّ . وكان إبراهيم يُرمى
بذلك . ثم تَمَثَّلَ بِشَّارٍ :
[من مجزوء البسيط]

لو نُكِحَ اللَّيْثُ في اسْتِهِ حَضَعَا ومات جوعاً ولم يَنْلُ شَيْعَا
كذلك السيفُ عند هَزَّتِهِ لو بَصَقَ النَّاسُ فيه ما قَطَعَا

[نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبي قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي عبد الله بن
أبي نصر المُرُوزِيّ قال حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله الطَّلْحِيّ قال حَدَّثَنِي سليمان بن يحيى بن
مُعَاذ قال : قَدِمَ إبراهيم بن سيابة نَيْسَابُورَ فَانزَلَتْهُ عَلِيٌّ ؛ فَجَاءَ في لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ
مُهْرَبٌ¹ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ بِي : يا أبا أَيُّوبَ . فَحَشِيصْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَشِيَهُ شَيْءٌ يُوذِيهِ ،
فَقُلْتُ : ما تَشَاءُ ؟ فَقَالَ :
[من مخلع البسيط]

أَعْيَانِي الشَّادِنُ الرَّيْبُ

فقلتُ بماذا ؟ فقال :

أَكْتُبُ أَشْكَو فِلا يُجِيبُ

قال فقلتُ له : داره ودأوه ؛ فقال :

مِنْ أَيْنَ أَبْغِي شِفَاءَ ما بِي وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ

فقلت : لا دواء إِذَا إِلَّا أَنْ يُفَرِّجَ اللهُ تَعَالَى . فقال :

يا رَبِّ فَرِّجْ إِذَا وَعَجَّلْ فَإِنَّكَ السَّامِعُ المُجِيبُ

ثم انصرف .

في هذا الشعر رملٌ طُنْبُورِيٌّ لِحِظَّةٍ .

[من قصيدة أخت الوليد بن طريف في رثائه]

صوت

[من الطويل]

أَيَا شَجَرَ الخابُورِ مالِكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لم تَحْزَنْ عَلَيَّ ابْنَ طَرِيفِ

1 أهرَبُ فهو مهْرَبٌ : جدَّ في السير مذعوراً .

فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ

الشعر لأخت الوليد بن طريف الشاري . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيل أول بالوسطى ، من رواية ابنه عبید الله عنه . وأول هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن يحيى ثعلب :

بَلِّ بُنَاثَا رَسْمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ	على عَلَمٍ فوق الجبالِ مُنِيفِ
تَضَمَّنَ جُوداً حَاتِماً وَنَائِلاً	وَسُورَةَ مِقْدَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفِ
أَلَا قَاتَلَ اللهُ الْجُثَا حَيْثُ أَضْمَرْتُ	فَتَى كَانَ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ عَفِيفِ
فَإِنْ يَكُ أُرْدَاهُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدِ	فِيَا رَبِّ خَيْلٍ فَضَّهَا وَصُفُوفِ
أَلَا يَا لِقَوْمٍ لِلنَّوَابِ وَالرُّدَى	وَدَهْرٍ مِلْحٌ بِالْكَرَامِ عَنِيفِ
وَلِلْبُدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى	وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفِ
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً	كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى	وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ
وَلَا الْخَيْلَ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءِ شَطْبَةِ	وَكَلَّ حِصَانٍ بِالْيَدِينِ غُرُوفِ ¹
فَلَا تَجْزَعَا يَا ابْنِي طَرِيفِ فَإِنِّي	أَرَى الْمَوْتَ نَزَّالاً بِكُلِّ شَرِيفِ
فَقَدْنَاكَ فَقَدَانَ الرَّبِيعِ وَلَيْتَنَا	فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهْمَانَا بِالْأُوفِ

وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريف ترثيه ، وكان يزيد بن مزيد قتله .

1 الغروف من الخيل : التي تغرف الجري غرقاً فتذهب الأرض نهياً في سرعتها .

207 - [خبر مقتل الوليد بن طريف]

[ذكر الخبر في ذلك]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال : كان الوليد بن طريف الشيباني رأس الخوارج وأشدّهم بأساً وصولّةً وأشجعهم ؛ فكان من الشماسيّة¹ لا يأمن طروقَه [إياه] ، واشتدّت شوْكُهُ وطالت أيامه . فوجه إليه الرشيدُ يزيد بن مزيّد الشيباني ، فجعل يُخاتِلُه ويُماكرُه . وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مزيّد ، فأغروا به أمير المؤمنين ، وقالوا : إنّما يتجافى عنه للرّجَم ، وإلّا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُواعِدهُ ويتنظر ما يكون من أمره . فوجه إليه الرشيدُ كتابَ مُغضَبٍ يقول فيه : «لو وَجَّهْتُ بأحد الخدم لِقَامَ بِأكثر مما تقوم به ، ولكنك مُدَاهِنٌ مُتَعَصِّبٌ . وأمير المؤمنين يُقسِم بالله لئن أُخِرْتَ مُنَاجِزَةَ الوليد لِيُوجِّهَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَحْمِلُ رَأْسَكَ إِلَى أمير المؤمنين» . فلقِيَ الوليدَ عَشِيَّةَ خميسٍ في شهر رمضان . فيقال : إنَّ يزيدَ جُهدَ عَطَشًا حتى رمى بخاتمه في فيه ، فجعل يُلوكه ويقول : اللهمَّ إنّها شدّةٌ شديدةٌ فاستُرْها . وقال لأصحابه : فِدَاكم أبي وأمي ، إنّما هي الخوارج ولهم حَمَلَةٌ ، فاثبتوا لهم تحت التراس² ، فإذا انقضت حملتهم فاحملوا ؛ فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال ، حَمَلُوا حَمَلَةً وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ، ثم حَمَلَ عليهم فانكشفوا . ويقال : إنّ أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جدًّا ؛ وكان لا يَفْصِلُ بينهما إلّا المتأمل ، وكان أكثر ما يُباعده منه ضربةٌ في وجه يزيد تأخذ من قِصاصِ شَعْرِهِ ومنحرفةً على جبهته ؛ فكان أسدٌ يتمنى مثلها . فهوت له ضربةٌ فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع . فيقال : إنه لو حُطَّتْ على مثالِ ضربةِ أبيه ما عدا ، كأنها هي . واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة فأخذ رأسه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بنُ طريفَ الشَّارِي قَسُورَةٌ لا يُصْطَلَى بِنَارِي
جُورُكُمْ أُخْرِجَنِي مِنْ دَارِي

1 الشماسية : حلة كانت قرية من بغداد .

2 التراس : جمع ترس .

[خرجت أخته لتأثر له فزجرها يزيد بن يزيد]

فلما وقع فيهم السيفُ وأخذ رأسُ الوليدِ ، صَبَحْتَهُمْ أخته ليلي بنت طريفٍ مستعدةً عليها
الدُّرْعَ والجَوْشَنُ ، فجعلتُ تحملُ على الناسِ فعُرِفَتْ . فقال يزيد : دَعُوها ، ثمَّ خرج إليها
فضربَ بالرمحِ قِطاةً¹ فرسها ، ثم قال اغْرُبِي غَرْبَ اللَّهِ عليك ! فقد فَضَحَتْ العشيْرَةَ ؛
فاسْتَحَيْتُ وانصرفتُ وهي تقول :

أيا شجرَ الخابورِ ما لكَ مورقاً كأنَّكَ لم تَحْزَنْ على ابنِ طريفِ
فتى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التَّقَى ولا المالَ إلاَّ من قَناءِ وسُيوفِ
[ولا الذُّخْرَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءِ صِلْدِمِ وكلَّ رقيقِ الشُّفْرَتَيْنِ خفيفِ²]

فلما انصرف يزيدُ بالظَّفَرِ حُجِبَ بِرَأْيِ البرامكةِ ، وأظهر الرشيدُ السخَطَ عليه . فقال :
وَحَقُّ أميرِ المؤمنين لأصيفنَّ وأشتونَ على ظهرِ فرسي أو أدخل . فارتفع الخبرُ بذلك فأذن له
فدخل . فلما رآه أميرُ المؤمنين ضحكَ وسرَّ وأقبل يصيح : مَرْحَباً بالأعرابيِّ ! حتى دخل
وأجلسَ وأكْرَمَ وعُرفَ بلاؤُه ونقاءُ صدرِه .

[من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد]

ومدحه الشعراءُ بذلك . فكان أحسنهم مدحاً مُسلمُ بن الوليد ؛ فقال فيه قصيدته التي
أولها :

أَجْرَتْ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصُّبَا غَزَلِ وَشَمَّرَتْ هِمَمُ العُدَالِ فِي عَدَلِي
هاجَ البكاءُ على العينِ الطَّمُوحِ هَوَى مُفَرَّقٌ بينِ توديعِ ومُحْتَمَلِ³
كيف السُّلُو لِقَلْبِ باتِ مُخْتَبِلاً يَهْدِي بِصاحبِ قَلْبِ غيرِ مُخْتَبِلِ
وفيها يقول :

يَفْتَرُّ عندَ افترارِ الحَرْبِ مبتسماً إذا تَغَيَّرَ وَجْهُ الفارسِ البَطَلِ
مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجِ كأنَّه أَجَلٌ يسعى إلى أَمَلِ
ينالُ بالرِّقِّ ما يَعْيَا الرُّجَالُ به كالموتِ مُستعجلاً يأتي على مَهَلِ
لا يَرَحَلُ النَّاسُ إلاَّ نَحْوَ حُجْرَتِهِ كالبيتِ يُفْضِي إليه مُلتقى السُّبُلِ

1 قِطاةُ الفرس : عجزها أو مقعد الرديف منها .

2 الصلدم من الخيل : الشديدة الحافر . ورقيق الشفرتين : السيف .

3 العين الطَّمُوح : المرتفعة في النظر إلى الأحبة وهم سائرون .

يَقْرِي الْمَيِّتَةَ أرواحَ العُدَاةِ كما
 يكسو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ به
 إِذَا انْتَضَى سَيْفَهُ كَانَتْ مَسَالِكُهُ
 لَا تُكْذِبَنَّ فَإِنَّ الْمَجْدَ مَعْدِنُهُ
 إِذَا الشَّرِيكِيُّ لَمْ يَفْخَرْ عَلَى أَحَدٍ
 الزَّائِدِيُّونَ قَوْمٌ فِي رِمَاجِهِمْ
 كَبِيرُهُمْ لَا تَقُومُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ
 اسْلَمَ يَزِيدُ فَمَا فِي الْمُلْكِ مِنْ أُوْدٍ
 لَوْلَا دِفَاعُكَ بَأْسَ الرُّومِ إِذْ مَكَرْتُ
 وَالْمَارِقُ ابْنُ طَرِيفٍ قَدْ ذَلَفَتْ لَهُ
 لَوْ أَنَّ غَيْرَ شَرِيكِيٍّ أَطَافَ بِهِ
 مَا كَانَ جَمْعُهُمْ ذَلَفَتْ لَهُمْ
 كَمْ آمَنَ لَكَ نَائِي الدَّارِ مَمْتَنِعٍ
 تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعِ مُضَاعَفَةٍ
 لَا يَعْبَقُ الطَّيْبُ خَدَّيْهِ وَمَفْرَقَهُ
 يَأْبَى لَكَ الدَّمَ فِي يَوْمَيْكَ إِنْ ذُكِرَا
 فَافْخَرْ فَمَا لَكَ فِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ

[كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله]

وقال محمد بن يزيد : يعني بقوله :

تراه في الأمن في درع مضاعفة

خبر يزيد بن مزيد . وذلك أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معنًا في يزيد وقالت : إنك لتقدمه
 وتؤخر بينك ، وتشيد بذكره وتخيل ذكركم ، ولو نبهتهم لانتبهوا ، ولو رفعتهم لارتفعوا .

1 الكوم : النوق العظام الأسنمة واحدها كوما .

2 الشريكي : نسبة إلى «شريك» جد من أجداد يزيد بن مزيد .

3 الزائديون : نسبة إلى «زائدة» أحد الأجداد .

4 الناصل : المصيب ومثله الخصيل .

فقال معن: إن يزيد قريبٌ لم يتعدَّ رحْمُهُ ، وله عليّ حُكْمُ الولدِ إذ كنتُ عمّه . وبعدُ فإنهم ألوط¹ بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبةُ الولادة للأبوة من تقديمهم ، ولكنني لا أجِدُ عندهم ما أجده عنده . ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً ، وفي عدوٍّ لصار حبيباً . وسأريك في ليلتي هذه ما يفسح به اللومُ عني ويتبين به عُدْرِي . يا غلامُ اذهبْ فادعُ جَسَّاساً وزائدةً وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على أسماءَ ولده ؛ فلم يلبث أن جاءوا في الغلائل المطيَّبة والنعالِ السُنْدِيَّةِ ، وذلك بعد هدأةٍ من الليل ، فسلموا وجلسوا . ثم قال : يا غلامُ ادعُ لي يزيدَ وقد أسبلَ سِتْرًا بينه وبين المرأة ، وإذا به قد دخلَ عَجلاً وعليه السِّلَاحُ كُلُّهُ ، فوضع رُمَحَه بباب المجلس ثم أتى يُحضِرُ² . فلَمَّا رآه معه قال : ما هذه الهَيْئَةُ أبا الزبير ؟ ، وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد ، فقال : جاءني رسولُ الأمير فسبقَ إلى نفسي أنه يُريدني لوجهِ ، فقلت : إن كان مضيتُ ولم أُعْرَجْ ، وإن يكن الأمرُ على خلاف ذلك فترعُ هذه الآلةُ أيسرُ الخُطْبِ . فقال لهم : انصرفوا في حفظِ الله . فقالت المرأة : قد تبينَ عُدْرُكَ . فأنشد معنُ متمثلاً :

[من الرجز]

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا وَعَوَدَتْهُ الْكَرُّ وَالْإِقْدَامَا³
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا

[من شعر أخته في رثائه]

وأخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِي قال حَدَّثَنَا الرِّياشِيُّ قال : أنشدني الأصمعيّ لأخت الوليد بن طريف ترثيه :

[من المتقارب]

ذَكَرْتُ الْوَلِيدَ وَأَيَّامَهُ إِذِ الْأَرْضُ مِنْ شَخْصِهِ بَلَقَعُ
فَأَقْبَلْتُ أَطْلَبَهُ فِي السَّمَاءِ كَمَا يَبْتَغِي أَنْفَهُ الْأَجْدَعُ
أَضَاعَكَ قَوْمُكَ فليطلبوا إِفَادَةَ مِثْلِ الَّذِي ضَيَعُوا
لَوْ أَنَّ السُّيُوفَ التِّي حَدَّهَا يُصَيِّبُكَ تَعْلَمُ مَا تَصْنَعُ
نَبَتْ عَنْكَ أَوْ جَعَلَتْ هَيْبَةً وَخَوْفًا لَصَوْلِكَ لَا تَقْطَعُ

1 ألوط بقلبي : ألقى به .

2 يُحضِرُ : يدعو ويسرع .

3 مثل يقال في نباهة الذكر من غير قديم ، وعصام بن شهر حاجب النعمان ، فكلٌّ من كان ليس له قدم فشراف

بنفسه قيل له عصامي . فصل المقال : 137 .

208 - [بعض أخبار عبد الله بن طاهر]

[بعض أخلاق عبد الله بن طاهر]

فأما خبرُ عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت ، فإنَّ عبد الله كان بمحلٍّ من علوِّ المنزلةِ وعظَم القَدْر ولُطف مكانٍ من الخلفاء ، يَسْتغني به عن التقريظ له والدلالة عليه . وأمره في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامة ، وله في الأدب مع ذلك المحلِّ الذي لا يُدفع ، وفي السماحة والشجاعة مالا يقاربه فيه كبيرٌ أحدٍ .

[فرَّق خراج مصر وقال آياتاً أَرْضَى بها المأمون]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأُخفش عن محمد بن يزيد المُبرِّد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةِ خراجها وضياعها ، فوهبه كلُّه وفرقه في الناس ، ورجع صِفْراً من ذلك ؛ فغاظ المأمون فعله . فدخل إليه يوم مَقْدَمِهِ فأنشده آياتاً قالها في هذا المعنى ، وهي : [من البسيط]

نَفْسِي فِدَاؤِكَ وَالْأَعْنَاقُ خَاضِعَةٌ	لِلنَّائِبَاتِ أَيْبَاءَ غَيْرِ مُهْتَضَمِ
إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضٍ أَقَمْتُ بِهَا	حَوَائِينَ بَعْدَكَ فِي شَوْقٍ وَفِي أَلَمِ
أَقْفُو مَسَاعِيكَ اللَّاتِي خُصِّصْتَ بِهَا	حَذَوُ الشَّرَاكِ عَلَى مِثْلِ مَنْ الْأَدَمِ
فَكَانَ فَضْلِي فِيهَا أَنْتَنِي تَبَعٌ	لَمَّا سَنَنْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالنَّعَمِ
وَلَوْ وُكِّلْتُ إِلَى نَفْسِي غَنَيْتُ بِهَا	لَكِنْ بَدَأْتُ فَلَمْ أُعْجِزْ وَلَمْ أُلَمِ

فَضِحِكَ المأمون وقال : وَاللَّهِ مَا نَفَسْتُ عَلَيْكَ مَكْرَمَةً نَلَيْتَهَا وَلَا أُحْدِثُ حَسَنَ عَنكَ ذِكْرُهَا ، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ إِذَا عَوَّدْتَهُ نَفْسَكَ افْتَقَرْتَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى لَمِّ شَعْبِكَ ، وَإِصْلَاحِ حَالِكَ . وَزَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ .

[سوغه المأمون خراج مصر وأتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه بكل ما لديه]

أخبرني وكيعٌ قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أَخْبَرَنِي محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال : لَمَّا افْتَتَحَ عبد الله بن طاهر مِصْرَ وَنَحْنُ مَعَهُ ، سَوَّغَهُ المأمون خَرَاجَهَا . فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَجَازَ بِهَا كُلَّهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَهَا . فَأَتَاهُ مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ أَعْلَمُوهُ مَا قَدْ صَنَعَ عبد الله بن طاهر بالنَّاسِ فِي الجَوَائِزِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ وَاحِدًا ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ المِنْبَرِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ! أَنَا مُعَلَّى الطَّائِي ، وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ [إِلَيَّ] مِنْ جَفَاءٍ وَغِلْظٍ ، فَلَا يَغْلِظُنَّ عَلَيَّ قَلْبُكَ . وَلَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِي بَلَغَكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

[من البسيط]

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة
لو أصبح النيل يجري ماؤه ذهباً
تغلي بما فيه ريق الحمد تملكه
تفك باليسر كف العسر من زمن
لم تخل كفك من جود مختبط
وما بثت رعي الخيل في بلد
إن كنت منك على بال مننت به
ما زلت منقضيًا لولا مجاهرة

وأظلم الناس عند الجود للمال
لما أشرت إلى خزن بمثقال
وليس شيء أعاض الحمد بالغي¹
إذا استطال على قوم بإقلال
[أ] ومُرهب قاتل في رأس قتال²
إلا عصفن بأرزاق وآجال
فإن شكرك من قلبي على بالي
من السن خضن في صدري بأقوال

قال فضحك عبد الله وسرَّ بما كان منه ، وقال : يا أبا السمراء أقرضني عشرة آلاف دينار ،
فما أمسيت أملكها ؛ فأقرضه فدفعها إليه .

[أحسن إلى موسى بن خاقان ثم جفاه ، فمدح موسى المأمون بشعر غنته «ضعف» جاريته]

أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال : كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن
طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مؤثراً مقدماً ؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً
وأجازه بجوائز سنوية هناك وقبل ذلك . ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر ، فجفاه وظهر له منه
بعض ما لم يُجبه ، فرجع حينئذٍ إلى بغداد وقال :

صوت

إن كان عبد الله خلاننا لا مُبدئاً عرفاً وإحسانا
فحسبنا الله رضىنا به ثم بعبد الله مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون ، وغنت فيه جاريته ضعف لحناً من الثقيل الأول ، وسمعه
المأمون فاستحسنه ووصله وإياها . فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاضه ذلك وقال : أجل ؛
صنعنا المعروف إلى غير أهله فضاع .

وكانت ضعف إحدى المحسنات . ومن أوائل صنعتها وصدور أغانيها وما برزت فيه
وقدمت فاختيرت ، صنعتها في شعر جميل :

أمنك سرى يا بشن طيف تآوبا هُدوءاً فهاج القلب شوقاً وأنصبا

1 تغلي بالشيء : تجعله غالياً .

2 اختبطه وتخطه : سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربي أو مودة أو معرفة .

عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَ فِي النَّوْمِ مَضْجَعِي وَلَوْ زَارَنِي مُسْتَيْقِظًا كَانَ أَعْجَبًا
الشعر لجميل ، والغناء لضعف ثقيلٌ أوّل بالبنصر .

[قصته مع محمد بن يزيد الأموي الحصني]

أخبرني عمي قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال حدثني العباس بن الفضل الخراساني ، وكان من وجوه قواده طاهر وابنه عبد الله ، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً ، قال : لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم المخلوع ، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني ، وكان رجلاً من ولد مسلمة بن عبد الملك ، فأفرط في السبّ وتجاوز الحدّ في قبح الردّ ، وتوسّط بين القوم وبين بني هاشم فأرّبى في التوسّط والتعصّب . فكان ممّا قال فيه :

[من المديد]

يا ابنَ نَيْتِ النَّارِ مَوْقِدُهَا ما لِحَاذِيَةِ سِرَاوِيلِ¹
مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ مُضْعَبٌ ؟ غَالَتْكَمُ غُولُ
نَسَبٌ فِي الْفَخْرِ مُوتَشَبٌ وَأَبَوَاتٌ أَرَاذِيلُ²
قَاتِلُ الْمَخْلُوعِ مَقْتُولُ وَدَمُ الْمَقْتُولِ مَطْلُولُ

وهي قصيدة طويلة . فلما وليّ عبد الله مصرَ وردّ إليه تدبير أمر الشام ، علم الحصنيّ أنّه لا يُفْلِتُ منه إنْ هَرَبَ ، ولا يَنْجُو من يده حيث حَلَّ ؛ فَنَبَتَ في موضعه ، وأحْرَزَ حُرْمَهُ ، وترك أمواله ودوابّه وكلّ ما كان يملكه في موضعه ، وفتح باب حصينه وجلس عليه ، ونحن نتوقّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقِعَ به . فلما شارفنا بلده وكنا على أن نُصَبِّحَهُ ، دعاني عبدُ الله في الليل فقال لي : بَيْتٌ عِنْدِي اللَّيْلَةَ ، وَلِيَكُنْ فَرَسُكَ مُعَدًّا عِنْدَكَ لَا يَرُدُّ ، ففعلتُ . فلما كان في السّحر أمر غلماناه وأصحابه ألاّ يرحلوا حتى تطلّع الشمس ، ورَكِبَ في السّحر وأنا وخمسةٌ من خواصّ غلماناه [معه] ، فسار حتى صَبَحَ الحِصْنِيّ ، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مُسْتَرْسِلاً ، فقصده وسلم عليه ونزل عنده وقال له : ما أَجَلَسْتُكَ هَاهُنَا وَحَمَلْتُكَ عَلَيَّ أَنْ فَتَحْتَ بَابَكَ وَلَمْ تَتَحَصَّنْ مِنْ هَذَا الْجَيْشِ الْمُقْبِلِ وَلَمْ تَتَنَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَعَ مَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْكَ وَمَا بَلَغَهُ عَنكَ ؟ فقال : إنَّ ما قُلْتَ لَمْ يَذْهَبْ عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي تَأَمَّلْتُ أَمْرِي وَعَلِمْتُ أَنِّي أَخْطَأْتُ حَظِيئَةَ حَمَلَنِي عَلَيْهَا نَزَقُ الشُّبَابِ وَغَرَّةُ الْحِدَاثَةِ ، وَأَنِّي إِنْ هَرَبْتُ مِنْهُ لَمْ أَفْتَهُ ، فَبَاعَدْتُ الْبِنَاتِ وَالْحُرَمَ ، وَاسْتَسَلَمْتُ بِنَفْسِي وَكُلِّ مَا أَمْلِكُ ؛ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ أُسْرِعَ الْقَتْلُ فِينَا ، وَلِي بَمَنْ مَضَى أَسُوءٌ ؛ فَإِنِّي أَثِقُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا

1 الخاذان من الدابة : ما وقع عليه الذئب من أدبار الفخذين . يريد الفخذين .

2 نسب مؤتشب : غير صريح .

قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهنَّ أرب ، ولا يُوجب جرّمي إليه أكثر مما بذلته . قال : فوالله ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته . ثم قال له : أتعرفني ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد آمن الله تعالى روعتك ، وحقن دَمَك ، وصان حرمك ، وحرّس نعمتك ، وعفا عن ذنبك . وما تعجّلتُ إليك وحدي إلا لتأمن من قبل هجوم الجيش ، ولثلاً يُخالط عَفْوِي عنك روعةً تلحُقك . فبكى الحِصْنِي وقام فقبل رأسه ؛ وضّمه [إليه] عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إِمّا [لا] فلا بدّ من عتاب . يا أخي جعلني الله فداك ! قلتُ شعراً في قومي أفخر بهم لم أظنّ فيه على حسَبك ولا ادّعتِ فضلاً عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القومُ الذين تُأركُ عندهم ؛ فكان يسعك السكوتُ ، أو إن لم تسكُتْ لا تُغرِقْ ولا تُسرفْ . فقال : أيها الأمير ، قد عفوت ، فاجعله العفو الذي لا يخلطه تريبٌ ، ولا يكدر صفوه تائب . قال : قد فعلتُ ، فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجِبَ عليك حقاً بالضيافة . فقام مسروراً فأدخلنا ، فأتى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلنا وجلسنا نشرب في مُستشرفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم ، ولا ينزل أحدٌ منهم إلا في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ؛ [فتزلتُ فرحتهم . وأقام عنده إلى العصر] . ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجَه ثلاث سنين ، وقال له : إن نشِطتْ لنا فالحق بنا ، وإلا فأقم بمكانك . فقال : فأنا أتجهزُ والحقُ بالأمر . ففعل فلحق بنا بمصر . ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق ، فودّعه وأقام ببلده .

[بعض الأشعار التي غنى فيها وأخبارها]

فأما الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال : الغناء للدار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه في شعر أخت [عمرو بن] عاصية ، وقيل : إنه لأخت مسعود بن شدّاد . فإنه صوت نادر جيد . قال أبو العَبَس بن حمدون وقد ذكره فضّله : جاء به عبدُ الله بن طاهر صحيح العمل مُزدوج النغم بين لينٍ وشدّة على رَسْم الحَذاق من القدماء ، وهو :

صوت

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أُسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكُ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي
الطاعنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ يَتَّبِعُهَا مُضْرَجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزْبَادِ

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السُّلَمِيّ [ترثيه] . وكان بنو سَهْمٍ ، وهم بطنٌ من هذيل ، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلما عرفوه قتلوه . وكان قد عطش

فاستساقهم ، فمعه وقلوه على عَطَشِهِ . وقيل : إنَّ هذا الشعر للفارعة أخت مسعود بن شداد . ولحنُ عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداءً استهلال .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال : قتلتُ بنو سَهْمٍ ، وهم بطن من هُذَيْل ، عمرو بن عاصية السُّلَمِيّ ، وكان رجلاً منهم أخذاه أخذاً ، فاستساقهما ماء فمناه ذلك ، ثم قتلاه . فقالت أخته تربيته ، وتذكر ما صنعوا به :

شَبَّتْ هُذَيْلٌ وَبَهَزُ بَيْنَهَا إِرَّةٌ فلا تَبُوحُ ولا يَرْتَدُّ صالِها¹
[ويروى : «شبت هذيلٌ وسهمٌ» ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال عمر بن شبة] :
[من البسيط]

إنَّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما حلَّى عليَّ فِجاجاً كان يَحْمِها
وقالت أيضاً تربيته :

يا لَهْفَ نَفْسِي لَهْفًا دائِماً أبداً على ابن عاصيةَ المقتول بالوادي
هَلَّا سَقَيْتُمُ بني سَهْمٍ أُسِيرَكُمُ نَفْسِي فِدَاؤُك من ذِي غُلَّةٍ صادي
قال : فغزا عرعره بن عاصية هذيلاً يطلبهم بدم أخيه ، فقتل منهم نقرأً وسبى امرأة فجردها ، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بني سليمٍ ؛ فقالت عند ذلك :
[من الطويل]

أَلَمْتُ سُلَيْمٍ في السِّياقِ وَأَفحِشْتُ وَأَفْرَطَ في السَّوْقِ العنيفِ إِسارُها²
لعلَّ فتاةَ منهمُ أن يسوقَها فوارسُ منّا وهِي بادي شَوارها³
فإنَّ سَبَقْتُ عُليا سُلَيْمٍ بِدَحْلِها هُذَيْلاً فقد باءتُ فكيف اعتذارها
ألا ليت شِعْري هل أرى الخيلَ شُزْباً تُشير عَجاجاً مستطيِراً غُبارها⁴
فترَقا عيونٌ بعد طُول بُكائِها ويُغسلُ ما قد كان بالأَمْسِ عارُها⁵

هذه رواية عمر بن شبة . فأما أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك ، وذكر في مقتله ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج عمرو بن عاصية

1 أصل الإرة : الحفرة والمقصود هنا : الحرب .

2 ألامت : فعلت ما تستحقّ عليه اللوم .

3 الشوار : الحسن والهيفة والزينة واللباس .

4 شزب : ضومر ، الواحد شازب .

5 ترقا : في الأصل ترقأ أي تجف .

السُّلَمِيُّ ثم البَهْرِيُّ في جماعةٍ من قومه ، فأغاروا على هُدَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ ، فصادفوا حياً من هُدَيْلِ يقال لهم بنو سَهْمِ بن معاوية . وكانت امرأةٌ من هُدَيْلِ تحت رجلٍ من بني بَهْرٍ ، فقالت لابن لها معه : أَيُّ بُنْيٍّ انطلق إلى أحوالك فَأَنْذِرْهُمْ بَأَنِّ ابنِ عاصيةِ السُّلَمِيِّ قد أمسى يريدهم ، وذلك حين عَزَمَ ابنِ عاصيةِ على غزوهم وأراد المسيرَ إليهم . فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتوا أحواله فَأَنْذَرَهُمْ ، فقال : ابنِ عاصيةِ السُّلَمِيِّ يريدكم ، فخذوا حِذْرَكُمْ ؛ فبَدَرَ القوم واستعدوا . وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحَيِّ ، فنزل قريباً لأصحابه على جبل [مشرف على القوم] ، فإذا هم حَذِرُونَ . فقال لأصحابه : أرى القوم حَذِرِينَ ، إنَّ لهم لشأنا ، ولقد أَنْذَرُوا علينا . فكَمَّنَ في الجبل يطلب غَفْلَتَهُمْ ، فأصابه وأصحابه عطشٌ شديدٌ ، فقال ابنِ عاصيةِ لأصحابه : هل فيكم من يرتوي لأصحابه ؟ فقال أصحابه : نخاف القوم ، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه إلى ذلك . قال : فخرج على فرسٍ له ومعه قَرْبَتُهُ . وقد وضعتُ هُدَيْلٌ على الماء رجلاً منهم رصداً ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لا بُدَّ لهم من أن يَرِدُوا الماء . فمرَّ بهم عمرو بن عاصيةِ وقد كمن له شيخٌ وفتيان من هُدَيْلِ ، فلَمَّا نظروا إليه همَّ الفتیان أن يُثاوراهُ¹ . فقال الشيخ : مَهْلاً ! فإنَّه لم يَرَكَا ، فكفَّا . فانتهى ابنِ عاصيةِ إلى البئر ، فنظر يميناً وشمالاً فلم يَرِ أحداً والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم . فوثب نحو قربه فأخذها ثم دخل البئر فطَفِقَ يملأ القربة ويشرب . وأقبل الفتیان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر ، [فرجع رأسه فأبصر القوم] ؛ فقالوا : [قد] أخزاك الله يا ابنِ عاصيةِ وأمكن منك ؛ قال : ورمى الشيخ بسهم فأصاب أحمصه فأنفذه فصرعه ، وشُغِلَ الفتیان بِنَزْعِ السهم من قَدَمِ الشيخ ، ووثب ابنِ عاصيةِ من البئر شَدًّا نحو أصحابه ، وأدركه الفتیان قبل وصوله فأسراه . فقال لهما حين أخذاه : أرويانِي من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما . فلم يَسْقِيَاهُ وتعاورا به بأسيا فهما حتى قتلاه . فقالت أخت عمرو بن عاصيةِ ترثي أخواها : [من البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسِي يوماً ضَلَّةً جَزَعاً على ابنِ عاصيةِ المقتولِ بالوادي

إذ جاء يَنْفُضُ عن أصحابه طِفْلاً مَشْيَ السَّبْتِيِ أمام الأيكة العادي²

هَلَّا سَقَيْتُمْ بنسي سَهْمٍ أُسِيرَكُمْ نَفْسِي فداؤك من ذي غلة صادي

قال أبو عبيدة : وآب غَزِي³ بنِي سُلَيْمِ بعد مقتل ابنِ عاصيةِ . قال : فبلغ أخاه عرعة بن عاصيةِ قَتْلُ هُدَيْلِ أخاه وكيف صُنِعَ به ، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارسٌ من بنِي سُلَيْمِ منهم عبيدة بن حكيم الشَّرِيدِيّ وعمرو بن الحارث الشَّرِيدِيّ وأبو مالك البَهْرِيُّ وقيس بن

1 ثاوره : واثبه .

2 ينفض : يكشف الطريق ويتجسس . الطفل طفلان : طفل الغداة وطفل العشي . السبتى : النمر أو الأسد .

3 الغزى : اسم جمع لغاز .

عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيْم وفوارس من بني رِغْلٍ . قال : فسرى إليهم عرعة ، فالتقوا بموضع يقال له الجُرف فاقتلوا قتالاً شديداً ، فظفرت بهم بنو سُلَيْم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمة ، وأسروا أسرى ، وأصابوا امرأة من هذيل فعرّوها من ثيابها واستاقوها مجردة فأفحشوا في ذلك . وقال عرعة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل :

ألا أبلغ هذيلاً حيث حلتُ
مُغلغلةً تحبُّ مع الشقيقِ
مقامكم غداة الجُرفِ لما
تواقفتِ الفوارسُ بالمضيقِ
غداة رأيتمُ فرسانَ بهزِ
ورِغْلٍ ألبدتُ فوق الطريقِ¹
تراميتهم قليلاً ثم ولتُ
فوارسكم توقّلُ كلُّ نيقِ²
بِضَرْبِ تسقطُ الهاماتُ منه
وطعنٍ مثلِ إشعالِ الحريقِ

وقال لي : إن هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شدّاد يرثي أخاه ، وزعم أن جرماً كانت قتلته وهو عطشان ، فقال :

يا عينُ جودي لمسعود بن شدّاد
بكلّ ذي عبراتٍ شجوهُ بادي
هلاً سقيتم بني جرّمٍ أسيركمُ
نفسِي فداؤك من ذي غلّةِ صادي

فأنشدنيها بعضُ أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن [الحسن بن] دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لفاعرة المريّة أخت مسعود بن شدّاد ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأول ، وبعده :

يا مَنْ رأى بارقاً قد بتُ أرمقهُ
قبراً إليّ ولو لم يفدِه فادي
شهادُ أنديةٍ رفّاعُ أبنيةٍ
شَدّادُ ألويةٍ فتّاحُ أسدادِ
نَحّارُ راغيةٍ قتّالُ طاغيةٍ
حلالُ رابيةٍ فكّاكُ أقيادِ⁴
قوالُ محكمةٍ نقّاضُ مبرّمةٍ
فراجُ مبهمةٍ حبّاسُ أورادِ⁵
جوداً على الحرّةِ السوداءِ بالوادي³

1 ألبد بالمكان : أقام به ولزمه .

2 توقل : تتصعد . والنيق : أعلى الجبال .

3 البارق : هنا السحاب .

4 الراغية : الناقة .

5 أوراد : جمع ورد وهو الجماعة الوردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش .

حَلَالٌ مُمْرِغِيَّةٌ حَمَالٌ مُضْلِعَةٌ قَرَأَ مُفْطِعَةً طَلَّاعٌ أَنْجَادٌ¹
 جَمَاعٌ كُلُّ خِصَالِ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا زَيْنُ الْقَرِينِ وَخَطْمُ الظَّالِمِ الْعَادِي²
 أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَنِّي يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادٍ

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبنصر . قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لما صنع أبي هذا الصوت لم يُحِبَّ أن يَشِيْعَ عنه شيءٌ من هذا ولا يُنسَبَ إليه ؛ لأنه كان يترَفَعُ عن الغناء ، وما جَسَّ بيده وَتَرَأَ قَطُّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُرْبَةِ [وحُسْنِ الثَّقَافَةِ] ما لا يعرفه كبيرٌ أُحِدٍ . وبلغ من عِلْمِ ذلك إلى أن صَنَعَ أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذنها عنه وغَنَيْنَ بها ، وَسَمِعَهَا النَّاسُ منهمَنَ ومَن أخذ عنهمَنَ . فلَمَّا أن صنع هذا الصوت :

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي جَرْمٍ أُسِيرَكُمُ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غَلَّةٍ صَادِي

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْحِ . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها داحة ، فكانت ترغِبُ إلى عبد الله بن طاهر لما نَدَبَهُ المأمون إلى مصر [في أن يأخذها معه] ، وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنُونُ عنها وَرَوَّوهُ لِمَالِكِ مَدَّةً . ثم قَدِمَ عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون ، وغَنَّى الصوتُ بحصرتِه ونُسِبَ إلى مالك ؛ فضحك عبدُ الله ضحكاً كثيراً . فسُئِلَ عن القِصَّةِ فصَدَّقَ فيها واعترف بصنعة الصوت . فكشَفَ المأمون عن ذلك ، فلم يَزَلْ كُلُّ مَنْ سُئِلَ عنه يُخْبِرُ عَمَّنْ أَخَذَهُ [عنه] ، فتنتهي القِصَّةِ إلى داحةٍ ثم تقف ولا تعدوها . فأحضرتُ داحةً وسئلتُ فأخبرتُ بقصته ؛ فعُلمَ أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لِمَالِكِ . ويقال : إن إسحاق لم يعجب من شيءٍ عَجَبَهُ من عبد الله وحِذْقِهِ بمذاهب الأوائِلِ وحكاياتهم . قال : ومن غنائه أيضاً :

صوت

رَاحَ صَحْبِي وَعَاوَدَ الْقَلْبَ دَاءٌ مِنْ حَبِيبِ طِلَابُهُ لِي عَنَاءٌ
 حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُدْ فَيَ لشيءٍ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءٌ
 مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يُحِبُّ فَإِنِّي لَيْسَ لِي مَا حَيَّيْتُ عَنْهُ عَزَاءٌ

الغناء لابن طنبورة خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . ولحن عبد الله بن طاهر

ثاني ثقيلٌ بالبنصر .

1 المضلعة : المثقلة للأضلاع .

2 خطمه : إذا ضرب مخطمه وهو الأنف .

209 - [أخبار متفرقة]

ومنها :

فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمْ فغَيْرِي إِذْ غَدَوْا فَرِحَا

[شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه]

صوت

[من الخفيف]

يا خَلِيلِيَّ قَد مَلَلْتُ نَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَد شَيْتُ الْبَقِيعَا
بَلْغَانِي دِيَارَ هِنْدٍ وَسَلْمِي وَارْجِعَا بِي فَقَد هَوَيْتُ الرَّجُوعَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف تقيل بالوسطى في مجراها [عن إسحاق] ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وذكر حبش أن فيه رملاً بالنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمبعد ذكره حماد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إياه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سليمان بن عيَّاش السَّعْدِيَّ قَالَ [أخبرني السائب بن ذكوان راوية كثير قال] : قَدِمَ عمر بن أبي ربيعة المدينة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال ، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزبير والمسيبي ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز [الجوهري] قال حدثنا عمر بن شبة موقوفاً عليه . وجمعت رواياتهم ، وأكثر اللفظ للزبير [بن بكار] وخبره أتم : أن عمر بن أبي ربيعة قَدِمَ المدينة ؛ فزعموا أنه قَدِمَهَا من أجل امرأة من أهلها ، فأقام بها شهراً ؛ فذلك قوله :

يا خَلِيلِيَّ قَد مَلَلْتُ نَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَد شَيْتُ الْبَقِيعَا

[خرج عمر هو والأحوص إلى مكة فمرَّ بنصيب وكثير وناحورا]

قال : ثمَّ خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوصُ واعتَمَرَا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثير إنه قال : لَمَّا مَرَّ بِالرُّوحَاءِ¹ اسْتَلْبَانِي² فخرجت

1 الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً .

2 استلباه : طلب إليه أن يتلوه .

أتلوهما ، حتى لحقتهما بالعرج¹ عند رواحهما . فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودان² ، فحبسهما النُصيب ودَبِحَ لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا النُصيب . فلما جئنا كُليّة³ عدلنا جميعاً إلى منزل كثير ، فقيل لنا : هبط قُديداً⁴ ، فذكر لنا أنه في خيمة من خيامها . فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فادعُه لي . فقال النُصيب : هو أحمق وأشدُّ كِبِراً من أن يأتيك . فقال لي عمر : اذهب كما أقول [لك] فادعُه لي : فجيئته ، فهشَّ لي وقال : «اذكُرْ غائباً ترَه⁵ ، لقد جئت وأنا أذكُرُك . فأبلغته رسالة عمر ؛ فحدَّد إلي نظرة وقال : أما كان عندك من المعرفة ما تردعك عن إتياني بمثل هذه الرسالة ! قلت : بلى والله ؛ ولكني سترتُ عليك فأبى الله إلا أن يهتِك سترَك . فقال لي : إنك والله يا ابن ذكوان ما أنت من شكلي ؛ فقل لابن أبي ربيعة : إن كنت قرشياً فأنا قرشيٌّ . فقلت له : لا تترك هذا التلصق وأنت تُقرِفُ عنهم كما تُقرِفُ الصمغَةَ ؛ فقال : والله لأننا أثبتُ فيهم منك في سدوس . ثم قال : وقل له : إن كنت شاعراً فأنا أشعرُ منك . فقلت له : هذا إذا كان الحكمُ إليك . فقال : وإلى مَنْ هو ومن أولى بالحكم مني ؟ [وبعد هذا يا ابن ذكوان فاحمد الله على لومك ؛ فقد منعك مني] اليوم ؟ فرجعتُ إلى عمر ، فقال : ما وراءك ؟ فقلت : ما قال نُصيب . فقال : وإن . فأخبرته فضحك وضحك صاحبا ظهراً لبطن ، ثم نهضوا معي إليه . فدخلنا عليه في خيمة ، فوجدناه جالساً على جلدِ كبش ، فوالله ما أوسع للقرشي . فلما تحدَّثوا ملياً فأفاضوا في ذكر الشعر ، أقبل على عمر فقال له : أنت تنعت المرأة فتنسب بها ثم تدعُها وتنسب بنفسك . أخبرني يا هذا عن قولك :

قالت تصدِّي له ليُعرفنا
ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى
ثم اسبطرت تشتد في أثري⁶
وقولها والدموع تسبقها
لنفسد الطواف في عمر

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت المهجر : إنما توصف الحرة بالحياء والإباء والأليواء والبخل والامتناع ، كما قال هذا ، وأشار إلى الأحوص : [من الطويل]

1 العرج : قرية كانت جامعة في واد من نواحي الطائف .

2 ودان : قرية جامعة من نواحي الفرع بين مكة والمدينة .

3 كُليّة : قرية بين مكة والمدينة .

4 قديد : موضع قرب مكة .

5 مثل ، ويروى «اذكر غائباً يقترب» ، هذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير أنه ذكر المختار يوماً وسأل عنه ، والمختار يومئذ بمكة قبل أن يقدم العراق ، فبينما هو في ذكره إذ طلع المختار فقال ابن الزبير هذا المثل . مجمع الأمثال للميداني 11/2 .

6 اسبطرت : أسرعت .

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جَعْفَرٍ بأبياتِكُمْ ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كُنْتُ زَوَّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أن سيزورُ
لقد مَنَعْتُ معروفها أمَّ جَعْفَرٍ وإنِّي إلى معروفها لَفَقِيرُ
قال : فدخلتِ الأحوصُ أبهةً وعُرِفَتْ الخِلاءُ فيه . فلما استبانَ كثيرٌ ذلك فيه قال :
أبطل آخِرُك أولك . أَخْبِرْنِي عن قولك : [من الوافر]

فإن تصلي أصيلك وإن تبيني بصُرمِك بعد وصيلك لا أبالي
ولا ألفى كمن إن سيم صرماً تعرَّضَ كي يُردَّ إلى الوصالِ
أما والله لو كنتَ فحلاً لبأيتَ ولو كسرتَ أنفك . ألا قلتَ كما قال هذا الأسود ، وأشار
إلى نصيب :

بزَيْنَبَ ألمِ قبل أن يرحلَ الركبُ وقُلْ إن تملينا فما ملكَ القلبُ
قال : فانكسر الأحوصُ ، ودخلتِ النصيبُ أبهةً . فلما نظرَ أن الكبرياءَ قد دخلته ، قال
له : يا ابنَ السوداء ، فأخبرني عن قولك : [من الطويل]

أهيمُ بدعدي ما حبيتُ فإن أمتُ قوا كيدي من ذا يهيمُ بها بعدي
أهمك من ينيكها بعدك ؟ فقال نصيب : استوت القوق¹ ، قال : وهي لُعبةٌ مثل المنقلة .
ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون الباقيين . قال سائب : فلما أمسك كثيرٌ أقبل عليه
عمرٌ فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع يا مذبوب² [إلي] ! أخبرني عن تخييرك لنفسك وتخييرك
لمن تُحب حيث تقول : [من الطويل]

ألا ليتنا يا عزَّ كنا لذي غنى بغيرين نرعى في الخلاءِ ونعزُبُ
كلانا به عزَّ فمن يرنا يقلُ على حُسْنِها جرباءُ تُعدي وأجربُ
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما نَفَكُ نرْمى ونضربُ
وإدَّتْ وبيتِ الله أنك بكرة³ هجانٌ وأنِّي مُصعَبٌ ثم نَهْرُبُ³
نكون بغيري ذي غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلبُ
وقال : تَمَنَّيتَ لها ولنفسك الرِّقَّ والجربَ والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمَسْخَ ، فأبيَ مَكْرُوهُ لم تَمَنَّ لها

1 في نسخة : الفبق وهو هدف يوضع لرمي السهام وإصابته .

2 المذبوب : المجنون .

3 بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .

ولنفسك؟ لقد أصابها منك قول القائل: «معادةُ عاقلٍ خيرٌ من مودةِ أحمقٍ». قال: فاجعل يخلج جسده كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إلي يا ابن استها¹ أخيرك بخبرك وتعرضك للشر وعجزك عنه واهدافك لمن² رماك. أخبرني عن قولك: [من الطويل]

وقلن ، وقد يكذبين ، فيك تعيف
وأعييتنا لا راضياً بكرامة
فأدركت صفو الود منا فلمتنا
والفيتنا سلماً فصدعت بيننا
وشوم إذا ما لم تطع صاح ناعمة
ولا تاركاً شكوى الذي أنت صادقة
وليس لنا ذنب فنحن مواذقة³
كما صدعت بين الأديم خوالقة⁴

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بؤت به على نفسك. قال: فحقق كما يخفق الطائر. ثم أقبل عليه النصيب فقال: أقبل عي لي يا زب الذباب! فقد تمنيت معرفة غائب عندي علمه فيك حيث تقول: [من الطويل]

وددت ، وما تغني الودادة ، أنني
فإن كان خيراً سرني وعلمته
بما في ضمير الحاجية عالم
وإن كان شراً لم تلمني اللوالم

انظر في مرآتك واطلع في جيبك واعرف صورة وجهك ، تعرف ما عندها [لك]. فاضطرب اضطراب العصفور ، وقام القوم يضحكون . وجلست عنده ؛ فلما هدا شأوه قال لي: أرضيتك فيهم؟ فقلت له: أما في نفسك فنعم! فقد نجس يومك معهم ، وقد بقيت أنا عليك . فما عذرُك ، ولا عذرُك ، في قولك: [من الطويل]

سقى ديمتين لم نجد لهما أهلاً
نجاه الثريا كل آحر ليلية
بحقل لكم يا عز قد رأنا حقلاً
يجودهما جوداً ويتبعه وبلاً

[ثم قلت في آخرها]:

وما حسبت ضمريّة حدرية
سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلاً

أهكذا يقول الناس ويحك! ثم تظن أن ذلك قد خفي ولم يعلم به أحد ، فنسب الرجال وتعييهم؟ فقال: وما أنت وهذا؟ وما علمك بمعنى ما أردت؟ فقلت: هذا أعجب من ذلك. أتذكر امرأة تنسب بها في شعرك وتستعزُر لها الغيث في أول شعرك ، وتحمل عليها التيس في

1 يقال لابن الأمة عند تحقيره: «يا ابن استها» يعنون أنها ولدته من استها .

2 أهدف لكذا: تعرض له .

3 مواذق: جمع ماذقة . يقال مذاق الود إذا لم يخلصه .

4 البين هنا: الوصل . خوالق الأديم: اللامي قدرنه قبل أن يقطعنه .

آخره ! قال : فَأَطْرَقَ وَذَلَّ وَسَكَنَ . فَعُدْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَعْلَمْتُهُمْ مَا كَانَ مِنْ خَبْرِهِ بَعْدَهُمْ . فقالوا : ما أنت بأهونَ حجارته التي رُمي بها اليوم منا . قال فقلت لهم : إنه لم يترني فأطلبه بذخلٍ ، ولكنني نصحته لئلا يُخِلَّ هذا الإخلالَ الشديد ، ويركبَ هذه العروض¹ التي ركب في الطعن على الأحرار والعيب لهم .

[شدد والي مكة في الغناء ، فخرج فنية إلى وادي عسمر وبعثوا لابن سريج فغناهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني ابن جامع عن السعدي عن سهل بن بركة وكان يحمل عود ابن سريج قال : كان على مكة نافع بن علقمة الكِنَاني ، فشدد في الغناء والمغنين والنبيد ، ونادى في المختين . فخرج فنية من قريش إلى بطن مُحَسَّرٍ² وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفي . فلما شربوا وطربوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا . فقلت : هو علي لكم . فقال لي بعضهم : دونك تلك البغلة فأركبها وامض إليه . فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه . فقال لي : ويحك ؛ وكيف لي بذلك مع شدة السلطان في الغناء وندائه فيه ؟ فقلت له : أفتردهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعود ؟ فقلت له : أنا أحبوه لك فشأنك . فركب وستر العود وأردفني . فلما كنا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل ، فقال لي : يا ابن بركة هذا الأمير ؛ فقلت : لا بأس عليك ، أرسل عنانَ البغلة وامض ولا تخف ، ففعل . فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج ، فقال لي يا ابن بركة : من هذا أمامك ؟ فقلت : ومن ينبغي أن يكون ! هذا ابن سريج . فتبسّم [ابن] علقمة ثم تمثّل : [من الطويل]

فإن تنج منها يا أبان مسلماً فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا . فلما كنا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرة نستريح ، فقلت له : عن مرتجلاً ؛ فرفع صوته فخيّل إليّ أن الشجرة تنطق معه ، فغنى :

[من الكامل]

صوت

كيف التواء يبطن مكة بعد ما
أم كيف قلبك إذ تويت محمراً
هم الذين تحب بالإنجاد
أم قبل ذلك مدليج بسواد
سقماً خلافهم وكرئك بادي³

1 العروض : الطريق في عرض الجبل .

2 بطن محسّر : وادي المزدلفة بالقرب من مكة .

3 المخمر : أصله المصدع من الخمر .

الشعر للعرجي . وذكر إسحاق في مُجرّده أنّ الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سريج . قال سهل : فقلت : أحسنت والذي فلقَ الحبة وبرأ النسمة ، ولو أنّ كنانة كلّها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور من غرّه نافع . ثم قلت : زدني وإن كان القوم متعلّقة قلوبهم بك . فعنى وتناول عوداً من الشجرة فأوقع به على الشجرة ؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون¹ الضّان على العيدان إذا أخذتها قُضبان الدّفلى . قال : والصوت الذي غنى : [من الكامل]

صوت

لا تجمعي هجرأ عليّ وغربةً فالهجرُ في تلفِ الغريبِ سريعُ
من ذا ، فديتك ، يستطيع لحيه دُفعا إذا اشتملت عليه ضلوعُ

فقلت : بنفسي أنت والله من لا يُملُّ ولا يُكدُّ ، والله ما جهل من فهمك ؛ اركب ، فديتك نفسي ، بنا . فقال : أمهلني كما أمهلتك أقض بعض شأني . فقلت : وهل عما تريد مدفع ! فقام فصلّي ركعتين ، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قال : يا حبيبتي إذا شهدتِ بذاك الشيء فاشهدي بهذا . ثم مضينا والقوم متشوقون . فلما دنونا أحست الدوابّ بالبعلة فصهلت ، وشحجت البعلة ، وإذا الغريض يُغنيهم لحنه :

من خيل حيٍّ ما تزال مُغيرةً سمعت على شرفِ صهيلِ حصانٍ
فبكى ابن سريج حتى ظننت أن نفسه قد خرجت ، فقلت : ما يُيكيك يا أبا يحيى ؟
[جعلتُ فداك !] لا يسوءك الله ولا يُريك سوءاً ! قال : أبكاني هذا المخنث بحسن غنائه
وشجا صوته ؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يُعني وهذا الصبيُّ حيٌّ . ثم نزل فاستراح وركب .
فلما سار هنيهةً اندفع الغريض فغناهم لحنه :

يا خليلي قد مللتُ ثوائي بالمصلّي وقد شئتُ البقيعا

قال : ولصوته دويٌّ في تلك الجبال . فقال ابن سريج : ويليك يا ابن بركة ! أسمعت أحسن من هذا الغناء والشعر قطّ ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا نشاوى يسحبون أعطافهم ، وجعلوا يُقبلون وجه ابن سريج . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطق بجرف [واحد] ، وأخذوا في شرايبهم وقالوا : يا حبيب النفس وشقيقها أعطها بعض منها ؛ ف ضرب بيده إلى جيبه فأخرج منه مضرباً ، ثم أخذه بيده ووضع العود في حجره ، فما رأيتُ يداً أحسن من يده ، ولا خشبةً

1 يريد ببطون الضّان الأوتار التي تتخذ من المعى .

تَحَيَّلَتْ إِلَيَّ أَنهَا جَوْهَرَةٌ إِلَّا هِيَ ، ثُمَّ ضَرَبَ فَلَقَدْ سَبَّحَ الْقَوْمُ جَمِيعاً ، ثُمَّ غَنَّى فَكُلُّهُ قَالَ : لَبَّيْكَ
لَبَّيْكَ ! فَكَانَ مِمَّا غَنَّى فِيهِ ، وَاللَّحْنُ لَهُ هَزَجٌ : [من مجزوء الرجز]

صوت

لَبَّيْكَ يَا سَيِّدَتِي لَبَّيْكَ أَلْفَا عَدَا
لَبَّيْكَ مِنْ ظَالِمَةٍ أَحْبَبْتُهَا مُجْتَهِدَا
قُومُوا إِلَى مَلْعَبِنَا نَحْكُ الْجَوَارِي الْخُرْدَا
وَضَعْ يَدِي فَوْقَ يَدِي تَرَفَعُهَا يَدَا يَدَا

فَكُلُّهُ قَالَ : نَفْعَلُ ذَلِكَ . فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَسْتَبِقُ أَيُّنَا تَقَعُ يَدُهُ عَلَى يَدِهِ . ثُمَّ غَنَّى : [من مغلغ البسيط]

مَا هَاجَ شَوْقَكَ بِالصَّرَائِمِ رُبْعُ أَحَالٍ لِأُمِّ عَاصِمٍ¹
رُبْعُ تَقَادَمَ عَهْدِهِ هَاجَ الْمُحِبُّ عَلَى التَّقَادَمِ
فِيهِ النَّوَاعِمُ وَالشَّبَا بُ النَّاعِمُونَ مَعَ النَّوَاعِمِ
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الْجَبِي مِنْ عَمِيمَةٍ رَيَّا الْمَعَاصِمِ²

ثُمَّ إِنَّهُ غَنَّى : [من الطويل]

صوت

شَجَانِي مَغَانِي الْحَيِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ
فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ صَبَابَةً وَفِيهِنَّ خَوْدٌ كَالْمَهَاةِ غَضِيضُ
وَوَلَّيْتُ مَخْزُونَ الْفَوَادِ مُرَوَّعًا كَثِيئًا وَدَمْعِي فِي الرَّدَاءِ يَفِيضُ

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ ، وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ آخِرُ لَابِنِ
جُنْدَبٍ . قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةَ طَيْرٍ وَقَعْنَ بِقُرْبِنَا وَمَا نُحِسُّ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهَا شَيْئًا ؛ فَقَالَتْ
الْجَمَاعَةُ : يَا تَمَامَ السَّرُورِ وَكَمَالَ الْمَجْلِسِ ! لَقَدْ سَعِدَ مَنْ أَخَذَ بِحُظِّهِ مِنْكَ ، وَخَابَ مَنْ حُرِمَكَ ، يَا
حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَنَسِيمَ النُّفُوسِ جَعَلْنَا [اللَّهُ] فِدَاؤَكَ ! غَنَّا ؛ فَغَنَّى وَاللَّحْنُ لَهُ : [من مجزوء الكامل]

صوت

يَا هِنْدُ إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ تَبَاعَا بَعَاذِلَيْنِ تَتَابَعَا

1 أحال الشيء : مرَّ عليه حول ، مثل أحول الشيء .

2 امرأة عميمة : نامة القوام والمخلوق طويله .

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأن فيه طولاً ، فبدرتُ من بينهم فقَبَلتُ بين عينيه ،
فتهافتُ القوم عليه يقبلونه ؛ فلقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه .

[ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان]

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثيرٌ وعمرٌ ونصيَّبٌ والأحوصُ أغانٍ .

[من المنسرح]

منها :

صوت

أبصرتُها ليلةً ونسوتُها يمشينَ بين المقامِ والحجرِ
ما إن طَمِعنا بها ولا طَمِعْتُ حتَّى التَقينا ليلاً على قَدْرِ
بيضاً حساناً خرائداً قُطفاً يمشينَ هوناً كمِشيَةِ البَقرِ

الشعر لعمر . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشاميِّ وحَبَش . وذكر عمرو أنَّ
فيه لابن سُرَيج خفيف ثقيلٍ أوَّل بالبنصر . ولأبي سعيدٍ مولى فائدٍ ثقيلٍ أوَّل ، وقيل : إنَّه
لسِنانٍ الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضاً ، وهذا أوَّلها :

[من المنسرح]

صوت

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ كَمِدٍ يَهْذِي بِخَوْدٍ مَرِيضَةَ النَّظْرِ
تمشي رُوَيْداً إذا مَشَتْ قُطفاً وهي كمثل العُسلوجِ مِ البُسرِ¹
ما زال طَرْفي يَحَارُ إذ بَرَزْتُ حتَّى عرفتُ النُّقصانَ في بَصري

غناه ابن محرز ، ولحنه من خفيف الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

[من المنسرح]

ومنها :

صوت

قالتُ لِيَتْرَبَ لها تُحَدِّثُها لِنُفْسِدَنَّ الطَّوْفَ في عَمْرِ
قالتُ تَصَدِّقِي له لِيَعْرِفنا ثمَّ اغْمِزِيه يا أُختِ في خَفَرِ
قالتُ لها قد غمزته فأبى ثمَّ اسْتَطِيرْتُ تشدُّ في أثري²

غناء يونس خفيف ثقيلٍ أوَّل بالبنصر عن حَبَش . وقيل : إنَّ فيه لعبد الله بن العَبَّاسِ لحناً
جَيِّداً .

[من الطويل]

ومنها ما لم يَمُضْ ذكرُه في الكتاب :

1 قُطفاً : بطيئان السير : الواحدة قُطوف . العُسلوج : ما لان واخضر من القضبان ، والبسر : الثمر قبل إرطابه .

2 استطيرت : دُعرت .

صوت

ألا ليتنا يا عَزَّ من غيرِ بَغْضَةٍ بَعِيرَيْنِ نَزَعِي فِي الْخَلَاءِ وَنَعْرَبُ
 كلانا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاهُ تُعْلِي وَأَجْرُبُ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَلًا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ
 الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حَبِشٍ .

[فضلت عزة الأحوص في الشعر على كثير ، فقدته وأوردت نماذج من شعر الأحوص]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَيْبَةَ عَنْ عَوَانَةَ وَعَيْسَى بْنِ يَزِيدَ : أَنَّ كَثِيرًا دَخَلَ عَلَى عَزَّةَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فِي الْجُلُوسِ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : لِأَنِّي رَأَيْتُ الْأَحْوَصَ الْيَمِينِ جَانِبًا [فِي شِعْرِهِ] مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَضْرَعُ خَدًّا لِلنِّسَاءِ ، وَإِنَّهُ لِأَشْعَرُ مِنْكَ حِينَ يَقُولُ :

[من البسيط]

يَا أَيُّهَا اللَّائِمِي فِيهَا لِأَصْرِمِهَا أَكْثَرْتَ لَوْ كَانَ يُغْنِي مِنْكَ إِكْثَارُ
 أَرْجَعُ فَلَسْتُ مُطَاعًا إِذْ وَشَيْتَ بِهَا لَا الْقَلْبُ سَالٍ وَلَا فِي حُبِّهَا عَارُ
 وَإِنِّي اسْتَرْقَمْتُ قَوْلَهُ :

[من الطويل]

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا الْهَوَى إِذَا لَمْ يُزَرَ لَا بُدَّ أَنْ سَيُزُورُ
 وَأَعْجِبَنِي قَوْلَهُ :

[من البسيط]

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ صَبِرْتُ أَتْبَعُهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا¹
 وَزَادَنِي كَلْفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعْتُ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعًا²
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

[من الطويل]

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَدَّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَامَ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَدًا³
 فَقَالَ كَثِيرٌ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَادَ ؛ فَمَا الَّذِي اسْتَجَفَيْتِ مِنْ قَوْلِي ؟ قَالَتْ : أَخْزَاكَ اللَّهُ ! أَمَا اسْتَحْيَيْتِ حِينَ تَقُولُ :

[من الطويل]

يُحَاذِرُنْ مَنْسِي غَيْرَةَ قَدْ عَرَفْنَاهَا لَدَيَّْ فَمَا يَضْحَكُنْ إِلَّا تَبَسُّمًا
 فَقَالَ كَثِيرٌ :

[من الطويل]

1 صحا في ل : سلا .

2 مثل .

3 الشنان : البغض من الشنان .

وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْتَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ وَأَنْتِ مُضْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ
كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرِيَاءُ تُعَدِّي وَأَجْرَبُ
نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلَّبُ

[أبيات من شعر أبي زيد وبيان ألحانها]

فقلت لي : وَيْحَكَ ! لقد أردتَ بي الشقاء الطويل ، ومن المني ما هو أعفى من هذا
وأطيبُ : [من المنسرح]

صوت

قَد كُنْتَ فِي مَنْظِرٍ وَمُسْتَمَعٍ عَن نَصْرِ بَهْرَاءَ غَيْرِ ذِي فَرَسٍ
لَا تَرَّةَ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبُهَا وَلَا هُمْ نُهْرَةٌ لُمُخْتَلِسِ
بَكْفٌ حَرَّانٌ تَائِرٌ بِدَمٍ طَلَّابٌ وَتَرٍ فِي الْمَوْتِ مُنْغَمِسِ
إِمَّا تَقَارِشُ بِكَ الرَّمَاحُ فَلَا أَبْكَيكَ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ
تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِهَا رَمَقٌ طَيْرًا عُكُوفًا كَزُورِ الْعُرْسِ
عَمَّا قَلِيلٍ يَصْبَحَنَّ مُهْجَتَهُ فَهِنَّ مِنْ وَالْغِ وَنُتْهِسِ

الشعر لأبي زبيد الطائي . والغناء لابن مُحَرِّزٍ في الأوَّل والثاني خفيفٌ ثقيلٌ الأوَّل بالسبابة
في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن في الأربعة الأوَّل خفيفي ثقيلٍ كلاهما
بالبنصر لمعبد وابن مُحَرِّزٍ ، ووافقهُ الهشاميُّ في لحن مَعْبِدٍ في الأوَّل والثاني وذكر أنه
بالوسطى . وفي كتاب ابن مسجَّحٍ عن حمَّاد له ؛ فيه لحنٌ يقال إنه لابن مُحَرِّزٍ . ولابن سُرَيْجٍ
في الأوَّل والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أن الرمل
لمعبد ، وذكر إسحاق أنه لابن سُرَيْجٍ أيضاً ، وأوله :

تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِهَا رَمَقٌ

وفيه لملك في السادس والسابع خفيف ثقيل آخر . وفيه لابن عائشة رَمَلٌ . وفيه
لِحَنَيْنِ ثاني ثقيل . هذه الحكايات الثلاث عن يونس ، وطرائقها عن الهشاميِّ . ولمُخَارِقٍ
في الرابع والأوَّل خفيف رَمَلٍ . ولمُتَيْمٍ في الأوَّل والثاني خفيف رَمَلٍ آخر . وذكر حبشٌ
أن لإبراهيم في الأوَّل والثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن مسجَّحٍ خفيف ثقيل بالوسطى .

[210] - أخبار أبي زيد ونسبه

[نسبه]

هو حَرْمَلَةُ بن المُنْذِر ، وقيل المنذر بن حرملة . والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِيكَرِب بن حَنْظَلَةَ بن النُّعْمَان بن حَيَّة بن سَعْنَةَ بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنيء بن عمرو بن العوث بن طييء بن أدِّد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلَان .

[نصراني مخضرم في الطبقة الخامسة عند ابن سلام]

وكان أبو زَيْدٍ نصرانياً وعلى دينه مات . وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام فَعُدَّ في المخضرمين . وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العَجِير السُّلُوي وذووه¹ . وقد مضى أكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مَعِيْط .

[من زوّار الملوك ، وكان عثمان يقربه]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحِيّ إجازةً قال : حدّثني محمد بن سلام الجُمَحِيّ قال حدّثني أبو العرّاف قال : كان أبو زَيْدٍ الطائيّ من زوّار الملوك وخاصة ملوك العجم ، وكان عالماً بسيرهم . وكان عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه يُقَرِّبه على ذلك ويُدْنِي مجلسه ، وكان نصرانياً . [فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار] ، فنذاكروا مآثر العرب وأشعارها .

[استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد]

قال : فالتفت عثمان إلى أبي زَيْدٍ وقال : يا أبا تُبَيْع المسيح أسمعنا بعض قولك ؛ فقد أنبعتُ أنّك تُجيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنْ مَبْلُغٌ قَوْمَنَا النَّائِنِ إِذْ شَحَطُوا أَنْ الْفَوَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقٌ وَلَعٌ

ووصفَ [فيها] الأسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حَيِّت . والله إني لأحسبك جباناً هِدَاناً² . قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكنني رأيتُ منه منظرًا وشهدتُ منه مشهداً لا يرح ذكره يتجدد ويتردّد في قلبي ، ومعذور أنا يا أمير

1 هم العجبر بن عبد الله السلويّ ، وعبد الله بن همام السلويّ ، ونافع بن لقيط الأسديّ .

2 الهدان : الأحمق الثقيل .

المؤمنين غير ملوم . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنتى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في ضيابة¹ أشرافٍ من أفناء² قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ ، ترتمي بنا المهاري بأكسائها³ ، ونحنُ نزيد الحارث بن أبي شمير الغساني ملك الشام ؛ فاخروط⁴ بنا السيرُ في حمارة القيظ ، حتى إذا عصبت⁵ الأفواه ، ودبّلت الشفاه ، وشالت المياه⁶ ، وأذكت الجوزاء المعراء⁷ ، وذاب الصيهد⁸ ، وصرّ الجندب⁹ ، وضاف العصفور الضبّ وجاوره في حُجره ، قال قائل : أيها الركبُ غوروا بنا في ضوَج⁹ هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بدا لما كثر الدغل ، دائم الغلل¹⁰ ؛ شجراؤه مُغنّةٌ ، وأطياره مُرّنة¹¹ . فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهيلات¹² ، فأصبنا من فضلات الرّاد وأتبعناها الماء البارد . فإنّا لنصيفُ حرّ يومنا ومماطلتته¹³ ، إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه¹⁴ ، وفحص الأرض بيديه . فوالله ما لبث أن جال ، ثم جمّحتمَ قبال ، ثم فعل فعله الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضت الخيلُ ، وتكعكعت¹⁵ الإبل ، وتقهرت البغال ، فمِن نافرٍ بشيكاله¹⁶ ، وناهض بعقاله ؛ فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبعُ ؛ ففرع كلُّ رجلٍ منا إلى سيفه فاستلّه من جربانه¹⁷ ، ثم وقفنا [له] رزداً (أي صفًا) . وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالعُ في مشيته من نعته¹⁸

- 1 ضيَاب القوم : خيرتهم وسادتهم .
- 2 من أفناء العرب : أي لا يدري من أي القبائل هم .
- 3 أكساء : جمع كسي وهو مؤخر العجز .
- 4 اخروط : طال .
- 5 عصبت الأفواه : جفت .
- 6 شالت المياه : قلت .
- 7 المعراء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى .
- 8 الصيهد : السراب الجاري وشدة الحرّ .
- 9 الضوَج : منعطف الوادي .
- 10 الغلل : الماء الذي يجري بين الأشجار .
- 11 مُرّنة : أي مغرّدة .
- 12 كنهيل : شجر عظام .
- 13 المماطلة : الطول والامتداد .
- 14 صرّ أذنيه : سواهما ونصبهما للاستماع .
- 15 تكعكعت : تأخرت إلى وراء .
- 16 الشكّال : الخيل الذي تشدّ به قوائم الدابة .
- 17 جربانة السيف : غمده .
- 18 ل : بغيه .

كأنه مجنوب¹ ، أو في هيجار² [معصوب] ؛ لصدّره نحيط³ ، ولبلاعمه غطيظ⁴ ؛ ولطرّفه وميض⁵ ، ولأرساغه نقيض⁶ ؛ كأنّما يخبط هشيماً ، أو يطأ صريماً⁷ وإذا هامة كالمجنّ ، وخذ كالمسنّ⁸ ، وعينان سجراوان⁹ ، كأنّهما سراجان يقدان ، وقصرة ريلة¹⁰ ، ولهزيمة رهلة¹¹ ؛ وكتد مغبط¹² ، وزور¹³ مفرط¹⁴ ؛ وساعد مجدول ، وعضد مفتول ؛ وكف شنة البرائن¹⁵ ، إلى مخالب كالمحاجن¹⁶ . فضرب بيده فأرّج¹⁷ ، وكشّر فأفرّج ، عن أنياب كالمعاول مصقولة ، غير مفلولة ؛ وفم أشدق ، كالغار الأجوف ؛ ثم تمطى فأسرع يديه ، وحفز¹⁸ وركيه برجليه ، حتى صار ظلّه مثليه ؛ ثم ألقى فاقشعر¹⁹ ، ثم مثل²⁰ فأكفهر²¹ ، ثم تجهم فازبار²² . فلا وذو بيته في السماء ما اتقيناها إلا بأول أخ لنا من فزارة ، كان ضخم الجزيرة²³ ، فوقصه ثم نفّسه نفضة فقضض متنيه²⁴ ، فجعل يلغ في دمه . فذمرت أصحابي²⁵ ، فبعد لأي ما استقدّموا . فهجهجنا به²⁶ ، فكّر مشعراً بزبرته²⁷ ،

- 1 المجنوب : المصاب بذات الجنب .
- 2 الهيجار : حيل يُشدّ في رسغ رجل البعير ثم يشده إلى حقوه .
- 3 نحيط : زفير .
- 4 النقيض الأرساغ : صوتها .
- 5 الصريم : الحبّ المقطوع من الزرع .
- 6 المسنّ : الحجر الذي يُسنّ به أو يُسنّ عليه .
- 7 عين سجراؤ أي بيّنة السجر ، وهو أن يخالط بياضها حمرة .
- 8 القصرة : أصل العنق إذا غلظت ، والريلة : كل لحمه غليظة .
- 9 اللهزيمة : عظم ناتئ أو مضغة عليّة تحت الأذن ، ورهلة : متفتحة .
- 10 الكند : ما بين الكاهل إلى الظهر . ومغيظ : مرتفع .
- 11 الزور : الصدر .
- 12 شنة البرائن : خشنها ، والبرائن : جمع البرثن ، وهو من السباع والطيور بمنزلة الأصابع من الإنسان .
- 13 المحجنّ : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان .
- 14 أرّج : أثار الغبار .
- 15 حفز : دفع .
- 16 مثل : قام منتصباً .
- 17 ازبار : تنفّس حتى ظهرت أصول وبر شعره .
- 18 ضخم الجزيرة : كبير الرأس واليدين والرجلين يريد أنه عظيم الجسم .
- 19 وقصه : دق عنقه . فقضض متنيه : كسر متني الظهر .
- 20 ذمر أصحابه : لامهم وحضّهم وحثّهم .
- 21 هجهجنا به : صحنا به وزجرناه ليكفّ .
- 22 الزبرة : الشعر المجتمع بين كفتي الأسد .

كَأَنَّ بِهِ شَيْهَمًا حَوْلِيًّا¹ ، فَاخْتَلَجَ رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا² ، فَنَفَضَهُ نَفْضَةً تَزَايَلَتْ [مِنْهَا] مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَّقَر³ ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَبَّر⁴ ، ثُمَّ زَارَ فَجَرَجَرَ⁵ ، ثُمَّ لَحَظَ⁶ ، فَوَاللَّهِ لَخِلْتُ الْبَرِّقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ ، مِنْ عَنِ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ . فَأُرْعِشَتِ الْأَيْدِي ، وَاصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ⁷ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَصَتِ الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَأَنْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أُرْعِبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ .

[خوفه من الأسد]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي شُعْبَةُ قَالَ : قُلْتُ لِلطَّرِمَّاحِ بْنِ حَكِيمٍ : مَا شَأْنُ أَبِي زَيْدٍ وَشَأْنُ الْأَسَدِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ لَقِيَهُ بِالنَّجْفِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَلَحَ مِنْ فَرْقِهِ ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : فَسَلَحَهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَصِفُهُ كَمَا رَأَيْتُ .

[مفاخرة بين المكاء الطائي وبين الشيباني وشعر أبي زيد في ضربة المكاء]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ طَيِّبٍ مِنْ بَنِي حِيَّةٍ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ ذُهَلٍ بْنِ شَيْبَانَ يُقَالُ لَهُ الْمَكَّاءُ ، فَذَبَحَ لَهُ شَاةً وَسَقَاهُ الْخَمْرَ ، فَلَمَّا سَكِرَ الطَّائِيُّ قَالَ : هَلُمَّ أَفَاخِرْكَ : ابْنُو حِيَّةٍ أَكْرَمُ أُمَّ بَنُو شَيْبَانَ ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْبَانِيُّ : حَدِيثٌ [حَسَنٌ] ، وَمُنَادِمَةٌ كَرِيمَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمَفَاخِرَةِ . فَقَالَ الطَّائِيُّ : وَاللَّهِ مَا مَدَّ رَجُلٌ قَطُّ يَدًا أَطْوَلَ مِنْ يَدِي . فَقَالَ الشَّيْبَانِيُّ : وَاللَّهِ لَنْ أَعْدَتَهَا لِأَخْضَبِيئِهَا مِنْ كَوْعِهَا . فَرَفَعَ الطَّائِيُّ يَدَهُ ، [فَضْرِبَهَا الشَّيْبَانِيُّ بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهَا] . فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ فِي ذَلِكَ :

خَبَّرْتَنَا الرُّكْبَانُ أَنْ قَدْ فَخَرْتُمْ وَفَرِحْتُمْ بِضَرْبَةِ الْمَكَّاءِ
وَلَعَمْرِي لَعَارُهَا كَانَ أَدْنَى لَكُمْ مِنْ تَقَى وَحَقِّ وَفَاءِ
ظَلَّ ضَيْفًا أَخْوَكُمُ لِأَحِينَا فِي صُبُوحٍ وَنَعْمَةٍ وَشِوَاءِ

1 الشيهيم : ما عظم شوكة من ذكور القنافذ . والحولي : ما أتى عليه حول .

2 اختلج رجلاً : انتزعه ، وأعجر : ممتلىء جداً ، أو عظيم البطن ، الحوايا : الأمعاء .

3 نهم : أخرج صوتاً كالأنين . وفرفر : صاح .

4 بربر : صاح .

5 جرجر : ردّد صوته في حنجرته .

6 لحظ : نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً .

7 أطت الأضلاع : صوتت .

ثم لما رآه لانت به الخمر سر وأن لا يريبه باتقاء
لم يهَبْ حُرْمَةَ النَّدِيمِ وَحُقَّتْ يا لقومٍ للِسُوءَةِ السُّوءَاءِ

[ما قاله في كلبه أكرد حين لقيه الأسد فقتله]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان لأبي زييد كلبٌ يقال له أكَدَرُ ، وكان له سلاحٌ يُلبسه أياه ، فكان لا يقوم له الأسد ، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه ، فلقبه الأسد فقتله ، ويقال : أخذه فأفلت منه ، فقال عند ذلك أبو زييد :

[من البسيط]

أحَالٌ أَكْدَرُ مُخْتَالًا كَعَادَتِهِ حتى إذا كان بين البعر والعطن¹
لاقي لدى ثلث الأَطْوَاءِ دَاهِيَةً أَسْرَتْ وَأَكْدَرَ تَحْتَ اللَّيْلِ فِي قَرْنٍ²
حَطَّتْ بِهِ شِيْمَةٌ وَرَهَاءٌ تَطْرُدُهُ حتى تناهى إلى الحُولَاتِ فِي السَّنَنِ³
إِلَى مُقَابِلِ خَطْوِ السَّاعِدِينَ لَهُ فوق السَّرَاةِ كَذْفَرَى الْفَالِحِ الْقَمِينِ⁴
رَبَابٍ غَابٍ فَلَا قَحْمٌ وَلَا ضَرَعٌ كالْبَغْلِ يَحْتَضِمُ الْعَلْجِينَ فِي شَطْنِ

[لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم]

وهي قصيدة طويلة . فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد ، وقالوا له : قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتم أو لقيكم ما لقي أكرد لما لُمتموني . ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات .

[وصف النعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري قال حدثني هارون بن مسلم بن سعدان أبو القاسم قال حدثنا هشام ابن الكلبي قال : كان الأجلح الكندي يحدث عن عمارة بن قابوس قال : لقيتُ أبا زييد الطائي فقلت له : يا أبا زييد هل أتيت النعمان بن المنذر ؟ قال إي والله لقد أتيتُه وجالسته . قال قلت : فصفه لي . فقال : كان أحمر أزرق أبرش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيسرك أنه سمع مقاتك هذه وأن لك حُمَرَ النَّعَمِ ؟ قال : لا والله ولا سُودَهَا ؛ فقد رأيتُ ملوكَ حِمير في مُلكها ، ورأيتُ ملوكَ غَسَّان في ملكها ، فما

1 أحال : أقبل . مختالاً في ل : مشياً . العطن : مناخ الإبل حول الورد .

2 ثلة البعر : ما أخرج من ترابها . والأطواء : جمع الطوي . القرن : جبل يجمع به البعيران .

3 الحُولَات : جمع حولة وهي الداهية .

4 الفالِح : البعير ذو الستامين . والقمن : السريع .

رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَزًّا مِنْهُ . وَكَانَ ظَهَرُ الْكُوفَةِ يُنْبِتُ الشَّقَائِقَ ، فَحَمَى ذَلِكَ الْمَكَانَ ، فَسُيِّبَ إِلَيْهِ فُقَيْلٌ «شَقَائِقُ الْعُمَانِ» .

فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأنَّ على رؤوسنا الطير ، وكأنه باز . فقام رجل من الناس فقال له : أَيُّتَ اللَّعْنِ ؛ أَعْطَيْتَنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ . فَتَأَمَّلَهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَذْنِي حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا بِكِنَانِيَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا مَشَاقِصَ¹ فَجَعَلَ يَجَأُ² بِهَا فِي وَجْهِهِ حَتَّى سَمِعْنَا قَرَعَ الْعِظَامِ ، وَخُضِبَتْ لَحْيَتُهُ وَصَدْرُهُ بِالْדَّمِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُحِّجِي . وَمَكُنَّا مَلِيًّا .

ثُمَّ نَهَضَ آخَرَ فَقَالَ لَهُ : أَيُّتَ اللَّعْنِ ؛ أَعْطَيْتَنِي . فَتَأَمَّلَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : أَعْطُوهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَأَخَذَهَا وَانطَلَقَ .

ثُمَّ التَفَّتْ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ وَخَلْفِهِ ، فَقَالَ : مَا قَوْلُكُمْ فِي رَجُلٍ أَزْرَقَ أَحْمَرَ يُدْبِحُ عَلَى هَذِهِ الْأَكْمَةِ ، أَتُرُونَ دَمَهُ سَائِلًا حَتَّى يَجْرِي فِي هَذَا الْوَادِي ؟ فَقُلْنَا لَهُ : أَنْتَ ، أَيُّتَ اللَّعْنِ ، أَعْلَى بَرَأِيكَ عَيْنًا . فَدَعَا بِرَجُلٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَّةِ فَأَمَرَ بِهِ فَذُبِحَ .

ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَسْأَلُونِي عَمَّا صَنَعْتُ ؟ فَقُلْنَا : وَمَنْ يَسْأَلُكَ ، أَيُّتَ اللَّعْنِ ، عَنْ أَمْرِكَ وَمَا تَصْنَعُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنِّي خَرَجْتُ مَعَ أَبِي نَتَصِيدُ ، فَفَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ بَفَنَاءِ بَابِهِ وَيَبِينُ يَدَيْهِ عَسُ مِنْ شَرَابٍ أَوْ لَبَنٍ ، فَتَنَاوَلْتَهُ لِأَشْرَبَ مِنْهُ ، فَثَارَ إِلَيَّ فَهَرَقَ الْإِنَاءَ فَمَلَا وَجْهِي وَصَدْرِي ، فَأَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا لَكِنِّ أُمَكْنِي مِنْهُ لِأَخْضِبَنَّ لَحْيَتَهُ وَصَدْرَهُ مِنْ دَمِ وَجْهِهِ .

وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ كَأَفَاتِهِ بِهَا ، وَلَمْ أَكُنْ أَثْبِتُهُ ، فَتَأَمَّلْتُهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ .

وَأَمَّا الَّذِي ذَبَحْتُهُ فَإِنَّ عَيْنًا لِي بِالشَّامِ كَسِبَ إِلَيَّ : إِنَّ جَبَلَةَ بِنَ الْأَيْهَمِ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِرَجُلٍ صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا لِيغْتَالَكَ . فَطَلَبْتُهُ أَيَّامًا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمَ .

[مات نديم له في غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لِأَبِي زُبَيْدٍ نَدِيمٌ يَشْرَبُ مَعَهُ بِالْكُوفَةِ ، فَغَابَ أَبُو زُبَيْدٍ غَيْبَةً ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبِرَ بِوَفَاتِهِ ، فَعَدَّلَ إِلَى قَبْرِهِ قَبْلَ دَخُولِهِ مَنْزَلَهُ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

يَا هَاجِرِي إِذْ جِئْتُ زَائِرَهُ مَا كَانَ مِنْ عَادَاتِكَ الْهَاجِرُ
يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ السَّلَامِ عَلَى مَنْ حَالَ دُونَ لِقَائِهِ الْقَبْرِ

1 المشقص : نصل عريض أو سهم .

2 الوجء : الضرب .

ثم انصرف . وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرب عنده ويصُبُّ الشراب على قبره .
والآيات التي فيها الغناء المذكور يقولها في غلامٍ له قَتَلَتْهُ تَغْلِبُ ، وكان مُجاوِراً فيهم ،
فدَلَّ بِهَرَاءٍ على عَوْرَتِهِم وقاتلهم معهم فقتل .

[شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه]

أخبرني بخبره أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام . وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن
عمّه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان أحوالُ أبي زيد بنِي تَغْلِبُ ، وكان
يقيم فيهم أكثر أيامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزت بهراء بنِي تَغْلِبُ ، فمروا بغلامه ، فدفع
إليهم إبلَ أبي زيد وقال : انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم . ففعلوا ، والتقوا ،
فهزمت بهراء وقيل الغلام ، فقال أبو زيد هذه القصيدة وهي :

هل كنتَ في مَنْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ	عن نصرٍ بهراءٍ غيرَ ذي فَرَسٍ
تَسْعَى إلى فِتْيَةِ الأَرَامِجِ واسـ	تَعَجَلْتَ قَبْلَ الجِمانِ والقَبسِ ¹
في عارضٍ من جبالِ بها الأ	لُ مَرَيْنِ الحروبِ عن دُرسٍ ²
فَنُهْزَةٌ مَنْ لَقُوا حَسِيَّتُهُم	أَحْلَى وأشهى من باردِ الدِّيسِ
لا تِرةَ عندهم فتطلبها	ولا هُمُ نُهْزَةَ المُخْتَلِسِ
جُودٍ كرامٍ إذا هُمُ نُدِيوا	غَيْرُ لثامٍ ضُجْرٍ ولا كُسسٍ ³
صُمْتُ عظامِ الحُلومِ إن قعدوا	عن غيرِ عِيٍّ بِهِمُ ولا خَرَسِ
تَقوتُ أفراسَهُمُ نساؤُهُمُ	يُرْجُونُ أَجْمالَهُمُ مع الغَلَسِ
صَادَقَتْ لَمَّا خَرَجْتَ مُنْطَلِقاً	جَهْمَ المُحَيَّا كِباسِلِ شِرسِ
تَخالُ في كَفِّهِ مَثَقَفَةٌ	تَلْمَعُ فيها كَشَعْلَةُ القَبَسِ
بِكَفِّ حَرَّانٍ نائِرٍ بدمٍ	طَلَّابِ وتِرٍ في الموتِ مُنْغِيسِ
إِما تَقارَنُ بك الرِّماحُ فلا	أَبْكِيكِ إلاَّ لِلدُّلوِ والمَرَسِ
حَمِدْتَ أُمْرِي ولَمْتَ أَمْرَكَ إذ	أَمْسَكَ جَلَزُ السَّنَانِ بالنَّفْسِ ⁴

1 الجمان والقبس : ناقتان .

2 مرين الحروب : جلبنها . دُرس : جمع دُرسة وهي الرياضة .

3 كُسس : جمع أُكس ، أي ليس فيهم خروج الأسنان السقلى على الخنك الأسفل .

4 جِلز السنان : الحلقة المستديرة في أسفله .

وقد تصليتَ حَرَّ نارهمُ كما تصلّي المَقْرور من قَرَسٍ¹
 تَذُبُّ عنه كَفُّ بها رمق طيراً عكوفاً كزُورِ العُرْسِ²
 عما قليلٍ علون جُثته فهنَّ من والغٍ ومُنْتَهِسِ

[أخذ دية غلامه وثمان إبله من تغلب وقال شعراً]

فلما فرغ أبو زيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بديّة غلامه وما ذهب من إبله ، فقال في ذلك :

ألا أبلغ بني عمرو رسولاً فإنّي في مودّتكم نفيسُ
 هكذا ذكر ابن سلام في خبره ، والقصيدة لا تدلُّ على أنها قيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه وردّ عليه ماله . وفي رواية ابن حبيب :

ألا أبلغ بني نصر بن عمرو
 وقوله أيضاً فيها :

فما أنا بالضعيفِ فتظلموني ولا جافي اللقاء ولا خسيسُ
 أفي حقّ مواساتي أحكام بمالي ثم يظلمني السريسُ

السريس : الضعيف الذي لا ولد له - وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعلّ ابن سلام وهم .

[هو أحد المعمرين]

وأبو زيد أحدُ المُعَمَّرين ، ذكر ابن الكلبيّ أنّه عمر مائة وخمسين سنة .
 أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان طول أبي زيد ثلاثة عشر شبراً .

[كان يدخل مكة متكرراً لجماله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا محمد بن عبد الله العبديُّ أبو بكر قال حدثني أبو مسعر الجُشميُّ عن ابن الكلبيّ قال : كان أبو زيد الطائيّ ممن إذا دخل مكة دخلها متكرراً لجماله .

[منادته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية]

وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال : لما صار الوليد بن عقبة إلى الرقة واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية ، صار أبو زيد إليه ، فكان ينادمه ،

1 القرس : البرد الشديد .

2 الزور : جمع الزائر . والعرس : طعام الوليمة .

وكان يُحْمَلُ فِي كُلِّ أَحَدٍ إِلَى الْبَيْعَةِ مَعَ النَّصَارَى . فَبَيْنَا هُوَ يَوْمَ أَحَدٍ يَشْرَبُ وَالنَّصَارَى حَوْلَهُ رَفَعُ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ ثُمَّ رَمَى بِالْكَأْسِ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ :
[من الطويل]

إِذَا جَعَلَ الْمَرْءُ الَّذِي كَانَ حَازِمًا يُحَلُّ بِهِ حَلَّ الْحَوَارِ وَيَحْمَلُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ يَرِيدُهُ وَتَكْفِينُهُ مَيْتًا أَعْفُ وَأَجْمَلُ

[دُفِنَ مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بَوْصِيَّةَ مِنْهُ]

وَمَاتَ فَدُفِنَ هُنَاكَ عَلَى الْبَلِيخِ¹ . فَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ الْوَفَاةُ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ إِلَى جَنْبِ أَبِي زَيْدٍ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَبَا زَيْدٍ مَاتَ بَعْدَ الْوَلِيدِ ؛ فَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ إِلَى جَنْبِ الْوَلِيدِ .

[قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي خَبْرِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ إِسْحَاقُ عَنْهُ : هَرَبَ أَبُو زَيْدٍ مِنَ الْإِسْلَامِ فَجَاوَرَ بِهَرَاءَ فَاسْتَأْجَرَ مِنْهُمْ أَجِيرًا لِإِبْلِهِ فَكَانَ يَقْبَلُهُ² حَلَبَ الْجُمَانِ وَالْقَيْسِ ، وَهَمَا نَاقَتَانِ كَانَتَا لَهُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ حَابِسَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي التَقْتَ فِيهِ بِهَرَاءَ وَتَغَلَّبَ خَرَجَ أَجِيرُ أَبِي زَيْدٍ مَعَ بِهَرَاءَ ، فَقُتِلَ وَانْهَزَمَتْ بِهَرَاءَ ، فَمَرَّ أَبُو زَيْدٍ بِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ فِيهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ] .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَوَائِيُّ الْمَدَائِنِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عَقْبَةُ الْمِطْرِيُّ قَالَ : كُنَّا فِي الْحَمَامِ وَمَعِيَ ابْنُ السَّعْدِيِّ وَأَنَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَدَخَلَ سَعْدُ الرَّوَاسِيِّ فَغَنَى : [من المنسرح]

قَدْ كُنْتُ فِي مَنْظَرٍ وَمَسْتَمِعٌ عَنْ نَصْرِ بِهَرَاءَ غَيْرَ ذِي فَرَسٍ

فَقَالَ ابْنُ السَّعْدِيِّ : اسْكُتْ اسْكُتْ ؛ فَقَدْ جَاءَ حَدِيثٌ يَأْكُلُ الْأَحَادِيثُ .

[أَوْصَى لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ حِينَ احْتَضَرَ بِالْخَمْرِ وَلِحُومِ الْخَنَازِيرِ]

[أَخْبَرَنِي عَمِّيُّ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَا حَدَّثَنِي الْعَمْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْجَمَّازُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ يُونُسَ وَأَبِي الْخَطَّابِ النَّحْوِيِّ : أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ أَوْصَى لَمَّا احْتَضَرَ لِأَبِي زَيْدٍ بِمَا يُصْلِحُهُ فِي فَصْحِهِ وَأَعْيَادِهِ ، مِنْ الْخَمْرِ وَلِحُومِ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . فَقَالَ أَهْلُهُ وَبَنُوهُ لِأَبِي زَيْدٍ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَنَا هَذَا فِي دِينِنَا ، وَإِنَّمَا فَعَلَهُ إِكْرَامًا لَكَ وَتَعْظِيمًا لِحَقِّكَ ، فَقَدَّرَهُ لِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَعِيشَ ، وَقَوْمٌ مَا أَوْصَى بِهِ لَكَ حَتَّى نَعْطِيكَ قِيَمَتَهُ وَلَا تَفْضَحْنَا وَتَفْضَحَ آبَاءَنَا بِهَذَا ، وَاحْفَظْهُ وَاحْفَظْنَا فِيهِ ، فَفَعَلَ أَبُو زَيْدٍ ذَلِكَ ، وَقَبْلَهُ مِنْهُمْ] .

1 نهر بالركة يجتمع فيه الماء من عيون .

2 من قولهم قَبِلْتَ الْعَامِلَ الْعَمَلَ ، أَي جَعَلْتَهُ فِي كِفَالَتِهِ .

صوت

[من البسيط]

هَلْ تَعْرِفَ الدَّارَ مِنْ عَامِينَ أَوْ عَامٍ دَارٌ لِهِنْدٍ بِجِزَعِ الحُرْجِ فَالدَّامِ¹
 تَحْوِ لِأَطْلَائِهَا عَيْنٌ مُلَمَّعَةٌ سَفْعُ الحُدُودِ بِعِيدَاتٍ مِنَ الرَّامِي²
 الحرج والدام : موضعان ، ويروى «مذ عامين» . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوي .
 وعَيْن : بقر . وأطلاؤها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات من الدام» هو
 الذي يذم .

[الخطبة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق]

الشعر للخطبة يمدح به أبا موسى الأشعري لما ولّاه عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه
 العراق . والغناء لمالك ، خفيفُ رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أنّ فيه
 لابن جامع أيضاً صنعةً .

1 الحرج والدام : موضعان .

2 الملمعة : التي فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة .

211 - [أخبار متفرقة عن الخطيئة وغيره]

قال محمد بن حبيب : أتى الخطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أن العدة قد تمت ، فمدحه الخطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها ، وأولها : [من البسيط]

هل تعرف الدار من عامين أو عامٍ دار لهند بجِزَعِ الحرجِ فالدامِ
وفيها يقول :

وجحفل كسواد الليل منتجعٍ أرضَ العدوِّ بيوسٍ بعد إنعامِ
جمعت من عامٍ فيه ومن أسدي ومن تميمٍ ومن حاءٍ ومن حامِ
حاء من مذحج ، وحام من خثعم :

وما رَضِيَتْ لهم حتى رَفَدْتهم من وائلٍ رهطٍ بسطامٍ بأصرامِ¹
فيه الرماح وفيه كلُّ سابعة جدلاءٍ مُحْكَمَةٍ من نسجِ سلامِ

يعني سليمان النبي :

وكلُّ أجردٍ كالسرحانِ أضمره مسحُ الأكفِّ وسقي بعد إطعامِ
مستحقاتٍ رواياها جحافلها يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ²

الروايا : الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب³ الخيل إليها فتضع جحافلها على أعجاز الإبل :

لا يزجرُ الطيرُ إن مرّت به سُحاً ولا يُفِيضُ على قِدْحٍ بأزلامِ
وقال المدائني : لما مدح الخطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى . وقد كان كتب من أراد وكملت العدة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومُه ، فكتب إليه : إني اشتريت منه عرضي ، فكتب إليه : أحسنت . قال : وزاد فيه حماد الراوية أنه ، يعني نفسه ، أنشدها بلال بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله .
أخبرني القاضي أبو خليفة إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال له : ما أطرفني شيئاً يا حماد ، فعاد إليه فأنشده قول الخطيئة في أبي موسى ، فقال له : ويحك ! يمدح الخطيئة

1 أصرام : جماعات .

2 مستحقات : من استحقب الشيء : شدّه في مؤخر الرجل واحتمله خلفه .

3 تجنب إليها : تقاد إلى جنبها .

أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أذعها تذهب في الناس .
وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألا
يؤلوها عليها إلا من يريدون .

[وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص]

أخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال
حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال : كان قوم من وجوه
أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوماً السهل
والجبل ، فقال حسان بن محدوج : سهلنا خير من جبلنا : أكثرُ بُراً وشعيراً ، فيه أنهارٌ
مطرّدة ، ونخل باسقات ، وقلّت فاكهة يُنبِتُها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد
الرحمن بن حبيش : صدقتم ، وددت أنه للأمير وأن لكم أفضل منه . فقال الأشر : تمنّ
للأمير أفضل ولا تتقرب إليه بأموالنا ، فقال : ما ضرّك ذلك . والله لو يشاء أن يكون له
لكان . قال : كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السواد إلا بستان
لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشر : أنت تقول هذا أصلحك الله
وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ؛ ثم ضربوا عبد الرحمن بن حبيش حتى سقط .

قال المدائني فحدثني علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي [ومجالد بن
حمزة بن بيض عن الشعبي] قال : بينا القراء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرأ وزبداً إذ قال
سعيد : السواد بستان قريش ، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبد الرحمن بن حبيش
وكان على شرطة سعيد : صدق الأمير . فوثب عليه القراء فضربوه ، وقالوا له : يا عدو الله ،
يقول الباطل وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من داري . فخرجوا ، فلما أصبحوا أتوا المسجد
فداروا على الحليق فقالوا : إن أميركم زعم أن السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا ،
فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه : إن قبلي قوماً
يُذعون القراء وهم السفهاء ، وثبتوا على صاحب شرطي فضربوه واستخفوا بي . منهم
عمرو بن زرارة ، وكميل بن زياد ، والأشر وخرقوص بن هبيرة ، وشریح بن أوفى ،
ويزيد بن المكفّف ، وزيد وضععة ابنا صوحان وجندب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان
رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويفروا مغازيهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك
الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخافون إن شاء الله ، واتفق الله جلّ وعزّ وأحسين
السيرة . فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال : إنكم قدمتم بلداً لا
يعرف أهلها إلا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكّ قلوبهم . فقال له الأشر : إن الله جلّ وعزّ

قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبيّنوه للناس ولا يكتُموه ، فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة ، فاتقوا الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ . فقال عمرو بن زرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيد بن صُوحان : إن الذين أشخصونا إليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسنوا جوارنا ، وإن كنا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إني لا أرى حبسك أمراً صالحاً ، فإن أحببت أن أذن لك فترجع إلى مصرك وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنتك فعلت . قال : حسبي أن تأذن وتكتب إلى سعيد . فكتب إليه ، فأذن له ، فلما أراد زيد الشخص كَلَمَه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه ؛ ثم أشخصهم معاوية إلى حمص ، فكانوا بها ، حتى أجمع أهل الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائني حدثني الواقصي عن الزهري : أن أهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم : أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه . ففعل ، فلم يحققوا عليه شيئاً إلا قوله : «السوادُ بستانُ قريش» ، وأتني الآخرون عليه . فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلا كلمة واحدة ، لم ينتهك بها لأحد حرمة . ولا أرى عزله إلا أن تثبتوا عليه ما لا يحلُّ لأحد تركه معه . فانصرفوا إلى مصركم . فرجع سعيدٌ والفريقان معه ، وتقدمهم علي بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال : يا أهل الكوفة إنا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا ، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا ، فردّه إلينا وهو يزعم أن السواد بستان له . وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى .

[الأشتر يخطب عرضاً على عثمان]

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : من كان يرى أن لله جلّ وعزّ حقاً فليصيح بالجرعة ، ثم قال لكُمَيْل بن زياد : انطلق فأخرج ثابت بن قيس بن الخطيم ، فأخرجه . واستعمل أهل الكوفة أبا موسى الأشعري .

[عثمان يخضع لقرّة الرأي العام فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عفان قال حدثنا أبو محصن قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال حدثني جُهَيْم قال : أنا شاهد للأمر ، قالوا لعثمان : إنك استعملت أقاربك . قال : فليقم أهل كل مصر فليسلموا أصحابهم . فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعري . ففعل .

[ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص وذمها سعيداً]

قال أبو زيد : وكان سعيداً قد أبغضه أهل الكوفة لأمر : منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تدم سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقاص :

فليت أبا إسحاق كان أميرنا وليت سعيداً كان أول هالك¹
يُحطُّ أشراف النساء ويتقي بأبنائهنَّ مُرهفات النيازك²

[هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب]

حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قالوا حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه : إنني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين . قال : فأنت علياً فأخبرته ، فقال : لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد ﷺ . أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب لتراب الودمة . قال أبو جعفر : هذا غلط إنما هو لودام التربة³ .

قال أبو زيد وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال : بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاة بصلية إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال : والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ، والله لئن بقيت لأنفضنها نفض القصاب لودام التربة . هكذا في هذه الرواية .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ وَعْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجَبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلِي
أَقْطَعُ الدَّهْرَ بظنِّ حَسَنٍ وَأَجْلِي غَمْرَةً مَا تَنْجَلِي
كَلَّمَا أُمَّلْتُ يَوْمًا صَالِحًا عَرَضَ الْمَكْرَهُ لِي فِي أَمَلِي
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الَّذِي أَرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجْلِي

عروضه من الرمل ؛ الشعرُ لمحمد بن أمية ، والغناء لأبي حشيشة ، رملٌ طنُبوري وفيه لحنٌ لحسين بن مُحَرِّزٍ ثاني ثقبلي بالوسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

- 1 أبو إسحاق : كنية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .
- 2 النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .
- 3 الودام : جمع ودمة : قطعة الكرش . والتربة : الكرش .

[212] - أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية

وما يغني فيه من شعرهما

[نسه]

سألتُ أحمدَ بنَ جعفرٍ جَحْظَةَ عن نسبه قُلْتُ له : إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ ابنُ أُمَيَّةَ وابنُ أَبِي أُمَيَّةَ ؛ فقال : هُوَ مُحَمَّدُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ .

[ومنادته إبراهيم بن المهدي]

قال : وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان ينادمُ إبراهيمَ بنَ المهديِّ ، وربَّما عاشَرَ عليَّ بنَ هشامٍ ، إلاَّ أنَّ انْقِطَاعَهُ كان إلى إبراهيم ، وربَّما كتبَ بين يديه . وكان حَسَنَ الخَطِّ والبيان . وكان أُمَيَّةَ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَكْتُبُ للمهديِّ على بَيْتِ المَالِ . وكان إليه خَتَمُ الكُتُبِ بِحَضْرَتِهِ ، وكان يَأْتِسُ به لأَدَبِهِ وَفَضْلِهِ ، ومكانِهِ من وَلائِهِ ، فزاملَهُ أَرْبَعَ دَفْعَاتٍ حَجَّهَا في ابتدائه وَرُجُوعِهِ . قال جَحْظَةُ : وحدثني بذلك أبو حشيشة .

[إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهدي]

وحدثني جحظة أيضاً قال حدثني أبو حشيشة عن محمد بن علي بن أمية قال حدثني عمي محمد بن أمية قال : كنتُ جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أبو العتاهية وقد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر إلا في الزهد ، فرفعه إبراهيم وسر به ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ؛ فقال له أبو العتاهية : أيها الأمير بلغني خبر فتى في ناحيتك ومن مواليك يُعرف بابن أمية يقول الشعر ، وأنشدتُ له شعراً أعجبني ، فما فعل ؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعله أقرب الحاضرين مجلساً منك . فالتفت إلي فقال لي : أنت هو فديتك ؟ فتشورت¹ وخجلت وقلت له : أنا محمد بن أمية جعلت فداك ؛ وأما الشعر فإنما أنا شاب أعبتُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعث الشاب ؛ فقال لي : فديتك ، ذلك والله زمان الشعر وإبانته ، وما قيل فيه فهو غررُه وعميونه ، وما قصر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومئ إليه أبلغ وأملح . وما زال ينشطني ويؤنسني حتى رأى أنني قد أنست به ، ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إن رأى الأمير ، أكرمه الله ، أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر . فقال لي إبراهيم : بحياتي يا محمد أنشده . فأنشدته :

1 تشورت : استحييت .

رُبَّ وَعْدٍ مِنْكَ لَا أُنْسَاهُ لِي أَوْجِبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلِ
 وذكر الأبيات الأربعة . قال : فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل
 يُرَدِّدُ البيت الأخير منها وينتحب ، وقام فخرج وهو يرددّه ويكي حتى خرج إلى الباب .
 [هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها]

أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرارة قال حدثني محمد بن علي بن أمية
 قال : كان عمي محمد بن أمية يهوى جارية مغنية يقال لها خِداعُ كانت لبعض جواري خال
 المعتصم ، فكان يدعوها ، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها أتباعاً لمسرتّه . وأراد المعتصم
 الخروج والتأهب للغزو ؛ وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهب ، فدعاه بعض إخوانه قبل
 خروجهم بيوم ، فلما أضحى النهار جاء من المطر أمرٌ عظيمٌ لم يقدر معه [أحد] أن يُطلعَ
 رأسه من داره ، فكاد محمد أن يموت غمّاً ، فكتب إلى صديقه الذي دعاه [وقد كان ركب
 إليه ثم رجع لشدة المطر] ولم يقدر على لقائه :

تمادى القَطْرُ وانقطع السبيلُ	من الإلّفين إذ جرت السيولُ
على أنني ركبْتُ إليك شوقاً	ووجهُ الأرض أوديةٌ تجولُ
وكان الشوقُ يقدّمُني دليلاً	وللمشتاق معتزماً دليلاً
فلم أجِد السبيلَ إلى حبيبٍ	أودّعه وقد أفدَ الرحيلُ
وأرسلتُ الرسولَ فغاب عني	فيا لله ما فعل الرسولُ !

وقال في ذلك أيضاً :

مجلس يُشْفى به الوطرُ	عاق عنه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خُذْ لِي مِنْهُمَا فَهُمَا	رحمةٌ عمّت ولي ضررُ
ما على مولاي مَعْتَبَةٌ	عذره بادٍ ومستترُ
شُغِلْتُ عيني بعبرتها	واستمالت قلبي الفكرُ

قال : ثم بيعت خِداعُ هذه فاشتراها بعضُ ولد المهديّ وكان ينزل شارع الميدان ،
 فحجبت عنه وانقطع ما بينهما إلا مكاتبةً ومُرَاسلةً .

قال محمد بن علي فأنشدني يوماً عمي محمد لنفسه فيها :

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ	هيجنُ شوقي لا دراساتُ الطلولِ
حُجِبْتُ أَنْ تُرَى فلستُ أراها	وأرى أهلها بكلّ سبيلِ

وإذا جاءها الرسولُ رآها
قد أتاكِ الرسولُ يَنْعَتُ ما بي
وقال فيها أيضاً :

لَيْتَ عيني مكانَ عِينِ الرسولِ
فاسمعي منه ما يقول وقولي
[من الطويل]

أُسْمِيهِ لم أرشدُ وإن كان مُفسدي
يشير إليهم بالجفون وباليدِ
بالسنة تشفي جوى الهائم الصّدي
وما النجمُ من معروفهنّ بأبعدِ
ويشغفن قلب الناسك المتعبّدِ
إليّ الهوى منهنّ بعد تجرّدِ
وأوردته من لوعة الحبّ موردي
وعاهدته عهدَ امرئ متوكّدِ
وأعرضَ إعراضَ العروسِ من الغدِ¹
لأخبره في حفظ عهدٍ وموعدِ

بناحية الميّدانِ دربٌ لو أني
أخافُ على سكّانه قولَ حاسدِ
وصائفُ أبكارٍ وعونٌ نواطقُ
يُقارِبُن أهلَ الوُدِّ بالقولِ في الهوى
يزِدُن أحبا الدنيا مُجوناً وفتنة
وليلة وافى النوم طيف سرى به
فقاَسَمْتُهُ الأشجانِ نصفين بيننا
ونلتُ الذي أمّلتُ بعد تمنّع
فلما افترقنا خاس بالعهد بيننا
فوا ندماً ألا أكون ارتهنته

[إعجاب أبي العتاهية بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني حذيفة بن محمد قال قال لي محمد بن أبي العتاهية : سمع أبي يوماً مخارقاً يغني :

أحْبَبْتُكَ حُبّاً لو يُفَضُّ يَسِيرُهُ
على الخلقِ مات الخلقُ من شدّة الحبِّ²
وأعلّمُ أنّي بعدَ ذلك مقصّرٌ
لأنّك في أعلى المراتبِ من قلبي
فطربَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المهنا ؟ قال : فتى من الكتابِ يخدمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهديّ . فقال : تعني محمد بن أمية ؟ قال : نعم . قال : أحسنَ والله ، وما يزال يأتي بالشّيءِ المليحِ يبدو له .

[مزاحه مع مسلم بن الوليد]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن أمية بن أبي أمية قال : لقيّ أخي محمد بن أمية مسلّم بن الوليد وهو يمّشي وطويلته³ مع بعض رواته ، فسلم عليه ثم

1 خاس بالعهد : نقضه وخانه .

2 يفض : يفرق .

3 الطويل : يراد بها قلنسوة طويلة .

قال له : قد حضرني شيء ؛ فقال : هاتيه ؛ فقال : على أنه مزاح لا يُغضبُ منه ، قال : هاتيه ولو أنه شتم . فقال :

مَنْ رَأَى فِيمَا خَلَا رَجُلًا تَبَهُهُ يُرِي عَلَى جِدَّتِهِ
يَبَاهِي رَاجِلًا وَلَهُ شَاكِرِيٌّ فِي قُلْنَسِيَّتِهِ¹

فسكت عنه مسلم ولم يُجبه ، وضحك منه محمد واقتربا .

[مداعبة مسلم له حين نفق برذونه]

قال : وكان لمحمد بن أمية برذون يركبه ، فلقبه مسلم وهو راجلٌ فقال : ما فعل برذونك ؟ قال : نفق . قال : الحمد لله ، فنجازيك إذاً على ما كان منك إلينا . ثم قال مسلم : [من السريع]

قل لابن ممي لا تكن جازعاً لن يرجع البرذون بالليت
طامن أحشاءك فقدانه وكنت فيه عالي الصوت
وكنت لا تنزل عن ظهره ولو من الحش إلى البيت
ما مات من حتف ولكنه مات من الشوق إلى الموت

[تعلقه بإحدى الجوارى وما كان بينهما]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال حدثني حسين بن الضحاك قال : دخلت أنا ومحمد بن أمية منزل نخاس بالرفقة أيام الرشيد وعنده جارية تغني فوقعت عينها على محمد ، ووقعت عينه عليها ، فقال لها : يا جارية ، أتغنين هذا الصوت :

خبريني من الرسول إليك واجعليه من لا ينم عليك
وأشيرني إلي من هو باللح حظ ليخفي على الذين لديك
وأقلي المزاح في المجلس اليو م فإن المزاح بين يديك

فقال له : ما أعرفه ، وأشارت إلى خادم كان على رأسها واقفاً . فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أمية .

[تغني بشعر له عمرو الغزال فتطير إبراهيم بن المهدي]

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض من كان يختلط بالبرامكة قال : كنت عند إبراهيم بن المهدي ، وقد اصطبحنا وعنده عمرو بن بانه ، وعبيد الله بن أبي غسان ، ومحمد بن عمرو الرومي ، وعمرو الغزال ، ونحن في أطيب ما

1 الشاكري : الأجير والمستخدم . القلنسية والقلنسوة : من لباس الرأس .

كنا عليه إذ غنى عمرو الغزال ، وكان إبراهيم بن المهدي يستقله ، إلا أنه كان يتخفف بين يديه ويقصده ، ويبلغه عنه تقديم له وعصبيته ، فكان يحتمل ذلك منه ، فاندفع عمرو الغزال ، فتغنى في شعر محمد بن أمية :

ما تم لي يوم سرور بمن
أهواه منذ كنت إلى الليل
أغبط ما كنت بما نلته
منه أتني الرسل بالزئيل
لا والذي يعلم كل الذي
أقول ذي العزة والطول
ما رمت منذ كنت لكم سخطة
بالغيب في فعل ولا قول

قال : فتطير إبراهيم ، ووضع القدح من يده ، وقال : أعوذ بالله من شر ما قلت . فوالله ما سكنت ، وأخذنا نتلاقى في إبراهيم ، إذ أتى حاجبه يعدو فقال : ما لك ؟ فقال : خرج الساعة مسرور من دار أمير المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى ، فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته . فقال إبراهيم : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ارفع يا غلام ارفع . فرجع ما كان بين أيدينا ، وتفرقتا فما رأيت عمراً بعدها في داره .

[كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى بن بسخر قال : كنت عند إبراهيم بن المهدي بالرقعة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أمية في يوم من حزيران ، فلما هممنا بذلك هبت الجنوب ، وتلطخت السماء بغيم ، وتكدر ذلك اليوم ، فترك إبراهيم بن المهدي الشرب ولحقه صداع ، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب ، فافترقنا ؛ فقال لي محمد بن أمية : ما أحب إلي ما كرهتموه من الجنوب ! فإن أنشدتكم بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم ؟ قلت : نعم . فأنشدني :

إن الجنوب إذا هبت وجدت لها
طيباً يذكرني الفردوس إن نفحها
لما أتت بنسيم منك أعرفه
شوقاً تنفست واستقبلتها فرحاً

فانصرفت معه إلى منزله ، وغنيت في هذين البيتين وشربنا عليهما بقية يومنا .

[ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع]

وجدت في بعض الكتب بغير إسناد : أهدت جارية يقال لها خداع إلى محمد بن أمية ، وكان يهواها ، تفاحة مفلجة¹ منقوشة مطيبة حسنة ، فكتب إليها محمد : [من المنسرح]
خداع أهديت لنا خدعة
تفاحة طيبة النثر

ما زلتُ أَرْجوكُ وَأُخشى الهوى مُعْتَصِماً بِاللَّهِ وَالصَّبْرِ
 حتَّى أَتَنِي مِنْكَ فِي سَاعَةٍ زَحَزَحَتِ الْأَحْزَانَ عَنْ صَدْرِي
 حشوتِهَا مِسْكَاً وَنَقَشْتِهَا وَنَقَشْتُ كَفَيْكَ مِنَ السَّحْرِ
 سَقِيّاً لَهَا تَفَاحَةً أُهْدَيْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ خُدَعِ الدَّهْرِ

[التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبِهِ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن جعفر اليقطيني قال حَدَّثَنِي أَبِي جعفر بن عليّ بن يقطينَ قال : كنتُ أسيرُ أنا ومحمد بن أمية في شارع الميِّدان ، فاستقبلتنا جاريةٌ ، كان محمدٌ يهواها ثم بيعتُ ، وهي راقبةٌ ، فكلَّمها ، فأجابته بجواب أخفّته فلم يفهمه ، فأقبل عليّ وقد تغيّر لونه فقال : [من البسيط]

يا جعفرُ بن عليّ وابن يقطينَ أليسَ دونَ الذي لاقيتَ يكفيني
 هذا الذي لم تزلْ نفسي تخوفني منها فأيسنَ الذي كانتُ تمنيني
 خاطرتُ إذ أقبلتُ نحوِي وقلتُ لها تفديكِ نفسي فداءً غيرَ مَمْنُونِ
 فخاطبتني بما أخفّته فانصرفتُ نفسي بظنّينِ مخشيٍّ ومأمونِ

[تمثل المنتصري بيت له]

حَدَّثَنِي محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حَدَّثَنِي أحمد بن يزيد المهلبيّ قال حَدَّثَنِي أَبِي قال : كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءته رُفْعَةٌ لا أعلمُ ممّن هي ، فقرأها وتبسّم ثم إنه أقبل عليّ وأنشد :

لطافةٌ كاتبٍ وخشوعٌ صبٌّ وفطنةٌ شاعرٍ عندَ الجوابِ
 ثم أقبل عليّ فقال : مَنْ يقول هذا يا يزيد ؟ فقلتُ : محمد بن أمية يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : كأنه والله يصفُ ما في هذه الرُّفْعَةِ .

[عاتبه أخوه وابن قبره لما لحقه من وله كالجنون لبيع جارية مجها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبِهِ قال حَدَّثَنِي حذيفة بن محمد قال : كنت أنا وابن قبر عند محمد بن أمية بعقب بيع جارية كان يجبها وقد لحقه عليها وله كالجنون ، فجعل ابن قبرٍ وأخوه عليّ بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال :

لو كنتَ جَرَبْتِ الهوى يا ابن قنبرٍ كوصفك إيّاه لأهالك عن عدلي¹

أنا وأخي الأَدنى وأنت لها الفِدا
 إن حُجبت عني أجود لغيرها
 وإن لم تكونا في مودتها مثلي
 بودي وهل يُغري المُحبَّ سوى البُخل
 أُسرَّ بأن قالوا تَضنَّ بودها
 عليك ومن ذا سرُّ بالبخل من قبلي

قال : فضحك ابن قنبر ، وقال : إذا كان الأمر هكذا فكن أنتَ الفداء لها ، وإن ساعدك أخوك فاتفقا على ذلك ، وأما أنا فلست أنشط لأن أساعدك على هذا . وافترقنا .

[قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً]

أخبرني علي بن سليمان الأَخفشُ قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحرورَ لمحمد بن أمية في جارية كان يهواها ، وقطع الصوم بينهما ، فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خريم المري :
 [من الطويل]

فما فابكيا إن كنتما تجدان
 قفي الدَّمعُ مما تَضمر النفسَ راحةً
 إذا لم أُطقُ إظهاره بلساني
 أُعصُّ بأسراري إذا ما لقيتها
 فابن خريم يا أخي دون إخوتي
 تأملْ أحظي من خِداغ وحُبها
 وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا
 وأصيح شهرُ الصوم قد حال بيننا

[شعر له فيها استحسنته ابن المعتز]

أنشدني جعفر بن قدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتز قال أنشدني أبو عبد الله الهشامي لمحمد بن أمية ، وفيه غناء لمتمم ، قال واستحسنته عبد الله :
 [من الكامل]

صوت

عجباً عجبتُ لذنبي متغصّب
 لولا قبيحُ فعاله لم أعجب
 أُخِداغُ ، طالَ على الفراشِ قلبي
 وإليك طولُ تشوقي وتطرّبي
 لَهفي عليك وما يردّ تلَهفي
 قصرت يداي وعزّ وجه المطلب

الغناء لمتيم ، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتز ، وخفيف رمل عن الهشامي . وهذا من شعر محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنّتنا هزأُ هذا الصوت¹ يومئذ .

[أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا أحمد بن محمد الفيزان قال حدَّثني شيبه بن هشام قال : دعانا محمد بن أمية يوماً ووجهه إلى جارية كان يحبها فدعاها ، وبعث إلى مولاها يُحدرها¹ مع رسوله ، فأبطأ الرسول حتى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال : أخذوا مني الدراهم ثم ردوها علي ، ورأيتهم مُختلطين ، ولهم قصة لم يُعرفونيها ، وقالوا : ليست هاهنا فإن عادت بعثنا بها إليكم . فتنصص عليه يومه وتغيّر وجهه وتجمّل لنا ؛ ثم بكرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت ، فوجم طويلاً ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً . فما أنسى حرقة بكائه وهو ينشدني :

تخطى إليّ الدهر من بين من أرى وسوء مقاديرهنّ شعون¹
فشتت شملي دون كلّ أخي هوى وأقصدني بل كلّهم سيئين²
ومهما تكن من ضحكة بعد فقدها فإنّي وإن أظهرتها لخرين³
سلامٌ عليّ أيّامنا قبل هذه إذ الدار دارٌ والسرور فنون⁴

قال : ومضت على ذلك مدة . ثم أخبرني أنه اجتاز بها ، وهي تنظر من وراء شبك ، فسلم عليها فأومات بالسلام إليه ودخلت ، فقال :

تطالعني على وجلٍ خِداغ من الشبك التي عملت حديدا
مطالعتي ، قفي بالله حتى أزودّ مقلتي نظراً جديدا
فقلت إن سها الواشون عنا رجونا أن تعود وأن نعودا
وأنشدني أيضاً في ذلك :

صوت

يا صاحب الشبك الذي اسد تخفي ، مكانك غير خاف
أفما رأيت تلددي بفناء قصرك واختلافي³
أو ما رحمت تخشعي وتلفّتي بعد انصرافي⁴

1 يحدرها : يرسلها .

2 أقصدني : طعنني ولم يخطئني .

3 تلددي : مكثي ووقوفي . واختلافي : ترددي .

4 تخشعي : تضرعي .

صوت

[من الكامل]

إِنَّ الرَّجَالَ لَهْمَ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
وَأَنَا أَمْرٌ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنَوَةٌ أَقْرُنْ إِلَى سَيْرِ الرَّكَّابِ وَأَجْنَبِ
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِدْجَهُ وَابْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي¹

عروضه من الكامل . قال ابن الأعرابي في تفسير قوله :

وابنُ النعامَةِ يومَ ذلك مَرْكَبِي

[من الكامل]

ابن النعامَةِ : ظِلُّ الْإِنْسَانِ أَوْ الْفَرَسِ أَوْ غَيْرِهِ . قَالَ جَرِيرُ :

إِذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ فَارِسًا وَيَرَى نِعَامَةً ظِلَّهُ فَيَحُولُ

يعني بنعامَةِ ظِلِّهِ جَسَدُهُ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : النَّعَامَةُ مَا يَلِي الْأَصَابِعَ فِي مُقَدِّمِ الرَّجُلِ . يَقُولُ : مَرْكَبِي يَوْمَئِذٍ رِجْلِي . وَقَالَ الْجَاهِظُ : ذَكَرَ عُلَمَاؤُنَا الْبَصْرِيُّونَ : أَنَّ النَّعَامَةَ اسْمُ فَرْسِهِ . يَقُولُ : إِنِّي أَشَدُّ عَلَى رَكَابِي السَّرَجِ فَإِذَا صَارَ لِلْفَرَسِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النَّعَامَةَ ، ظِلٌّ وَأَنَا مَقْرُونٌ إِلَيْهِ صَارَ ظِلُّهُ تَحْتِي فَكُنْتُ رَاكِبًا لَهُ . وَجَعَلَ ظِلُّهَا هَاهُنَا ابْنَهَا .

الشعر للحارث بن لوزان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة .
وقال ابن سلام : لخزَزَ بن لُوذَانَ . ومن الناس مَنْ ينسب هذا الشعر إلى عنترة ، وذلك خطأ .
وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصلي . والغناء لعزّة الميلاء . وأول لحنها :

[من الكامل]

لِمَنْ الدِّيَارُ عَرَفْتَهَا بِالشُّرْبِ ذَهَبَ الَّذِينَ بِهَا وَلَمَّا تَذَهَبُ²

وبعده «إن الرجال» .

وطريقته من خفيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بالبصر من روايتي حمادِ وابنِ المَكِّيِّ . وفيه للهديل خفيفِ ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى عَنِ الْهَشَامِيِّ . وفيه لعريبِ خفيفُ رَمَلٍ . وفيه لعزّة المرزوقية لحن .
وقال هارونُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ : هَذَا اللَّحْنُ لَرِيْقٍ ، سَلَخْتَ لَحْنَ «وَمَخْنَثِ شَهْدِ الزَّفَافِ وَقَبْلَهُ» فَجَعَلْتَهُ لِهَذَا ، وَهُوَ لَحْنٌ مَحْرُكٌ يَشْبَهُ صِنْعَةَ ابْنِ سُرَيْجٍ وَصِنْعَةَ حَكَمٍ فِي مَحْرَكَتَيْهِمَا ، فَمَنْ هُنَا يَغْلُطُ فِيهِ وَيُظَنَّ أَنَّهُ قَدِيمُ الصَّنْعَةِ .

1 الحِجْدَجُ : مَرْكَبٌ مِنْ مَرَائِبِ النِّسَاءِ نَحْوِ الْهُودِجِ .

2 الشُّرْبِ : وَادٍ فِي دِيَارِ بَنِي رِبْعَةَ .

[بعض أخبار لابن أبي عتيق] 213

[ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثت عن صالح بن حسان قال : كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء كثر الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

لَمَن الديار عرفتها بالشُّربِ

فسألها يوماً زيارته فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه ، فقال لها بعد أن استقرَّ بها المجلسُ : يا عزة ، أحبُّ أن تغنيني صوتي الذي أنا له عاشق . فغنته هذا الصوت ، فطرب كلَّ الطرب وسر غاية السرور .

[جارية ابن أبي عتيق ومعانته فتى لها]

وكانت له جارية ، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعيث بها ؛ فأعلمتُ [ابن أبي عتيق بذلك ؛ فقال لها : قولي له : وأنا أحبُّك ؛ فإذا قال لك : وكيف لي بك ؟ فقولي له : مولاي يخرج غداً إلى مال له ، فإذا خرج أدخلتُك المنزل . وجمع] ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته [ومعهم عزة الميلاء] ، وأدخلت الجارية [الرجل . وقال لعزة : غني فأعدت الصوت . وخرجت الجارية] فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة ، فقال لها : تعالي . فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلت¹ ، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة² ، فوثب ابن أبي عتيق عليه هو وأصحابه ، فقال لهم وهو غير مكترث : يا فساقُ ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنية ؟ فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا ستر الله تعالى عليك . فقالت له عزة³ : يا ابن الصديق³ ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج ، وبلغه أن ابن أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان . فأقبل يعيث بها كلما خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاها ، فقال لها : أولم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فهَيِّئِي الرَّحَى وهَيِّئِي من الطعام طحينَ ليلةٍ إلى الغداة . فقالت : أفعلُ يا مولاي . فهَيَّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِدِيهِ الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البرِّكُّه ثم اخرجني من البيت واتركيه . ففعلت ، فلما دخل طحنت الجارية

1 اعتلت : اعتذرت .

2 الحجلة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

3 المقصود ابن أبي عتيق .

قليلاً ، ثم قالت له : إن كَفَّتْ الرَّحَى فَإِنَّ مَوْلَايَ جَاءَ إِلَيَّ أَوْ بَعْضَ مَنْ وَكَلَهُ بِي ، فاطحن حتى نَأْمَنَ أَنْ يَجِيئَنَا أَحَدٌ ، ثم أُصِيرَ إِلَى قَضَاءِ حَاجَتِكَ . ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمر ابنُ أَبِي عَتِيْقٍ عِدَّةَ مِنْ مَوْلِيَاتِهِ أَنْ يَتْرَاحْنَ عَلَى سَهْرٍ لَيْلَتِهِنَّ وَيَتَفَقَّدْنَ أَمْرَ الطَّحِينِ وَيَحْتَشْنَ الْفَتَى عَلَيْهِ كَلِّمَا أَمْسَكَ ؛ ففعلن ، وجعلن ينادينه كَلِّمَا كَفَّ : يَا فَلَانَةَ إِنَّ مَوْلَاكَ مُسْتَيْقِظٌ ؛ وَالسَّاعَةَ يَعْلَمُ أَنَّكَ كَفَفْتَ عَنِ الطَّحْنِ ، فَيَقُومُ إِلَيْكَ بِالْعَصَا كَعَادَتِهِ مَعَ مَنْ كَانَتْ نَوْبَتِهَا قَبْلَكَ إِذَا هِيَ نَامَتْ وَكَفَّتْ عَنِ الطَّحْنِ . فلم يزل الفتى كَلِّمَا سَمِعَ ذَلِكَ الْكَلَامَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَمَلِ وَالْجَارِيَةِ تَتَعَهَّدُ وَتَقُولُ : قَدْ اسْتَيْقِظَ مَوْلَايَ . وَالسَّاعَةَ يَنَامُ فَأُصِيرُ إِلَى مَا تَحَبُّ . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلما فرغ وعلمت الجارية أنه فقالت : قَدْ أَصْبَحْتُ فَانْجُ بِنَفْسِكَ . فقال : أَوْقَدِ فَعَلَيْهَا يَا عِدْوَةَ اللَّهِ ! فَخَرَجَ تَعِبًا نَصِيْبًا فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ مَرَضًا شَدِيدًا أَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ ، وَعَاهَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَلَّ يَعُودَ إِلَى كَلَامِهَا ، فَلَمْ تَرَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا يُنْكَرُ .

صوت

[من الوافر]

أَجَدَّ الْيَوْمَ جِيرَتِكَ اِحْتِمَالًا وَحَثَّ خُدَاتِهِمْ بِهِمْ عِجَالًا
وَفِي الْأَطْعَانِ آئِسَةَ لَعُوبٍ تَرَى قَتْلِي بِغَيْرِ دَمٍ حَلَالًا

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكِّل اللبثي ، والغناء لابن مُحرزٍ ثاني ثقبيلٍ بالسبابة في مجرى الوُسْطَى عن إِسْحَاقَ . وفيه لابنُ مَسْجَحٍ ثاني ثقبيلٍ بالخنصر في مجرى البِنْصِرِ عنه . وذكر حَبَشٌ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لَابْنِ سُرَيْجٍ ، وفيه لِإِسْحَاقَ هَزَجٌ .

[214] - نسب المتوكل الليثي وأخباره

[نسبه]

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . من شعراء الإسلام ، وهو من أهل الكوفة . كان في عصر معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . ويكنى أبا جهمة . وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبضة بن الوقي ، ويقال عند عكرمة بن ربيع الذي يقال له الفياض ، فقدمه الأخطل .

وهذه القصيدة التي أولها الغناء قصيدة هجا بها عكرمة بن ربيع وخبره معه يذكر بعد إن شاء الله تعالى .

أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بكار عن عمه .

[تناشد هو والأخطل الشعر]

وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أخبرني هارون بن مسلم قال حدثني حفص بن عمر العمري عن لقيط بن بكير الحاربي قال : قدم الأخطل الكوفة فنزل على قبضة بن الوقي ، فقال المتوكل بن عبد الله الليثي لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره . فأتياه فقالا : أنشدنا يا أبا مالك . فقال : إني لخائر¹ يومي هذا . فقال له المتوكل : أنشدنا أيها الرجل ، فوالله لا تشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا المتوكل . قال : أنشدني ويحك من شعرك ! فأنشده :

[من الكامل]

فبِطَن مَكَّةَ عَهْدُهُنَّ قَدِيمٌ ²	للغانياتِ بذِي المِجَازِ رَسُومٌ
جَلَلٌ تَلُوحٌ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ ³	فِي مَنَحَرِ البُذْنِ المَقْلَدِ مِن مِّنِي

1 يقال خَئِرَتْ نَفْسُهُ : غَثَتْ وَخَبِثَتْ وَتَقَلَّتْ وَاخْتَلَطَتْ .

2 ذُو المِجَازِ : مَوْضِعٌ بِسُوقِ عَرَفَةَ ، وَمَاءٌ لِهذِيلِ بَعْرَةَ .

3 الحَلَلُ : جَمْعُ حَلَّةٍ ، وَهِيَ جَمَاعَةُ بِيوتِ القَوْمِ .

لا تنه عن خلقي وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ
والهمُّ إن لم تُضهِه لسيله داءٌ تضمَّنه الضلوعُ مُقيمٌ
غنى في هذه الأبيات سائبٌ خائرٌ من رواية حماد عن أبيه ولم يُجنسه . قال وأنشده
أيضاً :

الشَّعْرُ لُبُّ المرءِ يَعْرِضُهُ والقولُ مثلُ مواقعِ النَّبْلِ
منها المقصَّرُ عن رميته ونوافذُ يذهبنَ بالخصْلِ¹
قال وأنشده أيضاً :

إننا معشرٌ خلقنا صدورا من يسوي الصدورَ بالأذنانِ

[ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق]

فقال له الأخطل : ويحك يا متوكِّل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس . قال
الطوسي قال الأصمعي : كانت للمتوكِّل بن عبد الله الكناي امرأة يقال لها رهيمة ، ويقال
أميمة ، وتكنى أم بكرٍ ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حين طلاق . فأبت
عليه ، فطلقها ، ثم إنها برئت بعد الطلاق ، فقال في ذلك :

طربتُ وشاقتني يا أمَّ بكرٍ دعاءُ حمامةٍ تدعو حَمَما
فَبِتُّ وِباتِ هَمِّي لي نَجِيًّا أَعَزِّي عنكَ قلباً مُسْتَهَما
إذا ذُكِرَتْ لِقَلْبِكَ أمُّ بَكْرِ بِيَّتِ كَأَتَمَا اغْتَبَقَ المَدَما
خَدَلَجَةٌ تَرِفُ غُرُوبُ فيها وتكسو المتنَ ذا حُصَلِ سُخَما²
أَبى قَلْبِي فما يهوى سِواها وإن كانت مودَّتْها غَراما
يَنامُ اللَّيْلَ كُلُّ خَلِيٍّ هَمُّ [وتأبى العَينُ مِنِّي أنْ تَناما
أُرَاعِي التَّالِياتِ مِنَ الثَّرِيًّا] وَدَمَعُ العَينِ مُنحَدِرٌ سِجاما
عَلَى حَينِ ارعويتِ وكان رَاسِي كأنَّ عَلى مَفارِقِهِ نِعاما³
سَعى الواشونَ حَتى أزعجوها ورثَ الحَبْلَ فانجذَمَ انجِداما
فَلسْتُ بِزائِلٍ ما دمتُ حَيًّا مُسِيراً مِن تَدكُّرِها هِياما

- 1 الخصل : الخطر ، وهو السِّبْق الذي يتراهن عليه .
- 2 الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين ، ترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والسَّخام : اللين الحسن والأسود .
- 3 النِّعام : نبت ، ويُقال أُنعم الرأس إذا صار كالشَّعْمة بياضاً .

وَتَرْجِيهَا وَقَدْ شَحَطْتَ نَوَاهَا
 خَدَلَجَةٌ لَهَا كَفَلٌ وَثِيرٌ
 مُخَصَّرَةٌ تَرَى فِي الْكَشْحِ مِنْهَا
 إِذَا ابْتَسَمْتَ تَلَأُ ضَوْءَ بَرْقٍ
 وَإِنْ قَامْتَ تَأْمَلُ رَائِيهَا
 إِذَا تَمَشَى تَقُولُ دَيْبُ أَيِّمٍ
 وَإِنْ جَلَسْتَ فَدُمِيَّةُ بَيْتِ عِيدِ
 فَلَوْ أَشْكُوَ الَّذِي أَشْكُوَ إِلَيْهَا
 أَحِبُّ دُنُوهَا وَتُحِبُّ نَائِي
 كَأَنِّي مَنْ تَذْكُرُ أُمَّ بَكْرِ
 تَسَاقَطُ أَنْفُسًا نَفْسِي عَلَيْهَا
 غَشِيَتْ لَهَا مَنَازِلَ مَقْفِرَاتِ
 وَنُوبًا قَدْ تَهَدَّمُ جَانِبَاهُ
 صَلِينِي وَاعْلَمِي أَنِّي كَرِيمٌ
 وَأَنِّي ذُو مُجَامِحَةِ صَلِيبٍ
 فَلَا وَأَبِيكَ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى

[شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشباً الشيباني]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أول خبر المتوكل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حوشباً الشيباني ، ويقول فيها :

[من الوافر]

إِذَا وَعَدْتِكَ مَعْرُوفًا لَوْتَهُ
 وَعَجَّلْتَ التَّجْرُمَ وَالْمِطَالَ⁷

1 الصَّيْفُ : المطر الذي يجيء صيفاً .

2 الأيم : الحية .

3 تعتام : تختار .

4 شحطت : بعدت .

5 الأياصر : جمع أيسر ، وهو وتد الطنب ، أو جبل صغير يشد به أسفل الخباء . والثمام : نبت .

6 يماكسني : يُشَاكسني .

7 تجرّم عليه : ادّعى عليه الجرم .

لها بشر نقيّ اللون صافي
 إذا تمشي تأوّد جانيها
 تنوء بها روادفها إذا ما
 فإن تصيح أميمة قد تولّت
 فقد تدنو النوى بعد اغتراب
 تُعبسُ لسي أميمة بعد أنس
 أيني لي فربّ أخ مضاف
 أصرم منك هذا أم دلال
 أم استبدلت بي ومللت وصلي
 فلا وأبيك ما أهوى خليلاً
 وكم من كاشح يا أم بكر
 ليست على قناع من أذاه
 ومّا يغنى به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذي حدّثت عنه
 رأيت الغنايات صدفن لهما
 فلم يُلوا إذا رحلوا ولكن
 عتاق الطير تندخل اندخالاً⁵
 رأين الشيب قد شمل القذالا
 تولت غيرهم بهم عجالا

غنى فيه عمر الواديّ خفيف رمل عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحَرِّز ثاني ثقبيل
 بالوسطى ، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أوّل القصيدة .

[هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر]

وقال الطوسيّ قال أبو عمرو الشيبانيّ : هجا معن بن حمل بن جَعونة بن وهب ، أحد بني
 لقيط بن يعمر المتوكّل بن عبد الله الليثيّ ؛ وبلغ ذلك المتوكّل ، فترفع عن أن يجيبه ، ومكث

1 مخطوطة المتن : ممدودة .

2 ينخزل : ينقطع .

3 الخلال : القوم الذين يحلون موضعاً وفيهم كثرة .

4 الخال : الكيد والمكر .

5 عتاق الطير : جوارحها .

معن سنين يهجوهُ والمتوكل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الدبيل هجاء قَدْعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

خَلِيلِي عُوْجَا الْيَوْمِ وَانْتَظِرَانِي فإِنِ الْهُوَى وَالْهُمُّ أُمَّ أَبَانِ
هِيَ الشَّمْسُ يَدْنُو لِي قَرِيْباً بَعِيدُهَا أَرَى الشَّمْسَ مَا أُسْطِيعُهَا وَتِرَانِي
نَأَتْ بَعْدَ قَرَبٍ دَارُهَا وَتَبَدَّلَتْ بِنَا بَدَلًا وَالذَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ
فَهَاجَ الْهُوَى وَالشُّوقَ لِي ذِكْرُ حَرَّةٍ مِنَ الْمَرْجَحَاتِ الثَّقَالِ حَصَانِ¹

غَنَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ابْنُ مُحَرَّرٍ مِنْ كِتَابِ يُونُسَ وَلَمْ يَجْنَسْهُ : [من الطويل]

سَيَعْلَمُ قَوْمِي أَنَّنِي كُنْتُ سُورَةً مِنَ الْمَجْدِ إِنْ دَاعَى الْمُنُونُ دَعَانِي
أَلَا رَبَّ مَسْرُورٍ بِمَوْتِي لَوْ أَتَى وَآخَرَ لَوْ أَنَّنِي لَهُ لَبْكَانِي
خَلِيلِي مَا لَأَمَّ امْرَأَةً مِثْلُ نَفْسِيهِ إِذَا هِيَ لَامَتْ فَارْبَعًا وَدَعَانِي²
نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِي الْعَشِيرَةَ بَعْدَمَا تَغْنَى بِهَا غَوْرِي وَحَنَّ يَمَانِي
قَلْبْتُ لَهُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَلِيَتْنِي رَجَعْتُ بِفَضْلِي مِنْ يَدِي وَلِسَانِي
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَرْمِ فِي الشَّعْرِ مُسْلِمًا وَلَمْ أَهْجُ إِلَّا مِنْ رَوِي وَهَجَانِي
هُمُ بَطَرُوا الْحَلْمَ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي فَبَدَّلْتُ قَوْمِي شِدَّةً بَلِيَانِي³
وَلَوْ شَتَّمْتُ أَوْلَادًا وَهَبَّ نَزَعْتُمْ وَنَحْنُ جَمِيعٌ شَمَلْنَا أُخْوَانِي
نَهَيْتُمْ أَحَاكِمَ عَن هَجَائِي وَقَدْ مَضَى لَهُ بَعْدَ حَوْلٍ كَامِلٍ سِتَانِي
فَلَجَّ وَمَنَّا رَجَالٌ رَأَيْتُهُمْ إِذَا قَارَنُونِي يَكْرَهُونَ قِرَانِي
وَكَنْتُ امْرَأَةً يَأْبَى لِي الضَّمِيمَ أَنَّنِي صَرُومٌ إِذَا الْأَمْرُ الْمُهْمُ عَنَانِي⁴
وَصَوْلٌ صَرُومٌ لَا أَقُولُ لِمُدْبِرِ هَلُمَّ إِذَا مَا اغْتَشَنِي وَعَصَانِي
خَلِيلِي لَوْ كُنْتُ امْرَأَةً يَبِي سَقَطَةً تَضَعُضْتُ أَوْ زَلْتُ بِي الْقَدَمَانِ
أَعِيشْ عَلَى بَغْيِ الْعُدَاةِ وَرَغْمِهِمْ وَآتِي الَّذِي أَهْوَى عَلَى الشَّيْثَانِ
وَلَكِنِّي ثَبْتُ الْمَرِيرَةَ حَازِمٌ إِذَا صَاحَ طُلَّابِي مَلَأَتْ عِنَانِي

1 مرجحات : جمع مرجحة ، وهي المرأة السميئة .

2 اربعا : توقفا وكفا وارققا .

3 بطروا : كرهوا .

4 عناني في ل : دعاني .

خليليّ كم من كاشح قد رميته
فكان كذات الحيض لم تُبق ماءها
ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حنّت إليك مطّيتي
أبا خالدٍ في الأرض نأيٍّ ومفسّح
فكيفَ ينام الليلَ حرّاً عطاؤه
تناهتْ قلوصي بعد إسّادي السّرى
ترى الناس أفواجاً ينوبون بابه

[معن أجابه مفتخراً]

فأجابه معن بن حمّلٍ فقال :

[من الطويل]

ندمتَ كذاك العبدُ يندم بعد ما
ولاقيتَ قرماً في أرومة ماجدٍ
أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي
وأغلبُ من هاجيتُ عفواً وأنتمي
فهاهنا إذا يا ابن الأتان كصاحب الـ
فهاهنا كزريدٌ أو كسيحان لا تجدُ

[هو عكرمة بن ربيعي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العكليّ عن العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال : أتى المتوكلّ الليثي عكرمة بن ربيعيّ الذي يقال له الفيّاض ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفتُ . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سراً .

[نسيبه بحسنة وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة]

فينا المتوكلّ بالحيرة وقد رمّد رمداً شديداً ، فمرّ به قسٌّ منهم قال : ما لك ؟ قال : رمدتُ .

1 الرجا : ناحية كلّ شيء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، ويرمى به الرجوان ؛ أي استهين به . ومثّل ورد في مجمع الأمثال للميداني : 213/1 «حتى متى يُرمى بي الرجوان» .

2 الإسّاد : الإسراع في السير . الهجان : الرجل الحسيب .

3 أو لعوان في ل : غير عوان .

قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذره¹ ، فبينما القسّ عنده وهو مذرور العين مستلقٍ على ظهره ، يفكر في هجاء عكرمة ، وذلك غير مطردٍ له ولا القول في معناه ، إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج إليها ، فسفرت عن وجهها فإذا الشمس طالعة حسناً ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أمية . قال : فممن أنت ؟ فلم تخبره . قال : فما حاجتك ؟ قالت : بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك . فقال : أسفري . ففعلت فكر طرفه في وجهها مُصعداً ومصوباً ، ثم تلثمت وولت عنه ، فاطرد له القول الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة وافتتحه بالنسيب فقال :

أجدُّ اليومَ جيرتكَ احتمالاً وحثَّ حدّاتهم بهم الجمالاً
وفي الأظعان أنسةً لعُوبٍ ترى قتلبي بغير دمٍ حلالاً
أميةٌ يومَ ذيرِ القسِّ ضنتُ علينا أن تُتولنا نوالاً
أبيني لي فربُّ أخٍ مصافٍ رزئتُ وما أحبُّ به بدالاً

وقال فيها يهجو عكرمة :

أقلني يا ابن ربي ثنائي وهبها مدحة ذهبت ضلالاً
وهبها مدحة لم تغن شيئاً وقولاً عاد أكثره وبالا
وجدنا العز من أولاد بكرٍ إلى الذهلين يرجع والفعالاً
أعكرم كنتُ كالمبتاع داراً رأى بيع الندامة فاستقالاً
بنو شيبان أكرم آل بكرٍ وأمتهم إذا عقدوا جبالاً
رجال أعطيت أحلام عادٍ إذا نطقوا وأيديها الطوالاً
وتيمُّ الله حيُّ حيُّ صديقٍ ولكن الرّحي تعلقو الثفالاً²

صوت

[من الطويل]

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلاً بحقل لكم يا عزّ قد رابني حقلاً
فيا عزّ إن واشٍ وشى بي عندكم فلا تكريمه أن تقولي له مهلاً

1 الذر : طرح الذرور في العين ، وهو الكحل ونحوه .

2 الثفال : ما وقيت به الرّحي من الأرض .

كَمَا نَحْنُ لَوْ وَاشٍ وَشَى بِكَ عِنْدَنَا لَقَلْنَا تَزْحَرُحُ لَا قَرِيباً وَلَا سَهْلاً
 أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبِ أَنْ أَتْرِكَ الْجَهْلَا وَأَنْ يُحْدِثَ الشَّيْبُ الْمَلِيمُ لِي الْعَقْلَا
 عَلَى حِينٍ صَارَ الرَّأْسُ مِنِّي كَأَتْمَا عَلَتْ فَوْقَهُ نَدَافَةُ الْعُطْبِ الْغَزْلَا

عروضه من الطويل . الدَّمَن : آثار الديار ، واحدها دِمْنَة . والحقل : الأرض التي يزرع فيها . والعُطْبُ هو القطن .

الشعر لكثير كُله إلا البيت الأول فإنه انتحله ، وهو للأفوه الأودي . والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأول متوالية . وذكر حبش أنه لمعبد . وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ثقيل أول بالبنصر ؛ ذكر ابن المكي أنه لمعبد ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي .

[215] - نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره¹

[نسه]

الأفوه لقب ، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة . وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء ؛ وفي ذلك يقول الأفوه :

أبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجدِّ عائرٌ²

[كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال : كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيّد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدّرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّد داليتة :

معاشر ما بنوا مجدداً لقومهم وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا³

[أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً]

من حكمة العرب وآدابها . فأما البيت الذي أخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء إنفاً فإنه من قصيدة يقول فيها⁴ :

نُقَاتِلُ أَقْوَاماً فَنُسَبِّي نِسَاءَهُمْ وَلَمْ يَرَ ذُو عِزٍّ لِنِسَوْتِنَا حِجْلاً
نَقُودُ وَنَأْبَى أَنْ نُقَادَ وَلَا نَرَى لِقَوْمٍ عَلَيْنَا فِي مُكَارَمَةٍ فَضْلاً
وَإِنَّا بِطَاءِ الْمَشِيِّ عِنْدَ نِسَائِنَا كَمَا قَيَّدَتْ بِالصَّيْفِ نَجْدِيَّةٌ بُزْلاً
نُظَلُّ غِيَارَى عِنْدَ كُلِّ سَتِيرَةٍ نُقَلِّبُ حَيْدَاً وَاضِحاً وَشَوْىَ عِبْلاً⁵

- 1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 223/1 ، والعيني 421/1 ، سبط اللآلي 365 ، 844 ، والمعاهد 150/2 والزهر 238/2 ، 296 ومنتخب شمس العلوم 4 . وله ديوانه بتحقيق د . محمد التونجي ، وإليه نشير .
- 2 الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة ، وفي الديوان 79 : الصرّماء .
- 3 وفي الديوان 64 :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

4 ديوانه : ص 100 .

5 الستيرة : المرأة المستورة . الشوى : البدان .

رَبَّنَا لِنُعْطِيَ الْمَالَ دُونَ دِمَائِنَا وَنَأْبَىٰ فَمَا نَسْتَأْمِدُ دُونَ دَمِّ عَقْلًا¹

[سبب هذه الآيات]

قال أبو عمرو الشيباني: قال الأفوه الأودي: هذه الآيات يفخر بها علي قوم من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم ديات من قتل فضلاً على قتل قومهم، فقبلوا وصالحوه.

[بنو أود وبنو عامر]

وقال أبو عامر: أغارت بنو أود، وقد جمعها الأفوه، على بني عامر، فمرض الأفوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضاريع، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود، وقد أصابوا منهم رجلين: لا والله حتى نأخذ بطائلتنا². فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال: يا بني أود، والله لتأخذن بطائلتني أو لأنتحين على سيفي. فاقتلت أود وبنو عامر، فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً. فقال الأفوه في ذلك³: [من الوافر]

صوت

قَبَائِلَ عَامِرٍ يَوْمَ الصَّيْبِ ⁴	أَلَا يَا لَهْفٍ لَوْ شَهِدْتُ قَنَاتِي
حَلَائِبَ بَيْنَ أَفْنَاءِ الْحُرُوبِ ⁵	غَدَاةً تَجَمَّعَتْ كَعَبِّ إِيْنَا
كَأَسَادِ الْغَرِيفَةِ وَالْحَجِيبِ ⁶	فَلَمَّا أَنْ رَأَوْنَا فِي وَغَاهَا
كَفَعَلَ الْخَامِعَاتِ مِنَ الْوَجِيبِ ⁷	تَدَاعَوْا ثُمَّ مَالُوا عَنْ ذَرَاهَا
مُؤَاءَلَةَ عَلَى حِذْرِ الرَّقِيبِ ⁸	وَطَارُوا كَالنَّعَامِ بِيْطْنِ قَوْ

1 العقل: الدية.

2 الطائلة: الثأر والوتر.

3 ديوانه: ص 59.

4 شهدت في ل: شدت.

5 الحلائب: الجماعات. والأفناء: الأخطاط. وأفناء الحروب في ل وفي الديوان: أبناء الحريب.

6 الغريفة: الأجمة وفي الديوان العريفة. الحجيب: موضع.

7 الخامعات: الضباع، وفي الديوان كفعل معانت أمن الرجيب، والوجب: الخوف.

8 بطن قو: موضع، والموءلة: طلب النجاة.

[216 - خبر النشاش اللص]

صوت

[من الطويل]

كَأَن لَمْ تَرِي قَبْلِي أُسِيرًا مُكَبَّلًا وَلَا رَجُلًا يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ
كَأَنَّي جَوَادٌ ضَمَّهُ الْقَيْدُ بَعْدَمَا جَرَى سَابِقًا فِي حَلْبَةِ وَرْهَانِ

الشعر لرجل من لُصوص بني تميم يُعرف بأبي النشاش ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر من روايتي علي بن يحيى والهشامي .

[النشاش واعتراضه القوافل وهره بعد الظفر به ، وما كان بينه وبين اللهبي]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال : كان أبو النشاش من ملاح¹ بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شداذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها . فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب ، فمر بغراب على بانه ينتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك . ثم مر بجي من لهب فقال لهم : رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجنا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ينتف ريشه وينعب . فقال له اللهمي : إن صدقت الطير يُعاد إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

[من الطويل]

وسائلة أين ارتحالي وسائل ومَن يسأل الصعلوك أين مذهبُه
مذهبِه أن الفجاج عريضة إذا ضنّ عنه بالنوال أقاربه
إذا المرء لم يسرح سواما ولم يُرح سواما ولم يسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من قعودِه عديماً ومن مولى تُعاف مشاربُه²
ودوية قفر يحار بها القطا سرت بأبي النشاش فيها ركائبُه³

1 ملاح : جمع مَلَصَة وهم اسم جمع للصوص .

2 تعاف مشاربه في ل : تدب عقاربه .

3 دوية : مفازة .

لِيُدْرِكَ ثَأْرًا أَوْ لِيَكْسِبَ مَغْنَمًا أَلَا أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَتْرَى عَجَائِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ الْفَتَى وَلَا كَسْوَادِ اللَّيْلِ أَحْفَقَ طَائِلُهُ
فِعِشْ مَقْتَرًا أَوْ مُتً كَرِيمًا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَبْقَى عَلَى مَنْ يَطَالِبُهُ

صوت

[من الطويل]

أَصَادِرَةٌ حُجَّاجِ كَعْبٍ وَمَالِكٍ عَلَى كُلِّ فِتْلَاءِ الذَّرَاعِينَ مَحْنِقِي
أَقَامَ قَنَاةَ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَفَارَقَنِي عَنِ شِيمَةِ لَمْ تُرَنَّ

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف ، وهو ضدّ الوارد ، وأصله من ورود الماء والصدّر عنه ، ثم يقال لكلّ مقبلٍ إلى موضع ومنصرفٍ عنه . وكعب : من خزاعة . ومالك : يعني مالك بن النضر بن كنانة . وكان كثيرٌ ينتمي وينمي خزاعة إليهم . ومحنيق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنق : تكدر . والرناق : الكدر .

الشعر لكثير عزة يرثي خندقاً الأسدي ، والغناء للهدليّ ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لسياطٍ رملٍ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ وعمرو . وفيهما لمبعد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنسه . وفي رواية حماد عن أبيه أنّ لحن الهدليّ من الثقيل الأوّل ، فإن كان ذلك كذلك فالثقل الثاني لمبعد . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي صحّ فيه ثقيلٌ أوّلٌ أو ثاني ثقيل .

[217] - خبر كثير وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر

[كانا يقولان بالرجعة]

حدَّثني محمد بن العباس الزبيدي قال حدَّثني محمد بن حبيب . وأخبرني وكيع قال حدَّثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبة عن ابن داحة ، قالوا : كان خندق بن مرة الأسدي ، هكذا قال النوفلي . وغيره يقول : خندق بن بدر ، صديقاً لكثير ، وكانا يقولان بالرجعة وكانوا خشيين جميعاً ، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع . فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ ، وظلم الناس لهم وغضبهم إياهم على حقهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر . فضمن كثير عياله ، فقام ففعل ذلك وسبَّ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال : أيها الناس إنكم على غير حق ، قد تركتم أهل بيت نبيكم ، والحق لهم وهم الأئمة ، ولم يقل إنه سبَّ أحداً ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه . ودُفن خندق بقنوى¹ . فقال إذ ذاك كثير يرثيه : [من الطويل]

أصَادِرَةٌ حُجَّاجٍ كَعَبٍ وَمَالِكٍ	عَلَى كُلِّ عَجَلَى ضَامِرِ الْبَطْنِ مُخْنِقٍ
بِمَرْتِيَةِ فِيهَا ثَنَاءٌ مُجَبَّرٌ	لَأَزْهَرَ مِنْ أَوْلَادِ مَرَّةٍ مُعْرَقِ
كَأَنَّ أَحْيَاهُ فِي النَّوَائِبِ مُلْجَأٌ	إِلَى عِلْمٍ مِنْ رُكْنِ قُدْسِ الْمُنْطَقِ ²
يُنَالُ رَجَالاً نَفْعُهُ وَهُوَ مِنْهُمْ	بَعِيدٌ كَعَيْقُوقِ الثَّرِيَا الْمَعْلَقِ ³
تَقُولُ ابْنَةُ الضَّمْرِيِّ مَا لَكَ شَاغِباً	وَلَوْ نُكَتِ مَصْفَرٌّ وَإِنْ لَمْ تَخْلُقِ ⁴
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي ، مَنْ يَمُتَ لَهُ	أَخٌ كَأَبِي بَدْرِ وَجَدُّكَ يُشْفَقُ
وَأَمْرٍ يُهْمُ النَّاسَ غَيْبٌ يَتَاجَهُ	كَفَيْتَ وَكَرْبٌ بِالذَّوَاهِي مَطْرَقِ ⁵

1 قنوى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

2 قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق : المرتفع .

3 العيوق : نجم أحمر مضيء في أطراف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

4 تخلق : تطيب بالخلق .

5 مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها .

كشفت أبا بدر إذا القوم أحجموا
 وخصم أبا بدر الدَّ أبتَه
 جزى الله خيراً خندقا من مكافئ
 أقام قناة الود بيني وبينه
 حلفت ، على أن قد أجنتك حفرة
 لألفيتني بالود بعدك دائماً
 إذا ما غدا يهتز للمجد والندى
 وإني لجاز بالذي كان بيننا
 وعصت ملاقي أمرهم بالمخنق¹
 على مثل طعم الحنظل المتفلق²
 وصاحب صدق ذي حفاظ ومصديق
 وفارقتني عن شيمة لم ترتق
 بطن قنوى ، لو نعيش فنلتقي
 على عهدنا إذ نحن لم نفرق
 أشم كغصن البانة المتورق
 بني أسد رهط ابن مرة خندق

[كثير وإنكار الطفيل انتسابه إلى كنانة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة : إن كثيراً لما اتنى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزبن الذليل من الموائبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطفيل بن عامر بن وائلة وهو بالكوفة ، فأنكر أمر كثير وانتسابه إلى كنانة وتصويره خزاعة منهم ، وما فعله الحزبن . فحلف لئن رأى كثيراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح ، فكلمه فيه خندق الأسدي ، وكان صديقاً له وكثير ، فوهبه له ، واجتمعا بمكة فجلسا مع ابن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفيت لك بيمينى ، فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته : [من الطويل]

ونال رجالاً نفعه وهو منهم
 بعيد كعيق الثريا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

[نسيه بعة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني حميد بن عبد الرحمن أحد بني عتوارة بن جدي قال : كان كثير قد سلطه الله ينسب بعة بنت عبد الله ، أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء ، في عام أصابت أهل تهامة فيه حطمة شديدة ، وكانت عزة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قط ، إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها . فلقية رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإني لا أذكرها بما تكرهون . فخرجوا جالين إلى

1 المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

2 أبتَه : الفعل أصله أبات .

مصرَ في أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فتيةٌ من جدِّي ، قال : وكان بنو ضَمْرَةَ كلَّهم يهونُ عليهم نسيبُه لِمَا يعرفون من براءتها ، إلا ما كان من بني جدِّي فَإِنَّهُمْ كانوا صُمَعًا غُيْرًا¹ . فقعده له عون ، أحد بني جدِّي في تسعة نفر على مَحَالج² ، فلمَّا جاز بهم تحت الليل أخذوه ، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار ، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه ، ثم أوثقوا بطن الحمار ، فجعل يضطرب فيه ويستغيث ، ومضوا عنه ، فاجتاز به خندق الأسدي ، فسمع استغاثته ، وهو خندق بن بدر ، فعدل إلى الصوت حين سمعه ، فوجد في الجيفة إنساناً ، فسأله مَنْ هو وما خبره ؟ فأخبره . فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده . فقال كُثَيْرٌ في ذلك . قال الزبير أنشدنيها عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة معمر بن المثنى :

أَصَادِرَةٌ حُجَّاجُ كَعْبٍ وَمَالِكٍ عَلَى كُلِّ فِتْلَاءِ الذَّرَاعِينَ مُحْنِقِ

وذكر القصيدة كلَّها على ما مضت .

أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن أبي عبيدة قال : خندق الأسدي هو الذي أدخل كُثَيْرًا في مذهب الخشبية³ .

[كثير يرثي خندقاً حين قتل بعرفة]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثنا محمد بن حبيب قال : لما قُتِلَ خندق الأسدي بعرفة رثاه كثير فقال :

شجا أظعانُ غاضرة الغوادي	بغير مشورة عَرَضاً فوادي
أغاضيرُ لو شهدتِ غداة بنتم	حنو العائداتِ على وسادي
أويت لعاشقٍ لم تشكُميه	نوافذه تلذع بالزناد ⁴
ويوم الخيلِ قد سَفرت وكفت	رداء العصب عن رتل بُراد ⁵

الرتل : الثغر المستوي النبت .

وعن نجلاء تدمع في بياضِ

إذا دَمعت وتنظُر في سوادِ

1 صمغ : ذوو حزم . غير : جمع غيور .

2 المحالج : جمع محالج ، وهو الخفيف من الحمر .

3 الخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم ، وإن القرآن مخلوق .

4 أويت : رثيت وأشفت . لم تشكُميه : لم تجازيه . النوافذ : الفم وثقبا الأذنين والأنف .

5 البراد : البارد .

وعن متكاسٍ في العَقَصِ جَثَلٍ أثيثِ النبتِ ذي عُدْرٍ جِعَادٍ¹
وغاضِرَةُ الغدَاةِ وإن نَأْتَنَا وأصيح دونها قَطْرُ البِلَادِ
أحِبُّ ظِعِينَةَ وبناتُ نَفْسِي إليها لو بِلَلْنِ بها صَوَادِي
وَمِنْ دُونِ الذي أَمَلْتُ وُدًّا ولو طالبتها خَرَطُ القَتَادِ
وقال الناصحون تحلَّ منها ببذل قَبْلِ شيمتها الجمادِ

تَحَلَّ: أُصِيبَ . يقال : ما حَلَيْتَ من فلان بشيءٍ ولا تحلَّيتَ منه بشيءٍ ، ومنه حُلُوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك :

فقد وعدتكَ لو أَقْبَلتَ وُدًّا فلعَجَّ بك التَدَلُّلُ في تَعَادٍ²
فأسررتَ الندامةَ يوم نادى بردَ جِمالِ غاضِرَةِ المُنَادِي
تمادى البعدُ دونهمُ فأمستُ دموعُ العِينِ لَجَّ بها التَّمَادِي
لقد مُنِعَ الرقادُ فَبِتُّ لَيْلِي تجافيني الهمومُ عن الوَسَادِ
عَداني أن أزرركَ غيرَ بُغْضٍ مُقَامُكَ بَيْنَ مُصَفِّحَةِ شِدَادٍ³
وإنِّي قائلٌ إن لَم أزره سَقَتِ دِيمُ السَوَارِي والغَوَادِي
محلٌّ أخِي بني أسدٍ قَتَوْنِي فما والى إلى بَرَكِ العِمَادِ⁴
مقيمٌ بالمجازةِ من قَتَوْنِي وأهلِكَ بالأجِيفِرِ والشَمَادِ⁵
فلا تَبَعُدْ فكلَّ فتى سِيأتي عليه الموتُ يطْرُقُ أو يُغَادِي
وكلُّ ذخيْرَةٍ لا بدَّ يوماً ولو بقيتُ تصيرُ إلى نَفَادِ
يعزُّ عليَّ أن نغدو جميعاً وتصبحَ ثاوياً رهنأً بوادِ
فلو فُوديتَ من حدثِ المنايا وقيتُكَ بالطَّرِيفِ وبالتَلَادِ

في هذه القصيدة عدَّةُ أصواتٍ هذه نسبتها قد جُمِعَت .

- 1 المتكاس : المترابك . الجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والعذرة : الناصية ؛ وقيل الخصلة من الشعر .
- 2 التعادي : التباعد .
- 3 المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر .
- 4 برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر .
- 5 المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس . والشماد : موضع في ديار بني تميم .

صوت

أغاضرَ لو شهدتِ غداً بتم حنو العائداتِ على وسادي
 ريثَ لعاشقٍ لم تشكُميه نوافذه تَلدَع بالزنادِ
 عدائي أن أزوركَ غيرِ بغضٍ مقامك بين مُصَفحةٍ شِدادِ
 فلا تبعدُ فكلّ فتى سيأتي عليه الموت يطرقُ أو يُغادي

لمبعد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ
 والهشاميّ . وفيهما لإبراهيمَ ثقیلاً أولُ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عبید . وفيهما
 للغريص ثاني ثقیل عن ابن المكيّ . ومن الناس من ينسب لحن مالك إلى معبد أيضاً . وفي
 الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقیل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما .
 ويقال : إن لابن سريج وابن محرز وابن جامع فيهما ألحاناً .

غاضرة هذه التي ذكرها كثير مولاة آل مروان بن الحكم ، وقد روي في ذكره إياها غير خبر

مختلف .

[أم البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثير]

فأخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ قال
 حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال : حجّت أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان فقالت لكثير
 ووضّاح : انسبا بي .

فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأمّا كثير فنسب بجارتها غاضرة حيث تقول : [من الوافر]

شجا أظعانُ غاضرة الغوادي بغير مشورة عرضا فوادي

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتل وضّاحاً ولم يجد على كثير سبيلاً .
 أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهريّ عن
 محرز بن جعفر عن أبيه عن بُديح قال : قدّمت أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ، وهي
 عند الوليد بن عبد الملك ، حاجة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثير ووضّاح أن
 انسبا بي . فنسب وضّاح بها ونسب كثير بجارتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه :

شجا أظعانُ غاضرة الغوادي

قال : وكان معها جوارٍ قد فتنّ الناس بالوضاءة .

[لابن قيس الرقيات في أمّ البنين]

قال بُديح : فلقيت عبید الله بن قيس الرقيات فقلت له : بمنّ نسبت من هذا القطين¹ ؟

فقال لي :

[من الهزج]

ما تصنعُ بالشرِّ إذا لم تكُ مجنوناً
إذا قاسيت ثقل الشدِّ ررَّ حسَّاكُ الأمرينَا
وقد هيجتَ بما قد قُذِّتَ أمراً كان مدفوناً

قال بُديح : ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي : يا بديح ، احفظ عني ما أقول لك فإنك

موضوع أمانة ؛ وأنشدني :

[من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عن أمِّ النبيِّ من وذكرها وعنائها
وهجرتها هجرَ امرئٍ لم يقل حملَ إختائها
من خيفةِ الأعداء أن يوهوا أديم صفائها
قُرشيَّة كالشمس أشـ ررق نورها بيهاتها
زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها
لما اسبكرت للشبأ ب وقنعت بردائها¹
لم تلتفت ليلداتها ومضت على غلوائها

غنى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأول لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي .
وفي الرابع وما بعده لحنين لحنان : أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر ، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن
ابنه وغيره . وغنى إبراهيم الموصلي في الأربعة الأول لحناً آخر من الثقيل الأول وهو اللحن الذي
فيه استهلال . وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن مُحرز .

قال : فقتل الوليد وضاحاً ولم يجد على كثير سبيلاً . قال : وحجت بعد ذلك وقد تقدم
الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب ؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجت ولم تكلم أحداً ولم
يرها ، فقال لي : يا بُديح :

صوت

بان الخليطُ الذي به نثقُ واشتدَّ دون المليحة القلقُ
من دون صفراء في مفاصلها لينٌ وفي بعض بطشها خرُقُ
إن ختمت جاز طين خاتمها كما تجوز العبدية العتق²

غنى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمح لحناً من الثقيل الأول بالبنصر ، عن عمرو
ويونس . وفيها لابن مسجح ، ويقال لابن مُحرز ، وهو ممَّا يشبه غناءهما جميعاً وينسب

1 اسبكرت : استقامت واعتدلت .

2 العتق : جمع عتيق ، وهي كل نفيس قديم .

إليهما ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . والصحيح أنه لابن مسجح . وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّي . وذكر حبش أنّ لسياط فيها لحناً ماخوفاً بالوسطى . وفي هذه الأبيات زيادة يُعنى فيها ولم يذكرها الزبير في خبره ، وهي :

إني لأخلي لها الفراش إذا قصّع في حِضْنِ زوجه الحَمِقِ¹
 عن غيرِ بغضٍ لها لديّ ولـ كُنْ تلك مِنِّي سَجِيّةً خلُقُ
 قال الزُّبير : أراد بقوله في هذه الأبيات :

إن ختمت جاز طينُ خاتِمَها

أنّها كانت عند سلطان جائرِ الأمر . والعبدية هي الدنانير ، نسبها إلى عبد الملك . ثم وصل ابنُ قيس الرقيّات هذه الأبيات ، يعني الهاثية ، بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال :

صوت

اسمِعْ أميرَ المؤمنينِ - من لِمَدحتي وثنائِها
 أنت ابنُ عائِشةِ التي فضَلتْ أرومَ نساءِها²
 متعطفٌ الأعياصِ حو لَ سريرِها وفنائِها³
 ولَدتْ أغرَّ مُباركاً كالبدِرِ وسَطَ سماءِها

غناه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنسه . وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات في عبد الملك لا الوليد .

[إصرار ابن قيس الرقيّات على كلمة في شعره]

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ : أن عبد الملك لما وهب لابن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيّات وأمنه ، ثم توثب أهل الشام ليقتلوه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول :

اسمِعْ أميرَ المؤمنينِ - من لِمَدحتي وثنائِها
 أنت ابنُ مُعتلجِ البِطَا ح كُدَيْها وكَدائِها⁴
 وليطِنَ عائِشةَ التي فضَلتْ أرومَ نساءِها

1 قصّع : لزم البيت ولم يرحه .

2 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .

3 الأعياص من قریش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص .

4 كدي وكداء : موضعان بمكة .

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل «ولنسل عائشة» . قال : لا بل «ولبطن عائشة» . حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلا «ولبطن عائشة» . فقال له عبد الملك : اسْحَنْفِرْ¹ الآن . قال : وعائشة أمّ عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . هذه رواية الزبير بن بكار .

وقد حدّثنا به في خبر كثيرٍ مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدي . قال : حدّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي .

[محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسي رواية كثير قال : والله إنني لأسير يوماً مع كثير ، حتى إذا كنا ببطن جدار (جبل من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رحالة² متنقبة ، معها عبيد لها يسعون معها ، فمرّت جنابني فسلمت ثم قالت : ممن الرجل ؟ قلت : من أهل الحجاز ، قالت : فهل تروي لكثير شيئاً ؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إليّ من أن أرى كثيراً وأسمع شعره ، فهل تروي قصيدته : [من الطويل]

أهاجك برق آخر الليل واصبُ

قلت : نعم : فأنشدتها إياها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله : [من الطويل]

كأنك لم تسمع ولم ترّ قبلها تفرّق ألف هنّ حينئذ

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

أطلال سعدى باللوى تتعهد

قلت : نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله : [من الطويل]

فلم أر مثل العين ضنت بمائها علي ولا مثلي على الدمع يحسد

قلت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثير أحدّ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيراً ،

أو سمعت منه شعره أحب إليّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذلك الراكب أمامك ، وأنا السائب راويته . قالت : حيّك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت : أنت كثير ؟

1 اسحفر الرجل في منطقته : مضى فيه ولم يتمكن .

2 الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه .

قال : ما لك ويلك ! فقالت : أنت الذي تقول : [من الطويل]

إذا حُسرَتْ عنه العِمامَةُ راعها جميلُ الحَيَا اغفلته الدواهن
والله ما رأيت عريباً قطّ أقبح ولا أحقر ولا أأم منك . قال : أنت والله أقبح مني وأأم .
قالت له : أولستَ القائل : [من الطويل]

تراهنّ إلا أن يؤدّين نظرةً بمؤخر عينٍ أو يُقلّبن معصماً
كواظمٍ ما ينطقن إلا محورة رجيعاً قولٍ بعد أن يُتفَهَمَا¹
يحاذرن مني غيراً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلا تيسماً

لعن الله من يفرق منك . قال : بل لعنك الله . قالت : أولست الذي تقول : [من الوافر]

إذا ضمّريّة عطّست فيكها فإن عطّاسها طرفُ الوداق²

قال : من أنت ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرفني ولا من أنا . قال : والله إنّي لأراك لثيمة الأصل والعشيرة . قالت : حيّك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبّ إليّ وجهاً ولا لقاء منك . قال : لا حيّك الله ، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منك . قالت : أتعرفني ؟ قال : أعرف أنّك لثيمة من اللثام . فتعرّفتُ إليه فإذا هي غاضرة أمّ وليد لبشر بن مروان . قال : وسائرهما حتى سندنا³ في الجبل من قِبَل زرود⁴ . فقالت له : يا أبا صخر ، أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدّمتَ عليه . قال : أفى سيك إيتي أو سيي إيتك تضمنين لي هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلما قامت تودّعه سفرّت ، فإذا هي أحسن من رأيتُ من أهل الدنيا وجهاً . فأمرتُ له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شدّ ما قبلها وأمرتُ لي بخمسة آلاف درهم . فلما ولّوا قال : يا سائبُ أين نُعني أنفسنا إلى عكرمة ، انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لما فارقتنا : [من الوافر]

شجا أظعان غاضيرة الغوادي بغير مشيئة عرضا فوادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا ، وخالف المعاني .

[كثير وامرأة لقيها بقديد]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عيَّاش

1 المحورة : الجواب .

2 الوداق في كل ذات حافر : الغلّة .

3 سندنا : علونا .

4 زرود : اسم جبل .

السعدي قال : كان كثيرٌ يلقي حاجَّ المدينة من قريش بقُديد¹ في كلِّ سنة ، فعَقَلَ عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُديداً حتى ارتفع النهار ، ثم ركب جملاً ثقالاً² واستقبل الشمس في يوم صائف ، فجاء قُديداً وقد كلَّ وتعب ، فوجدهم قد راحوا . وتخلَّف فتي من قريش معه راحلته حتى يُبرِد³ . قال الفتى القرشي : فجلس كثيرٌ إلى جنبي ولم يسلم علي ، فجاءت امرأةً وسيمة جميلة ، فجلست إلى خيمة من خيام قُديد واستقبلت كثيراً فقالت : أنت كثيرٌ ؟ قال : نعم : قالت : ابن أبي جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذي يقول :
لعزة أطلالٌ أبست أن تكلمًا
[من الطويل]

قال : نعم . قالت : وأنت الذي تقول فيها :
وكنتُ إذا ما جئتُ أجللن مجلسي وأظهرن مني هيبةً لا تجهما
فقال : نعم . قالت : أعلى هذا الوجه هيبة . إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فضجر وقال : من أنت ؟ فلم تجبه بشيء ، فسأل الموليات اللواتي في الخياء بقديد عنها ، فلم يخبرنه شيئاً ، فضجر واختلط . فلما سكن من شأوه⁴ قالت : أنت الذي تقول :

متى تحسروا عني العمامة تبصروا جميل المحيا أغفلته الدواهن
أهذا الوجه جميل المحيا ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
فاختلط وقال : والله ما عرفتك ، ولو عرفتك لفعلتُ وفعلت . فسكنت ، فلما سكن من شأوه
قالت : أنت الذي تقول :

يروق العيون الناظرات كأنه هرقلٌ وزنٍ أحمرُ التبرِ راجح⁵
أهذا الوجه يروق العيون الناظرات ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين . فازداد ضجراً وغيضاً واختلاطاً وقال لها : قد عرفتك والله لأقطعنك وقومك بالهجاء . ثم قام فالتفت في أثره ، ثم رجعت طرفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقديد : لك الله علي إن أخبرتني من هذه المرأة لأطوين لك ثوبي هذين إذا قضيت حجي ثم أعطيكهما . فقالت : والله لو أعطيتني زنتهما ذهباً ما

1 قديد : اسم موضع قرب مكة .

2 ثقالاً : بطيناً .

3 أبرد : دخل في آخر النهار .

4 الشأو : الحزن .

5 الهرقل : الدينار ، نسبة إلى هرقل ملك الروم .

أخبرتكَ مَنْ هي ؛ هذا كثيرٌ وهو مولاي قد سألتني عنها فلم أُخبره . قال الفتى القرشيّ :
فُرُحْتُ واللّهُ وبِي أَشَدُّ مِمَّا بِكَثِيرٍ .
قال سليمان : وكان كثيرٌ دميماً قليلاً¹ أحمرَ أقيشير² عظيمَ الهامةِ قبيحاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يعنى به

منها : [من الطويل]

صوت

أشأقك برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ تضمَّنه فرُش الجبَا فالمسارِبُ³
كما أوَمَّضَتْ بالعينِ ثم تبسَّمتُ خريِعٌ بدا منها جبينٌ وحاجِبُ⁴
وهبَّتْ ليلِي مائه ونباتَه كما كلُّ ذي وُدٍّ لمن ودَّ واهِبُ
عروضه من الطويل . الواصب : الدائم ، يقال وصب يصيب وُصوباً أي دام . قال الله
سبحانه : ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِيَابُهُ﴾ أي دائماً .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لعزّة من أيامِ ذي الغُصنِ شاقني بضاحيِ قَرَارِ الرُّوضَتَيْنِ رُسُومُ
هي الدارِ وحشاً غيرَ أن قدَّ يحلُّها ويغنى بها شخصٌ عليّ كريمُ
فما برسومِ الدارِ لو كنتَ عالمًا ولا بالتَّلَاعِ المُقوياتِ أهيمُ
سألتَ حكيمًا أين شطَّطَ بها النوى فخبَّرني ما لا أحبُّ حكيمُ
أجدّوا فأمّا آلُ عزّةِ غُدوةٍ فبانوا وأمّا واسطَ فمقيمُ⁵
لعمري لئن كان الفؤادُ من الهوى بغى سَقَمًا إنني إذا لسَقِيمُ
حكيمٌ هذا هو أبو السائبِ بن حكيمِ راوية كثيرٌ . ذكر ذلك لنا البيهقي عن ابن حبيب .
في هذه الأبيات لمعبد الحنان ، أحدهما في الثلاثة الأولى خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ
وابن المكّيّ وحَبَشٍ ، وفي الثلاثة الأخرى التي أولها :

1 القليل من الرجال : القصير الدقيق الجنة .

2 الأقيشير : مصفرّ الأقرش ، وهو الشديد الحمرة .

3 فرش الجبا : موضع بالحجاز .

4 الخريع : المرأة الحسناء .

5 واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

سألت حكيماً أين شطت بها النوى

له أيضاً ثقبيل أول بالنصر عن يونس وحبش . وذكر حبش خاصة أن فيها لكردم خفيف
ثقبيل آخر ، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رمل عن الهشامي . وقال أحمد بن عبيد : فيه
ثلاثة ألحان : ثقبيل أول وخفيفه ، وخفيف رمل .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني المؤملي أن ابن أبي
عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثير :
[من الطويل]

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قرار الروضتين رسوم
يتحازن حتى نقول : إنه يبكي .

[تمثل الحزين الكنائي بشعر لكثير]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي عن الضحّاك بن عثمان قال :
قال عروة بن أذينة : كان الحزين الكنائي الشاعر صديقاً لأبي ، وكان عشيراً له على النبيذ ،
فكان كثيراً ما يأتيه ، وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها ، فبيعت وأخرجت
عن المدينة ، فأنتى الحزين أبي ، وهو كتيب حزين كاسمه ، فقال له أبي : يا أبا حكيم ما لك ؟
قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير :

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغي سقماً إنني إذا لسقيم
سألت حكيماً أين شطت بها النوى فخيرني ما لا أحب حكيم
فقال له أبي : أنت مجنون إن أقمت على هذا .

[قصيدة كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر]

وهذه القصيدة يقولها كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر ، وذلك قوله فيها : [من الطويل]

ولست براء نحو مصر سحابة وإن بعدت إلاّ قعدت أشيم¹
فقد يوجد النكس الذي عن الهوى عزوفاً ويصبو المرء وهو كريم
وقال خليلي ما لها إذ لقيتها غداة الشبا فيها عليك وجوم²
فقلت له إن المودة بيننا على غير فحش والصفاء قديم
وإنّي وإن أعرضت عنها تجلداً على العهد فيما بيننا لمقيم

1 أشيم : أنظر .

2 الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة .

وإن زماناً فَرَّقَ الدهرُ بيننا
وأي الحقُّ هذا أن قلبك سالمٌ
وأن بجسمي منك داءٌ مخامراً
لعمرك ما أنصفتني في مودتي
فإما تريني اليومَ أبدي جلادةً
ولستُ ابنة الضمريِّ منك بناقيمِ
وإني لذو وجدٍ إذا عاد وصلها

ومنها :

[من الطويل]

صوت

لعزّة أطلالٌ أبّت أن تكلّما
وكنتُ إذا ما جئتُ أجلنَ مجلسي
تهيجُ مغانيها الفؤادَ المتيماً
وأظهرنَ مني هيبَةً لا تجهماً
يُحاذرنَ مني غيرةً قد عرفنها
قديماً فما يضحكنَ إلا تبسماً

عروضه من الطويل . غنى فيه مالك بن أبي السَّمْحَ لحنين عن يونس . أحدهما ثقيل أول
بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق ، وغيره ينسبه إلى معبد . والآخر ثاني ثقيل بالوسطى عن
حبش ، وفيه لابن مُحَرِّزٍ خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي . وغيره يقول : إنه لحن
مالك . وفيه لابن سُرَيْجٍ خفيف رمل بالبنصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى ، والله أعلم .

[الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله]

وأخبرني أحمد بن جعفر حجة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أثق به
عن مسرور الخادم : أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يُطْلِعْ عليه أحداً بته .
ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليوم بمن تأنس به
واصطَبِحْ فإنني مصطَبِحٌ مع الحُرِّمِ . فمضى جعفر ، وفعل الرشيد ذلك . ولم يزل برّ
الرشيد والطفاه¹ وتُحَفِّه وتُحَيِّاه تتابع إليه لئلا يستوحش . فلما كان في الليل دعاني فقال
لي : اذهب فجنني الساعة برأس جعفر بن يحيى ، وضَمَّ إلي جماعة من الغلمان ، فمضيتُ
حتى هجمتُ عليه منزله . وإذا أبو زَكَارٍ الأعمى يغنيه بقوله :

فلا تَبْعُدْ فكلّ فتى سيأتي
عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي
فقلت له : في هذا المعنى ومثله والله جئتكَ فأجب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم

1 اللطف ، بالتحريك : واحد الألفاظ ، وهو الهدية .

جعلني الله فداك ! قلت : قد أمرتُ بأخذ رأسك . فأكبَّ علي رجلي فقبلها وقال : الله الله ، راجعُ أمير المؤمنين في . فقلت : ما لي إلى ذلك سبيل . قال : فأعهدُ ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعته ، وقلت : اعهد في موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَشٍ ثم قال لي : يا أبا هاشم بقيتُ واحدة . قلت : هاتها . قال : خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخطبه . قلت : ما لي إلى ذلك سبيل . ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ما شرب اليوم شيئاً . قال : فخذني واحبسني عندك في الدار ، وعاوذه في أمري . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لي أبو زكار الأعمى : نشدتُك الله إن قتلته إلا ألحقتني به . قلت له : يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه ، وأغثاني عمّن سواه ، فما أحبّ الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكلت به ، ودخلتُ إلى الرشيد ، فلما رآني قال : أين رأسه ويلك ؟ فأخبرته بالخبر . فقال : يا ابن الفاعلة ، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنَّ رأسك ؛ فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعت بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبي زكار الأعمى ، فلما كان بعد مدة أمرني بإحضاره ، فأحضرتُه ، فوصله وبرّه وأمر بالجرية عليه .

[شعر في حولة غنى فيه]

صوت

[من الوافر]

قفا في دار حولة فأسألاها تقادم عهدُها وهجرُتها
بمِحلالٍ يفوح المسكُ منه إذا هبت بأبطحه صباها¹
أترعى حيثُ شاءت من جمانا وتمنعنا فلا نرعى جمانا²

عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فزارة . والغناء ذكر حماد عن أبيه أنه لمعبد ، وذكر عنه في موضع آخر أنه لابن مسجح . وطريقته من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى .

1 المحلال : الأرض السهلة المخضبة . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

2 فلا في ل : إذا .

[أخبار منظور بن زيان] 218

[نسه]

وهذا الشعر يقوله الفراري في خولة بنت منظور بن زيان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وكان منظور بن زيان سيد قومه غير مدافع ، أمه قهطم بنت هاشم بن حرملة ، وقد ولدت أيضاً زهير بن جذيمة ، فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه . وهو أحد من طال حمل أمه به . [سب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك]

قال الزبير بن بكار أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدثنا به عنه حدثتني مغيرة بنت أبي عدي . قال الزبير وقد حدثتني هذا الحديث أيضاً إبراهيم بن زياد عن محمد بن طلحة ، وحدثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن يحيى بن الحسن العلوي عن الزبير قالاً جميعاً : حملت قهطم بنت هاشم بمنظور بن زيان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه فسماه أبوه منظوراً لذلك ، يعني لطول ما انتظره ، وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة :

ما جئت حتى قيل ليس بواردي
وإني لأرجو أن تكون كهاشم
فسميت منظوراً وجئت على قدر
وإني لأرجو أن تسود بني بدر

[تزوج مليكة زوج أبيه ففرق عمر بينهما فبعتها نفسه وقال شعراً]

ذكر الهيثم بن عدي عن ابن الكلبي وابن عياش ، وذكر بعضه الزبير بن بكار عن عمه عن مجالد : أن منظور بن زيان تزوج امرأة أبيه ، وهي مليكة بنت سينان بن أبي حارثة المري ، فولدت له هاشماً وعبد الجبار وخولة ، ولم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان يشرب الخمر أيضاً ، فرفع أمره إلى عمر ، فأحضره وسأله عما قيل ، فاعترف به وقال : ما علمت أنها حرام . فحبسه إلى وقت صلاة العصر ، ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله جل وعز حرم ما فعله . فحلف ، فيما ذكر ، أربعين يمينا . فخلى سبيله ، وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنك حلفت لضربت عنقك .

قال ابن الكلبي في خبره : إن عمر قال له : أتنيح امرأة أبيك وهي أمك ؟ أو ما علمت أن هذا نكاح المقت¹ ! . وفرق بينهما . فتزوجها محمد بن طلحة .

1 نكاح المقت : هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده .

قال ابن الكلبي في خبره : فلما طلقها أسيف عليها وقال فيها :
 [من الطويل]
 ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهرُ إذا مُنعت مني مُليكة والخمرُ
 فإن تكُ قد أُمست بعيداً مزارها فحيّ ابنة المرّي ما طلعَ الفجرُ
 لعمري ما كانت مُليكة سوءةً ولا ضمّ في بيتٍ على مثلها سترُ
 وقال أيضاً :

لعمراً أبي ، دينٌ يُفرّق بيننا وبينك قسراً إنه لعظيمُ
 وقال حُجرُ بن معاوية بن عيّنة بن حصن بن حذيفة لمنظور :
 [من البسيط]
 لَيْسَ ما خَلَفَ الآبَاءَ بَعْدَهُمْ في الأُمّهاتِ عِجالُ الكلبِ منظورُ
 قد كُنْتَ تَعْمِرُها والشَيْخَ حاضِرُها فالآنَ أنتِ بطُولِ الغمِزِ معذورُ

[تزوجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها]

قال أبو الفرج الأصفهاني : أخطأ ابن الكلبي في هذا . وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوجها ؛ فأما محمد فإنه تزوج خولة بنت منظور فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج ، ثم قُتل عنها يوم الجمل ، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام . وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسين من مال علي عليه السلام ، فقال الحسيني لأمير المدينة : هذا الظالم الضالع¹ الظالم ، يعني إبراهيم ، فقال له إبراهيم : والله إني لأبغضك . فقال له الحسيني : صادق ، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك وجدك ، وناك عمي أمك ؟ ، لا يكني ، فأمر بهما فأقيما من بين يدي الأمير .

[لقى مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها]

رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي قال : فلما فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوجت رآها منظور يوماً وهي تمشي في الطريق ، وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال : يا مليكة ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك ! فلم تكلمه وجازت ، وجاز بعدها زوجها ؛ فقال له منظور : كيف رأيت أثر أيري في حير مليكة ؟ قال : كما رأيت أثر أير أريك فيه ، فأفحمه . وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه .

[رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن]

وقال الزبير في حديثه : فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنت منظور فولدت له

إبراهيم وداود وأمّ القاسم بن محمد بن طلحة ، ثم قُتِلَ عنها يوم الجمل ، فحَدَّثَ عليها الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .
قال الزبير : وقال محمد بن الضحّاك الحزّاميّ عن أبيه : تزوّج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور ، زوجة إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحتها .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني يحيى بن الحسن قال حدّثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال : جعلت خولةُ أمرها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظور بن زيان فقال : أمثلي يُفتات عليه ابنته ! فقدِم المدينة ، فركّز راية سوداء في مسجد رسول الله ﷺ ، فلم يبقَ قيسيّ بالمدينة إلّا دخل تحتها ، فقيل لمنظور بن زيان : أين يُذهبُ بك ؟ تزوّجها الحسن بن عليّ عليه السلام وليس مثله أحد . فلم يقبل . وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل ، فقال له : ها ، شأنك بها . فأخذها وخرج بها . فلما كان بقاءً جعلت خولة تُندّمه وتقول : الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنّة . فقال : تلبّثي هاهنا ، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . قال : فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففي ذلك يقول جفیر العبّسيّ :

[من البسيط]

إِنَّ النَّدَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ قَدْ عَلِمُوا	وَالجُودَ فِي آلِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ
الْمَاطِرِينَ بِأَيْدِيهِمْ نَدَى دِيمًا	وَكُلَّ غَيْثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ مِدْرَارٍ ¹
تَزُورُ جَارَاتِهِمْ وَهَنًا فَوَاضِلُهُمْ	وَمَا فَتَاهُمْ لَهَا سِرًّا بِزَوَّارٍ ²
تَرْضَى قَرِيشٌ بِهِمْ صِهْرًا لِأَنْفُسِهِمْ	وَهُمْ رَضًا لِبَنِي أُخْتِ وَأَصْهَارِ

[لَمَّا أَسْنَتْ خَوْلَةَ بِنْتَهُ بَرَزَتْ لِلرِّجَالِ وَغَنَّاها مَعْبِدَ بَشَرٍ قَبْلَ فِيهَا فَطَرْتُ]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني ابن أبي أيّوب عن ابن عائشة المغنّي عن معبد : أنّ خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلما أسنت مات عنها أو طلقها ، فكشفت قناعها وبرزت للرجال . قال معبد : فأتيتها ذات يوم أطلبها بحاجة ، فغنيتها لحنّي في شعرٍ قاله فيها بعض بني فزارة ، وكان خطبها فلم يُنكحها أبوها :

[من الوافر]

1 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل .

2 الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . الفواضل : الأيدي الجسيمة .

قفا في دار خولة فاسألاها تقادم بهدوها وهجرتها
 بمحلال كأن المسك فيه إذا فاحت بأبطحه صباها
 كأنك مزنة برقت بليلي لجران يضيء له سناها
 فلم تمطر عليه وجاوزته وقد أشفى عليها أو رجاها
 وما يملا فؤادي فاعلميه سلو النفس عنك ولا غناها
 وترعى حيث شاءت من حمانا وتمنعنا فلا ترعى حمانا

قال : فطربت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد ابن قطن ، أنا والله يومئذ أحسن من النار
 الموقدة في الليلة القرة .

صوت

[من الكامل]

لله درّ عصابة صاحبهم يوم الرصافة مثلهم لم يوجد
 متقلدين صفائحاً هندية يتركن من ضربوا كأن لم يؤلد
 وغدا الرجال الثائرون كأنما أبصارهم قطع الحديد الموقد

عروضه من الكامل . الشعر للجحاف السلمي الموقع بيني تغلب في يوم البشر . والغناء
 للأبجر أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[219] - خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر

[نسبه]

هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محاريب بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور .

[قصته يوم البشر وسب ذلك]

وكان السبب في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالاً حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالاً حدثنا عمر بن شبة ، وقد جمعت رواياتهم . وأكثر اللفظ في الخبر لابن حبيب : أن عمير بن الحباب لما قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الثرثار ، وهو قريب من تكريت ، أتى تميم بن الحباب أخوه زفر بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثاره ، فكره ذلك زفر ، فسار تميم بن الحباب بمن تبعه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي . فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم ؛ فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ؛ فقال : أمهلوني ألق الشيخ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر ؛ فقال : ما صنعت ؟ والله لئن ظفرت بهذه العصابة إنه لعار عليك ، ولئن ظفروا إنه لأشد ؛ قال زفر : فاحبس علي القوم ؛ وقام زفر في أصحابه ، فحرضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوساً ، وسار حتى انتهى إلى الثرثار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجه زفر بن الحارث يزيد بن حمران في خيل ، فأساء إلى بني فدوكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق في ذلك الجور غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حمران فأعاذها . وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً . وبعث مسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل . وبلغ ذلك بني تغلب واليمن ، فارتحلوا يريدون عبور دجلة ، فلحقهم زفر بالكحيل ، وهو نهر أسفل الموصل ، مع المغرب فاقتلوا قتلاً شديداً ، وترجل أصحاب زفر أجمعون ، وبقي زفر على بغل له ، فقتلوه من ليلتهم ، وبقرؤا ما وجدوا من النساء . وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف ، وأن الدم كان في دجلة

قريباً من رمية سهم . فلم يزالون يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ؛ فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِلَ ، فتذاَمروا¹ وقالوا : لئن قُتِلَ شيخنا لَمَا صَنَعْنَا شيئاً ، فاتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس ، وتغلبُ قد رمت بأنفسها تعبر في الماء ، فخرج من الماء وأقام في موضعه . فهذه الواقعةُ الحَرَجِيَّةُ لأنَّهم أُحْرِجُوا فألقوا أنفسهم في الماء . ثم وجَّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحُبَاب ومسلم بن ربيعة والهديل بن زفر في أصحابه ، وأمرهم ألاَّ يلقوا أحداً إلاَّ قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلُّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشمال في جماعةٍ مِنْ أصحابه ، حتى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلِّ² بالكُحَيْلِ أحداً ، والكُحَيْلُ على عشرة فراسخٍ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصعد قَيْلَ رأس الأثيل ، فوجد به عسكرياً من اليمن وتغلب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تغلبُ ليلةَ الهَرِيرِ . ففي ذلك يقول زفرُ بنُ الحارث ، وقد ذُكِرَ أنَّها لغيره :

ولما أن نعى النَّاعي عُميراً
حسبتُ سماءهم دُهيتُ بليل
دهيتُ بليل ، أي أظلمت نهاراً كأنَّ ليلاً دهاها .

وكان النجمُ يطلُّعُ في قَتامٍ
وكنْتُ قَيْلِهَا يا أمَّ عمرو
فلو نُبِشَ المقابرُ عن عمير
غداةَ يقارعُ الأبطالَ حتى
قَيْلٌ يَنْهَدونَ إلى قَيْلِ
وفي ذلك يقول جرير يعيِّرُ الأخطلُ :

[من الكامل]

أنسيتَ يومك بالجزيرة بعدما
حملتُ عليك حُماةَ قيسٍ خيلها
كانت عواقبه عليك وبالا !
شُعْناً عوايسَ تحمِلُ الأبطالاً

1 تذاَمروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .

2 ل : يخلف .

3 القتام : الغبار ، في هذا البيت إقواء .

4 اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرر عليكم ورجالا
زفرُ الرئيسُ أبو الهذيلُ أباركم فسبى النساء وأحرز الأموال

[أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفر إلى الروم]

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقُتل عبد الله بن الزبير هُدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة ، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يُحكّم الصلح فيه ، فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله : [من الطويل]

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ يقتلُ أصيبت من سليمٍ وعامرٍ
أجحافُ إن نهبطُ عليك فتلتقي عليك بحور طاميات الزواجرِ
تكن مثل أبداء الجباب الذي جرى به البحرُ ترهاهُ رياحُ الصراصيرِ¹

فوثب الجحاف يجرّ مطرفه وما يعلم من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد كسبت قومك شراً . فافتعل الجحاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلب ، وصحبه من قومه نحو من ألف فارسٍ ، فنار بهم حتى بلغ الرصافة ، قال : وبينها وبين شطّ الفرات ليلة ، وهي في قبلة الفرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعر الأخطل ، وقال لهم : إنما هي النارُ أو العارُ ، فمن صبرَ فليقدم ومن كرهَ فليرجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبة ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحنُ معك فيما كنتَ فيه من خيرٍ وشرٍّ ، فارتحلوا فطرقوا صُهَيْنَ بعدُ رؤية² من الليل ، وهي في قبلة الرصافة وبينهما ميل ، ثم صبحوا عاجنة الرحوب في قبلة صُهَيْنَ والبشر ، وهو وادٍ لبني تغلب ، فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملاً ، ومن كانت غيرَ حاملٍ قتلوها . فقال عمرُ بنُ شَبَّةَ في خبره : سمعت أبي يقول : صعد الجحافُ الجبلَ ، فهو يوم البشر ، ويقال له أيضاً يومُ عاجنة الرحوب ، ويومُ مخاشين ، وهو جبلٌ إلى جنب البشر ، وهو مرج السلوطح لأنه بالرحوب ، وقتل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياثٍ ، ففي ذلك يقول جرير له :

شربت الخمر بعد أبي غياثٍ فلا نعت لك السوءات بالآ³

قال عمرُ بن شَبَّةَ في خبره خاصةً : ووقع الأخطلُ في أيديهم ، وعليه عباءة دَنَسَة ، فسألوه

1 زهت الريح الشجر ترهاه : هزته وحرّكه .

2 رؤية : قطعة ، وأصلها القطعة يسدّ بها ثلثة الإناء .

3 السوءات في ل : النشوات .

فذكر أنه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ؛ فقال ابنُ صَفَّارٍ في ذلك : [من الكامل]

لَمْ تَنْجِ إِلَّا بِالتَّعْبُدِ نَفْسُهُ لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ عِدَا
وتشابهت بُرْقُ العَبَاءِ عَلَيْهِمْ فنجا ولو عرفوا عباءته هوى¹

وجعل يُنادي : مَنْ كانت حاملاً فإليَّ ، فصعدنَ إليه ، فجعل يقرُّ بطونهنَّ . ثم إنَّ الجحَّافَ هرب بعد فعله ، وفرَّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحق الجحَّافَ عبيدَةُ بن همامِ التغلبيِّ دون الدَّرْبِ ، ففكرَ عليه الجحَّافُ فهزمه ، وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمناً في الروم ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فإن تطردوني تطردوني وقد مضى من الورْدِ يومٌ في دماء الأراقمِ²
لذن ذرَّ قرنُ الشمسِ حتى تلبَّستْ ظلماً بركض المقرِّبات الصلادمِ³

[رجع بعد عفو عبد الملك عنه وتمثل بشعر الأخطل]

حتى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكلمته القيسية في أن يؤمَّنه ، فلان وتلكأ ، فقبل له : إنا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مقامه بالروم ؛ فأمنه ، فأقبل فلماً قدم على عبد الملك لقيه الأخطلُ فقال له الجحَّافُ : [من الطويل]

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني على القتل أم هل لامني لك لائمي
أبا مالكٍ إنني أطعتك في التي حضضت عليها فعل حرَّان حازمِ
فإن تدعني أخرى أجيك بمثلها وإني لطبُّ بالوعى جدُّ عالمِ

قال ابن حبيب : فزعموا أنَّ الأخطلَ قال له : أراك والله شيخَ سوءٍ . وقال فيه جرير :

فإنك والجحَّافَ يوم تحضُّه أردتَ بذاك المُكثَ والورْدُ أعجلُ
بكي دَوْبِلٌ لا يُرقىءُ اللهُ دمعهُ ألا إنَّما يبكي من الذُّلِّ دَوْبِلُ⁴

1 الأبرق : كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهي براءة والجمع برق .

2 الأراقم : حي من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعوية ، سموا كذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات .

3 المقربات من الخيل : التي ضمرت للركوب فهي قريبة معدة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .

4 رقاً الدمع : جف وسكن . الدويل : الخنزير أو ولده .

رمسا زالت القتلى تمور دماؤهم بدجلة حتى ماء دجلة أشكل¹
 فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله ! والله ما سمّنتني أمي ذوبلاً إلا وأنا صبي صغير ثم
 ذهب ذلك عني لما كبرت . وقال الأخطل : [من الطويل]

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة
 فسائل بني مروان ما بال ذمة
 إلى الله منها المشتكى والمعول
 وحبل ضعيف لا يزال يوصل
 فيلاً تغيّرها قريش بملكها
 يكن عن قريش مستراداً ومزحل²

[حملة الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أين يا ابن النصرانية ؟ قال : إلى النار قال : أولى
 لك لو قلت غيرها ؛ قال : ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر
 الوليد بن عبد الملك ، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمن الجحاف
 قتلى البشر ، وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الجمالات ، ولم يكن عند الجحاف ما حمل ،
 فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن ، فسأل الإذن على الحجاج ، فمنعه .
 فلقي أسماء بن خارجة ؛ فعصّب حاجته به فقال : إني لا أقدر لك على منفعة ، قد علم الأمير
 بمكانك وأبي أن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكذت³ ، فلما بلغ
 ذلك الحجاج قال : ما له عندي شيء ، فأبلغه ذلك ؛ قال : وما عليك أن تكون أنت الذي
 تؤسسه فإنه قد أبى ، فأذن له فلما رآه قال : أعهدتني خائناً لا أبأ لك ! قال : أنت سيد
 هوازن ، وقد بدأنا بك ، وأنت أمير العراقين⁴ ، وابن عظيم القريتين⁵ ، وعمالتك في كل سنة
 خمسمائة ألف درهم ، وما بك بعدها حاجة إلى خيانة ؛ فقال : أشهد أن الله تعالى وفّقك ،
 وأنك نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدوا البقية .

[تسك وخرج إلى الحجّ في زي عجيب]

قال : ثم تألّه⁶ الجحاف بعد ذلك ، واستأذن في الحجّ ، فأذن له ، فخرج في المشيخة
 الذين شهدوا معه ، قد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبروا أنوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها

1 أمار الدم : جرى ، والأشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدره .

2 بملكها ، أي بقدرتها . المستراد : المرعى . مزحل : مبعّد .

3 أكدي : أصله من أكدي الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر .

4 العراقان : الكوفة والبصرة .

5 القريتان : مكة والطائف .

6 تألّه : تعبد وتسنك .

البرى¹ ، ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ، ويعجبون منهم . قال : وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ؛ فقال له ابنُ عمر : يا هذا ، لو كنت الجحافَ ما زدت على هذا القول ؛ قال : فأنا الجحافُ ، فسكت . وسمعه محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يقول ذلك ؛ فقال : يا عبد الله ، قنوطك من عفو الله أعظمُ من ذنبك !
قال عمر بن شبة في خبره : كان مولد الجحاف بالبصرة .

[دخل على عبد الملك بعد أن أمنه وأنشده شعراً]

قال عبد الله بن إسحاق النحويّ : كان الجحافُ معي في الكتاب ، قال أبو زيد في خبره أيضاً : ولما أمنه عبد الملك دخل عليه في جبة صوف ، فلبث قائماً ، فقال له عبد الملك : أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك ، فأنشده قوله : [من الكامل]

صيرتُ سليمًا للطعان وعامرًا وإذا جزعنا لم نجد من يصيرُ

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، ما أكثر من يصير ! ثم أنشده : [من الكامل]

نحنُ الذين إذا علوا لم يفخروا يوم اللقا وإذا علوا لم يضجروا

فقال عبد الملك : صدقت ، حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة .

[عود إلى قصة يوم البشر]

حدثتُ عن الدمشقيّ عن الزبير بن بكّار ، وأخبرني وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان : أنه حضر الجحافُ عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضرٌ في مجلسه ينشد :

ألا سائلُ الجحاف هل هو نائرٌ بقتلي أصيبت من سليم وعامرٍ

قال : فتقبّض وجهه في وجه الأخطل ، ثم إن الأخطل لما قال له ذلك قال له : [من الطويل]

نعم سوف ننبكيهم بكلّ مُهندي ونبكي عميراً بالرماح الخواطر²

ثم قال : ظننتُ أنك يا ابن النصرانية لم تكن تجترىء عليّ ولو رأيتني لك مأسوراً . وأوعده ، فما برح الأخطلُ حتى حُمّ ، فقال له عبد الملك : أنا جارُك منه ؛ قال : هذا أجرّنتني منه يقظان ، فمن يجيرني منه نائماً ؟ قال : فجعل عبدُ الملك يضحك . قال : فأما قولُ الأخطل : [من الطويل]

1 البرى : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير .

2 الخواطر : خطر الرمح : اهتزّ فهو خاطر والجمع خواطر .

ألا سائل الجحاف هل هو نائزٌ بقتلى أصيبت من سليم وعامر فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي .

وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل : أن قيساً وتغلب تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهط ، فكانوا يتغاورون¹ . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوآذ وما حوله ، وجلبت إليها طوائف تغلب وجميع بطونها ، إلا أن بكر بن جشم لم تجتمع أحلافهم من النمر بن قاسط . وحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم . وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيس وقضاة وأخلاط مضر ، ففارتهم قضاة قبل حرب تغلب ، وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان ، فأتاهم شعيب بن مليل في ألفي فارس . واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأتهم أحد ؛ فقال : [من الطويل]

أيا أخويننا من تميم هديتما ومن أسد هل تسمعان المناديا
ألم تعلمنا مذ جاء بكر بن وائل وتغلب ألفافاً تهز العواليا
إلى قومكم قد تعلمون مكانهم وهم قرب أدنى حاضرين وباديا

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائل المَجَشَّر بن الحارث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثير من بني أبي ربيعة . وفي ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشاك : [من الطويل]

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائل بني عمنا فالدهر ذو متغير
فسوف نخيض الماء أو سوف نلتقي فنقتص من أبناء عم المَجَشَّر²

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرة في جمع كبير فشهدوا يوم الثرثار ، فقتل . وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همام ، فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله . وفي هذا السبب كانت فرقة عبيد الله لمصعب ، وجمعت تغلب فأكثرت ، فلما أتى عميراً أكثره من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطنهم :

1 يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

2 أخاضه في الماء : جعله يخوضه .

أناديهم وقد خذَلتُ كلاب
أقاتلهم بحمي بني سليم
وحولي من ربيعة كالجبال
ويعضر كالمصاعيب النُهال¹
فدئى لفوارس الثرثار قومي
وما جمعتُ من أهلي ومالي
فإمّا أمسٍ قد حانت وفاتي
فقد فارقت أعصر غير قال
أبعد فوارس الثرثار أرجو
ثراء المال أو عدد الرجال؟

ثم زحف العسكران ، فأتت قيسٌ وتغلبُ الثرثار ، بين رأس الأثيل والكحيل ، فشهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بن مُليلٍ وتغلبُ بنُ نياطٍ التغليبان قدما في ألفي فارس في الحديد ، فعبروا على قرية يقال لها لبٌّ على شاطئ دجلة بين تكريت وبين الموصل ، ثم توجهوا إلى الثرثار ، فنظر شعيبٌ إلى دواخن² قيس ، فقال لتغلبُ بن نياط : سير بنا إليهم ، فقال له : الرأي أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحداً ، فقال شعيبٌ : والله لا تحدثُ تغلبُ أنني نظرتُ إلى دواخينهم ثم انصرفتُ عنهم ، فأرسل ناساً من أصحابه فدأمه وعميرٌ يقاتل بني تغلب . وذلك يوم الخميس ، وعلى تغلب حنظلة بن هوير ، أحد بني كنانة بن تميم ، فجاء رجلٌ من أصحاب عميرٍ إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته ، وأنه قد عدل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكفوني قتال ابن هوير ، ومضى هو في جماعة من أصحابه ، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ ، فقتلهم كلهم غير رجل من بني كعب بن زهير يقال له : قتبٌ بن عبيد ، فقال عميرٌ : يا قتبُ ، أخبرني ما وراءك ؟ قال : قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه . وفارق تغلبُ بن نياطٍ شعيباً ، فمضى إلى حنظلة بن هوير ، فقاتل معه القيسية ، فقتل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتلوا قتالاً شديداً ، فما صلبت العصر حتى قُتل شعيب وأصحابه أجمعون ، وقُطعت رجلُ شعيب يومئذٍ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول :

قد علمت قيسٌ ونحن نعلم أن الفتى يفتك وهو أجذم³

فلما قتل شعيب نزل أصحابه ، فعقروا دوابهم ، ثم قاتلوا حتى قتلوا ، فلما رآه عمير قتيلاً قال : من سره أن ينظر إلى الأسد عقيراً فما هو ذا . وجعلت تغلبُ يومئذٍ ترتجز وتقاتل وهي تقول :

1 يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصعب ومصاعيب : جمع مصعب وهو الفحل الذي يقتصر عمله على الفحلة .

2 الدواخن : جمع داخنة ، وهي المدخنة .

3 أجذم : أقطع .

انْعَمُوا إِيَّاساً وَاذْذُبُوا مُجَاشِعاً
كَلَاهِمَا كَانَ كَرِيماً فَاجِعاً
وَيَهُ بَنِي تَغْلِبٍ ضَرْباً نَاقِعاً¹

وانصرف عميرٌ إلى عسكره ، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيب ، فحميت على القتال وتدامرت على الصبر ، فقال مِحْصَنُ بْنُ حَصِينِ بْنِ جَنْجُورٍ أَحَدِ الْأَبْنَاءِ : مضيت أنا ومن أفلت من أصحاب شعيب بعد العصر ، فأتينا راهباً في صومعته ، فسألنا عن حالنا ، فأخبرنا ، فأمر تلميذاً له ، فجاءه بخرق فداوى جراحنا ، وذلك غداة يوم الجمعة . فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبرٌ مقتل عمير وأصحابه ، وهرب من أفلت منهم :

[من الخفيف]

صوت

إِنَّ جَنبِي عَلَى الْفَرَّاشِ لِنَابِ
كَتَجَافِي الْأَسْرَ فَوْقَ الظَّرَابِ
مَنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَمَا أَطُ
عَمُّ غَمُضاً وَلَا أَسِيغُ شَرَابِي
لِشُرْحِييَلٍ إِذْ تَعَاوَرَهُ الْأَرُ
مَاحُ فِي حَالِ شِدَّةٍ وَشَبَابِ
فَارِسٍ يَطْعَنُ الْكُمَاةَ جَرِيءِ
تَحْتَهُ قَارِحٌ كَلُونِ الْغَرَابِ²

عروضه من الخفيف . الأسرّ : البعير الذي يكون به السرر ، وهي قرحة تخرج في كركرتة ، لا يقدر أن يبرك إلا على موضعٍ مُستوٍ من الأرض ، والظراب : النشوز والجبال الصغار ، واحدها ظرب . والشعرُ لغفاء ، وهو معديكرب بن الحارث بن عمرو بن حُجرٍ آكل المَرَارِ الكِنْدِيِّ يرثي أخاه شُرْحِييَلِ قَتِيلَ يَوْمِ الْكَلَابِ الْأَوَّلِ ، والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو .

1 وية : إغراء وتحريض .

2 القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .

[220 - قصة يوم الكلاب الأول]

وكان السببُ في مقتله وقصة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ وعليُّ بن سليمان الأخفشُ قالا حدثنا أبو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دماذ عن أبي عبيدة قال : كان من حديث الكلاب الأول أن قباد ملك فارسَ لما ملك كان ضعيف الملك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيفة ، فأخرجوه ؛ وإنما سُمِّيَ ذا القرنين لأنه كانت له ذؤابتان ، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم ، وكان أذكى ولديه ، فانطلقت ربيعة إلى كندة ، فجاءوا بالхарث بن عمرو بن حُجرٍ آكل المرار ، فملكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظَهَرَ على ما كانت العربُ تسكنُ من أرض العراق ، وأبى قبادُ أن يُمدَّ المنذرَ بجيش . فلما رأى ذلك المنذرُ كتب إلى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحقَّ من ضمّني ، وأنا مُتحوِّلٌ إليك ؛ فحوِّله إليه وزوجه ابنته هنداً . ففرَّق الحارثُ بنيه في قبائل العرب ، فصار شُرْحبيلُ بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيد ، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرِّبابِ ، وصار معدٍ يركبُ بن الحارث ، وهو غلفاء ، في قيس ، وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمير بن قاسطٍ وسعد بن زيد مناة . فلما هلك الحارثُ تشتت أمرُ بنيه ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفانم الأمر حتى جمع كلُّ واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ فسار شُرْحبيلُ ومن معه من بني تميم والقبائل ، فنزلوا الكلاب ، وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ، وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمير ومن معه ، وفي الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو ربيعة ، وهي أمُّ لهم ينتسبون إليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، يريدون الكلاب . وكان نصحاء شُرْحبيلُ وسلمة قد نهوهما عن الحرب والفساد والتحاسد ، وحذروهما عثرات الحرب وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ولم ييرحا ، وأبيا إلا التتابعُ واللحاجة في أمرهم ، فقال امرؤ القيس بن حُجرٍ في ذلك :

[من السريع]

أنتى علي استتب لومكما	ولم تلوما عمراً ولا عضمًا
كلًا يمين الإله يجمعنا	شيء وأخواننا بني جشمًا
حتى تزور السباع ملحمة	كأنها من ثمود أو إرمًا

وكان أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيان بن مجاشع بن دارم ، وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه ، فقتلت بكر بن وائل بنين له ، فيهم مرة بن سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ؛ فقال سفيان وهو يرتجز : [من مجزوء الرجز]

الشيخُ شيخُ ثكلانُ والجوفُ جوفُ حرانُ
والوردُ وردُ عجلانُ أنعى مرةً بنَ سفيانُ

وفي ذلك يقول الفرزدق : [من الوافر]

شيوخُ منهمُ عدسُ بنُ زيدٍ وسفيانُ الذي ورد الكلابا

وأول من ورد الماء من بني تغلب رجل من بني عبد بن جشم يقال له النعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، وعبد يغوث بن دوس ، وهو عم الأخطل - دوس والفدوكس أخوان - على فرس له يقال له الحرون ، وبه كان يعرف ثم ورد سلمة ، ببني تغلب وسعد وجماعة الناس ، وعلى بني تغلب يومئذ السفاح ، واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وهو يقول : [من الرجز]

إن الكلاب ماؤنا فخلوه وساجراً والله لَن تحلوه¹

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثبت بعضهم لبعض ؛ حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفأها عن بني تغلب ، وصير ابنا وائل بكر وتغلب ليس معهم غيرهم ، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمة : من أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل ، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم ، ففروا عنه ، وعرف مكانه أبو حنش ، وهو عَصْمُ بنُ النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، فصمده نحوه ، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وألقاه إليه . ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب لما انهزموا خرج معهم شرحبيل ، فلحقه ذو السنينة - واسمه حبيب بن عتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سن زائدة - فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته ، فأطن² رجله ، وكان ذو السنينة أخوا أبي حنش لأمه ، أمهما سلمى بنت عدي بن ربيعة بنت أخي كليب ومهلهل ، فقال ذو السنينة : قتلتني الرجل ! فقال أبو حنش : قتلتني الله إن لم أقتله ، فحمل عليه ، فلما غشيته قال : يا أبا حنش ،

1 ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بني تميم .

2 أطن رجله : قطعها .

أَمَلِكاً بِسُوقَةٍ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَلِكِي، فَطَعَنَهُ أَبُو حَنْشٍ، فَأَصَابَ رَادِفَةَ¹ السَّرَجِ، فَوَرَّعَتْ² عَنْهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَنْ فَرْسِهِ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى سَلْمَةَ مَعَ ابْنِ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو أَجَأُ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَيَاثٍ، فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ سَلْمَةُ: لَوْ كُنْتُ أَلْقَيْتَهُ إِלْقَاءَ رَفِيقاً؛ فَقَالَ: مَا صَنَعَ بِي وَهُوَ حَيٌّ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، وَعَرَفَ أَبُو أَجَأُ النَّدَامَةَ فِي وَجْهِهِ وَالْجَزَعَ عَلَى أَخِيهِ، فَهَرَبَ وَهَرَبَ أَبُو حَنْشٍ فَتَنَحَّى عَنْهُ، فَقَالَ مَعْدِيكَرْبُ أَخُو شَرْحِبِيلِ، وَكَانَ صَاحِبَ سَلَامَةٍ مَعْتَزِلاً عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْحُرُوبِ:

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَنْشٍ رَسُولاً
تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرّاً
تَدَاعَتْ حَوْلَهُ جُشْمُ بْنُ بَكْرٍ
قَتِيلٌ مَا قَتِيلُكَ يَا ابْنَ سَلْمَى

فَمَا لَكَ لَا تَجِيءُ إِلَى الثَّوَابِ!
قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكَلَابِ
وَأَسْلَمَهُ جَعَسَيْسُ الرِّيَابِ³
تَضْرَبُ بِهِ صَدِيقَكَ أَوْ تُحَابِي

[من الوافر]

فَقَالَ أَبُو حَنْشٍ مَجِيباً لَهُ:

أَحَاذِرُ أَنْ أَجِئَكُمْ فَتَحْبُوبُوا
فَكَانَتْ غَدْرَةً شَنْعَاءَ تَهْفُو

جِئَاءَ أَبِيكَ يَوْمَ صُنَيْبَاتِ⁴
تَقَلَّدَهَا أَبُوكَ إِلَى الْمَمَاتِ

وَيُقَالُ: إِنَّ الشَّعْرَ الْأَوَّلَ لِسَلْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ: وَقَالَ مَعْدِيكَرْبُ الْمَعْرُوفُ بَغْلَفَاءَ يَرِثِي أَخَاهُ

[من الخفيف]

شَرْحِبِيلِ بْنِ الْحَارِثِ:

إِنَّ جَنَبِي عَنِ الْفَرَّاشِ لِنَابِي
مَنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَلَا تَرِ
مُرَّةً كَالذُّعَافِ أَكْتُمَهَا النَّا
مَنْ شَرْحِبِيلَ إِذْ تَعَاوَرَهُ الْأَرِ
يَا ابْنَ أُمِّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدِ
لَتَرَكْتُ الْحَسَامَ تَجْرِي ظُبَاهِ

كَتَجَانِي الْأَسْرَ فَوْقَ الظَّرَابِ
قَا عَيْنِي وَلَا أَسْبِغُ شَرَابِي
سَ عَلَى حَرٍّ مَلَّةٍ كَالشَّهَابِ⁵
مَاحُ فِي حَالِ لَذَّةٍ وَشَبَابِ
عَو تَمِيماً، وَأَنْتَ غَيْرُ مَجَابِ
مَنْ دَمَاءِ الْأَعْدَاءِ يَوْمَ الْكَلَابِ

1 رادفة السرج: مؤخرته.

2 ورّعت عنه: منعت.

3 جعاسيس: جمع جعسوس وهو القصير الدميم.

4 صنبيعات: موضع أو ماء.

5 الملة: الرماد الحار.

ثم طاعتت من ورائك حتى
يوم ثارت بنو تميم وولت
ويحكم يا بني أسيدَ إني
أين معطيكم الجزيلَ وحايه
فارس يضرب الكتيبة بالسيد
فارس يطعن الكمامة جريء
تبلغ الرحب أو تبرّ ثيابي¹
خيلهم يتقن بالأذنان
ويحكم ربكم ورب الرباب
كم على الفقر بالمئين الكباب²
ف على نحره كنضح الملاب³
تحتة قارح كلون الغراب

قال : ولما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم دون عياله ، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم وأمنهم . ولي ذلك منهم عوف بن شجنة بن الحارث بن عطارد بن عوف بن سعد بن كعب ، وحشد له فيه رهطه ونهضوا معه ، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حنجر ، ومدحهم به في شعره فقال : [من الطويل]
ألا إن قوماً كتتم أمس دونهم هم استنقلدوا جاراتكم آل غدران
عويّر ومن مثل العوير ورهطه وأسعد في يوم الهزاهز صفوان⁴
وهي قصيدة معروفة طويلة :

صوت

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري ، يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ؛ هكذا ذكر مصعب الزبيري . وذكر مؤرج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمه أبي جعفر عن مؤرج ، وهو الصحيح ، أن عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديق له يقال له قصي بن ذكوان ، وكان قد عتب عليه . وأول الشعر :
رأيت قصيًّا كان شيئاً ملففاً فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتك في الحاجات إلا تنائيا
والغناء لبنان بن عمرو بن رمل بالوسطى . وفيه الثقيل الأول لعريب من رواية أبي العنيس وغيره .

1 تبرّ ثيابي : أي تنزع عني بموتي .

2 الكباب : الكثير الإبل ، وفي ل : اللباب .

3 الملاب : ضرب من الطيب أو الزعفران .

4 أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .

[221] - خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمُّ عبدِ الله بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنتُ عميس بن معد بن تميم بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفتل ، وهو خُماعة بن خثعم بن أنمار . وأمُّها هند بنتُ عوف ، امرأة من جرش . هذه الجرشية أكرمُ الناس أحماء ؛ أحماؤها : رسول الله ﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحمزة والعباسُ وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنما صار رسولُ الله ﷺ من أحمائها أنه كان لها أربع بناتٍ : ميمونة زوجة رسول الله ﷺ ، وأمُّ الفضل زوجة العباس وأمُّ بنته ، وسلْمى زوجة حمزة بن عبد المطلب ، بناتُ الحارث ، وأسماء بنتُ عميس أختهنَّ لأُمهنَّ ؛ كانت عند جعفر بن أبي طالب ، ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنَّ اللواتي قال رسول الله ﷺ لهنَّ : «إنهنَّ مؤمنات» .

حدَّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسين العلويُّ قال حدَّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدَّثنا داودُ بن عبد الله قال : حدَّثني عبد العزيز الدراوردي عن إبراهيم بن عتبة عن كُريب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الأخوات المؤمناتُ : ميمونة ، وأمُّ الفضل ، وسلْمى ، وأسماء بنتُ عميس أختهنَّ لأُمهنَّ» .

حدَّثني أحمدُ قال حدَّثني يحيى قال حدَّثنا الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني عبد الرزاق قال أخبرني يحيى بنُ العلاء البجليُّ عن عمِّه شعيب بن خالد عن حنظلة بن سمره بن المسيب عن أبيه عن جدِّه عن ابن عباس قال : دخل النبي ﷺ على فاطمة وعليٍّ ، عليهما السلام - ليلةً بنى بها - فأبصر خيالاً من وراء السُّرِّ ؛ فقال : «من هذا ؟» فقالت : أسماء ؛ قال : «بنتُ عميس» ؟ قالت : نعم ، أنا التي أحرسُ بنتك يا رسول الله ؛ فإنَّ الفتاة ليلةً بنائها لا بدَّ لها من امرأة تكون قريباً منها ، إن عرَّضت لها حاجةً أفضت بذلك إليها ؛ فقال رسول الله ﷺ : «فإنِّي أسألُ إلهي أن يجرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك مِنَ الشيطان» .

[طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر]

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحمه الله رسولُ الله ﷺ وروى عنه .

[ما روى عن رسول الله]

فمِمَّا رَوَى عَنْهُ مَا حَدَّثَنِيهِ حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبِ بْنِ الْبَلْخِيِّ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَعْدِ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ الْبِطِيخَ بِالرُّطْبِ .

[رآه النبي يلعب فداعه]

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ شَيْبِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ يَحْيَى وَعِثْمَانُ بْنُ أَبِي سَلِيمَانَ قَالَا : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَهُوَ يَصْنَعُ شَيْئاً مِنْ طِينٍ مِنْ لُغَبِ الصَّبِيانِ فَقَالَ : «مَا تَصْنَعُ بِهَذَا» ؟ قَالَ : أَبِيْعَهُ ، قَالَ : «مَا تَصْنَعُ بِثَمْنِهِ» ؟ قَالَ : أَشْتَرِي بِهِ رُطْباً فَأَكُلُهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» . فَكَانَ يُقَالُ : مَا اشْتَرَى شَيْئاً قَطُّ إِلَّا رِبْحٌ فِيهِ .

[تعرّض له الحزبين بالعقيق وطلب منه ثياباً]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَالطُّوسِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مَصْعَبٌ عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ : أَنَّ الْحَزِينِ قُمَيْرٌ¹ فِي الْعَقِيقِ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ ثِيَابَهُ ، فَمَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ جَعْفَرٍ وَعَلَيْهِ مَقَطَّعَاتُ خَزٍّ ؛ فَاسْتَعَارَ الْحَزِينُ مِنْ رَجُلٍ ثَوْباً ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : [من المتقارب]

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَاجِهَتُهُ عَلَيْكَ السَّلَامُ أبا جَعْفَرٍ

فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ؛ فَقَالَ : [من المتقارب]

فَأَنْتَ الْمَهْدَبُ مِنْ غَالِبٍ وَفِي الْبَيْتِ مِنْهَا الَّذِي تُدْكِرُ

فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؛ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : [من المتقارب]

فَهَذَا ثِيَابِي قَدْ أَخْلَقْتُ وَقَدْ عَضَّنِي زَمَنٌ مِنْكَ

قَالَ : هَاكَ ثِيَابِي ، فَأَعْطَاهُ ثِيَابَهُ .

قَالَ الزُّبَيْرُ قَالَ عَمِّي : أَمَا الْبَيْتُ الثَّانِي فَحَدَّثَنِيهِ عَمِّي عَنْ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي ، وَمَا بَقِيَ فَأَنَا سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِي .

[تعرّض له أعرابي هو على سفر فأعطاه راحلة بما عليها]

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا وَقَفَ

1 قُمَيْرٌ : غَلَبَ فِي الْقَمَارِ .

علي مروان بن عبد الحكم أيامَ الموسم بالمدينة فسأله ، فقال : يا أعرابي ، ما عندنا ما نصلُّك ؛ ولكن عليك بابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثَقَلَهُ¹ قد سار نحوَ مكَّة ، وراحلته بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلقٌ ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيُّ يقول :

أبو جعفرٍ من أهل بيت نبوةٍ صلاتُهُم للمسلمين طهورٌ
أبا جعفر إن الحجيجَ ترحلوا وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرٌ
أبا جعفرِ ضمنَّ الأميرُ بماله وأنت علي ما في يديك أميرٌ
وأنت امرؤٌ من هاشمٍ في صميمها إليك يصيرُ المجدُّ حيث تصيرُ
فقال : يا أعرابيُّ ، سار الثَّقَلُ فدونك الراحلةُ بما عليها ، وإياك أن تُخدَعَ عن السيِّفِ
فإنِّي أخذته بألف دينار . فأنشأ الأعرابيُّ يقول :

حبايبيَ عبدُ الله ، نفسي فداؤهُ بأعيسَ مَوارٍ سياطٍ مَشافِرةٍ²
وأبيضَ من ماء الحديدِ كأنه شهابٌ بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهُ³
وكل امرئٍ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمنِ والبشرِ طائِرُهُ
فيا خيرَ خلقِ الله نفساً ووالداً وأكرمَه للجارِ حينَ يجاورُهُ
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكرٌ عَرُفاً كَمَن هو كافرُهُ
[ذكر له شاعرته كساه في المنام ، فكساه جبةً وشي]

وحدثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال : جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخَزْزُ دُرَاعَةً⁴
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستوتى بها الساعةُ
سيكسوكها الماجدُ الجعفريُّ ومَن كفه الدهرَ نفاعَةً
ومَن قال للجوْدِ لا تَعُدُّني فقال لك السمع والطاعةُ
فقال عبدُ الله لغلّامه : ادفع إليه دُرَاعَتِي الخَزْزُ ثم قال له : كيف لو ترى جبتي المنسوجة

1 الثَّقَلُ : المتاع والحشم .

2 أعيس : واحد العيس ، الموار : النسيط في سيره .

3 عسكر الليل : ظلمته .

4 الدُرَاعَةُ : جبة مشقوقة المقدّم .

بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار! فقال له الشاعر: بأبي دعني أغفءةً أخرى فلعلني أرى هذه الجبة في المنك، فضحك منه وقال: يا غلام ادفع إليه جبتي الوشي .
[اعترض ابن دأب على شعر الشماخ في مدحه بأنه دون شعره في عرابة]

حدثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دأب: وسمع قول الشماخ بن ضيرار الثعلبي في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله:

إنك يا ابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم ماوى طارقٍ إذا أتى
وجار ضيفٍ طرق الحيِّ سرى صادفَ زاداً وحديشاً يُشْتَهَى
إنَّ الحديثَ طَرَفٌ من القري

فقال ابن دأب: العجب للشماخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقاها عرابةٌ باليمين
عبد الله بن جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة .

[جوده على أهل المدينة]

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بن الحسن يقول: كان أهل المدينة يدأنون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر .
[جوده على رجل جلب إلى المدينة سكرًا كسد عليه]

أخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال: حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد بن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال: جلب رجل إلى المدينة سكرًا فكسده عليه فقيل له: لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن، فأتى ابن جعفر فأخبره، فأمره بإحضاره وبسط له، ثم أمر به فنيث، فقال: للناس انتهبوا، فلما رأى الناس ينتهبون قال: جعلت فداك! آخذ معهم؟ قال: نعم، فجعل الرجل يهيل في غرائره، ثم قال لعبد الله: أعطني الثمن فقال: وكم ثمن سكرك؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها .

أخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي، وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أبو محمد الباهلي حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه، قال: فقال الرجل: ما يدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى! لأطلبته بالثمن ثانية، فغدا عليه فقال: ثمن سكرى، فأطرق عبد الله ملياً ثم قال: يا غلام، أعطه أربعة آلاف درهم؛ فأعطاه إياها، فقال الرجل: قد قلت لكم: إن هذا الرجل لا يعقل: أخذ أم أعطى! لأطلبته بالثمن. فغدا عليه فقال: أصلحك الله! ثمن سكرى، فأطرق عبد الله ملياً، ثم رفع رأسه إلى رجل، فقال: ادفع

إليه أربعة آلاف درهم . فلما وُلِّيَ ليقبضها قال له ابن جعفر : يا أعرابي ، هذه تمام اثني عشر ألفَ درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

[باعه رجل جملاً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه]

وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن دَمَاز عن أبي عبيدة : أن أعرابياً باع راحلةً من عبد الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقترضى ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه :

[من البسيط]

لا خير في المُجْتَدَى في الحينِ تسألُهُ فاستمطروا من قريش خيرٍ مُخْتَدِعٍ¹
تخال فيه إذا حاورته بلهاً من جوده وهو وافي العقل والورع

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرقيّات .

[وفاته عام الجحاف]

أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدّثنا الزبيرُ قال حدّثني مصعبُ بنُ عثمان قال : لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر ، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول : اللهم إنك عودتني عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبضني إليك ، فتوفّي في الجمعة الأخرى . قال يحيى : توفّي عبد الله وهو ابن سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عامُ الجحاف لسيلٍ كان بمكة جحَفَ الحاجُّ فذهب بالإبل عليها الحُمولةُ ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبان بنُ عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو الذي صلّى عليه .

[وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه]

حدّثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدّثنا الحسينُ بن محمد قال أخبرني محمد بنُ مُكْرَمٍ قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال أخبرني الأصمعيُّ عن الجعفريِّ قال : لما مات عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلُّهم ، وإنما كان عبد الله بن جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء ، فما تنظر إلى ذي حِجَابٍ إلّا رأيتهُ مُستَعْبِراً قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال : رحمك الله يا ابن جعفر ؛ إن كنت لِرَحْمِكَ لواصلاً ، ولأهل الشرِّ لمبغضاً ، ولأهل الرّية لقالياً ، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى :

[من الطويل]

رعيّت الذي كان بيني وبينكم من السوءِ حتّى غيبتك المقابرُ

1 المجتدي : الذي تطلب جدواه أي عطيته .

فرِحِمَكَ اللهُ ؛ يومَ وُلِدْتَ ويومَ كُنْتَ رجلاً ويومَ مِتَّ ويومَ تُبْعَثُ حَيًّا ؛ واللهُ لئنَ كانت هاشمٌ أُصِيبَتْ بِكَ لَقدَ عمَّ قريشاً كُلَّهَا هُلُكُكَ ، فما أَظنُّ أنَ يُرى بِعدِكَ مثلكَ .
[ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه]

فقام عمرو بنُ سعيد بنِ العاصِ الأَشَدُّ فقال : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الَّذي يرثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، ما كانَ أَحلى العيشِ بِكَ يا ابنَ جعفرِ ! وما أَسْمَحَ ما أُصْبَحَ بِعدِكَ ! واللهُ لو كانتَ عيني دامعةً على أَحَدٍ لدمعتُ عليك ، كانَ اللهُ حَدِيثُكَ غيرَ مشوبٍ بِكَذِبٍ ، ووَدُّكَ غيرَ ممزوجٍ بِكُدرٍ .

[نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمه وأسكنه]

فوثب ابنُ للمغيرة بنِ نوفلٍ ، ولم يُثبِتِ الأَصمعيُّ اسمه ، فقال : يا عَمْرُو ، بِمنَ تعرَّضَ بِمِزجِ الوَدِّ وشَوِّبِ الحَدِيثِ ؟ أَفبِأَبْنِي فاطمةَ ؟ فهما واللهُ خَيْرٌ مِنكَ ومنه ، فقال : على رِسْلِكَ يا لُكع¹ ! أردتُ أنَ أدخِلَكَ معهم ؟ هيهاتَ لستَ هُنَاكَ ، واللهُ لو مِتَّ أَنْتَ وماتَ أبوكَ ما مُدِحَتْ ولا ذُمَّتْ ، فتكلَّم بما شئتَ فلنَ تجدَ لكَ مجيباً .
[شعر ابن قيس الرقيات في علته التي مات فيها]

فما هو إِلاَّ أنَ سمعَهما الناسُ يتكلَّمانَ حتى حجزوا بينهما وانصرفوا . قال يحيى : وقال عبدُ اللهِ بنِ قيسِ الرُّقِيَّاتِ في علةِ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ التي ماتَ فيها : [من الخفيف]

باتَ قلبي تَشْفُهُ الأوجاعُ	من همومِ تُجِنُّها الأَضلاعُ ²
من حديثِ سمعته مَنَعَ النُو	مَ فقلبي مَّا سمعتُ يُراعُ
إذ أتانا بِما كَرِهنا أبو اللُّسَدُ	لاس ، كانتَ بنفسه الأوجاعُ
قال ما قال ثم راح سريعاً	أدركتُ نفسَه المنايا السُّراعُ
قال يشكو الصُّداعُ وهو ثقيلٌ	بك لا بالذي عَنَيْتَ الصُّداعُ
ابنَ أسماءَ لا أبا لكَ تنعى	أنَّه غيرُ هالكٍ نفاعُ
هاشمياً بكفه من سِجالِ الـ	مجدِ سَجَلٍ يهونُ فيه القُباعُ ³
نشر الناسُ كلَّ ذلكَ منه	شيمةَ المجدِ ليس فيه خِداغُ

1 اللكع : اللثيم والأحمق .

2 شفه الحزن : لذعه وأحرقه . أجنه : ستره .

3 السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : يكيال ضخمة واسع .

لم أجِدْ بعدك الأَخْلَاءَ إِلَّا كَثِمَادٍ بِهِ قَدَىٰ أَوْ نِقَاعٌ¹
 بَيْتُهُ مِنْ بِيوتِ عَبدِ مَنْفِيٍّ مَدَّ أَطْنَابُهُ الْمَكَانَ الْيَفَاعُ²
 مَنتهى الحَمْدِ والنَّبوةِ والمَجْدِ إِذَا قَصَرَ اللَّثَامُ الْوِضَاعُ³
 فَسْتَأْتِيكَ مِدْحَةٌ مِنْ كَرِيمٍ نَالَهُ مِنْ نَدَى سِجَالِكَ بَاعُ

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيس في عبد الله بن جعفر بيتان يغنى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

قَد أَنَا بِمَا كَرِهْنَا أَبُو اللَّسِّ سَلَّاسٌ كَانَتْ بِنَفْسِهِ الْأَوْجَاعُ
 قَالَ يَشْكُو الصَّدَاعَ وَهُوَ ثَقِيلٌ بِكَ لَا بِالذِّي ذَكَرْتَ الصُّدَاعُ

غَنَّا عَمْرُو بْنُ بَانَةَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، الْأَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ . وَيُقَالُ إِنَّ
 عَمْرُو بْنَ بَانَةَ صَاغَ هَذَا اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرِ وَغَنَى بِهِ الْوَاتِقَ بِعَقَبِ عِلَّةٍ نَالَتْهُ وَصُدَاعُ
 تَشْكَاةٍ ؛ قَالَ : فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَأُمُّ مَعَاوِيَةَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ
 أُمُّ وُلْدٍ . وَكَانَ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وُلْدِ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

[بشروه وهو عند معاوية بولد فسماه باسمه]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخُرَّازِيُّ عَنِ أَبِي عَبْدِ
 الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ : أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وُلِدَ وَأَبُوهُ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، فَأَتَاهُ الْبَشِيرُ
 بِذَلِكَ وَعَرَفَ مَعَاوِيَةَ الْخَبَرَ فَقَالَ : سَمِعَهُ مَعَاوِيَةَ وَلَكَ مِائَةٌ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَفَعَلَ فَأَعْطَاهُ الْمَالَ ،
 وَأَعْطَاهُ عَبْدُ اللَّهِ لِلَّذِي بَشَّرَهُ بِهِ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ لَا يُؤَدِّبُ وَلَدَهُ ، وَيَقُولُ :
 إِنْ يُرِدِ اللَّهُ جَلًّا وَعِزًّا بِهِمْ خَيْرًا يَتَأَدَّبُوا ، فَلَمْ يَنْجِبْ فِيهِمْ غَيْرَ مَعَاوِيَةَ .

[خير ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ حَدَّثَنَا
 حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ هَارُونُ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ خَالِدِ بْنِ الزَّبِيرِ بْنِ
 الْعَوَّامِ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَكَمِ السَّعِيدِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ عَنبَسَةَ قَالُوا :
 كَانَ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَدْ عَوَّدَ ابْنَ هَرْمَةَ الْبَرِّ ، فَجَاءَهُ يَوْمًا وَقَدْ ضَاقت يَدُهُ وَأَخَذَ
 خَمْسِينَ دِينَارًا بَدِينٍ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ مَعَ جَارِيَتِهِ رَقْعَةً فِيهَا مَدِيحٌ لَهُ يَسْأَلُهُ فِيهِ أَيْضًا بَرًّا ، فَقَالَ لِلجَارِيَةِ :

1 الثماد : الماء القليل لا ماء له . النقاغ : جمع نقع وهو الغبار .

2 اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

3 الوضاع : جمع وضيع .

قولي له : أيدينا ضيقة ، وما عندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفة ، فرجعت جاريته بذلك ، فأخذ الرقعة فكتب فيها :

فإني ومدحك غير المصيب ب كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة مع الجارية ، فدفعتها إلى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علم بها أحد ؟ قالت : لا والله إنما دفعها من يده إلى يدي ؛ قال : فخذني هذه الدنانير فادفعها إليه ، فخرجت بها إليه ، فقال : كلاً ، أليس زعم أنه لا يدفع إلي شيئاً ؟

[كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمي ابنه باسمه]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالاً حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال : سمى عبد الله بن جعفر ابنه بمعاوية بن أبي سفيان . قال : وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة ، فسمي ابنه بيزيد بن معاوية .

[وصيته لابنه معاوية عند وفاته]

قال الزبير : وحدثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد : أن عبد الله بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شنفاً¹ كان في أذنه وأوصى إليه ، وفي ولده من هو أسن منه ، وقال له : إني لم أزل أؤمك لها . فلما توفي احتال بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقسم أموال أبيه بين ولده ، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . ويقال : بنت عياش بن ربيعة . وقد روى عباس عن النبي ﷺ وكان معه يوم حنين ، وهو أحد من ثبت معه يومئذ .

[بعض صفات عبد الله بن معاوية]

وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجودائهم وشعرائهم ، ولم يكن محمود المذهب في دينه ، وكان يرمي بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

[مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر]

ويكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية ، وله يقول ابن هرمة :

[من الخفيف]

1 الشنف : الذي يلبس في أعلى الأذن .

أَحْبُ مَدْحاً أَبَا مَعَاوِيَةَ الْمَا جَدَا تَلَقَّه حَصُوراً عَيْباً¹
 بَلْ كَرِيماً يَرْتَاحُ لِلْمَجْدِ بَسّاً مَا إِذَا هَزَّ السُّؤَالَ حَيّاً
 إِنَّ لِي عِنْدَهُ وَإِنْ رَغِمَ الْأَعْدَاءُ دَاءٌ حِظّاً مِنْ نَفْسِهِ وَقَفِيّاً
 قَفِيّاً: أثره ، يقول : إن لي عنده لأثره على غيري ، وقال قوم آخرون : القفي : الكرامة .

إِنْ أُمَّتْ تَبَقَ مِدْحَتِي وَإِحَائِي وَثَنَائِي مِنَ الْحَيَاةِ مَلِيّاً
 يَأْخُذُ السَّبِقَ بِالتَّقَدُّمِ فِي الْجَرِّ ي إِذَا مَا النَّدَى اتْتَحَاهُ عَلِيّاً
 ذُو وِفَاءٍ عِنْدَ الْعِدَاتِ وَأَوْصَا ه أَبَوْهُ أَلَّا يَزَالَ وَفِيّاً
 فَرَعَى عَقْدَةَ الْوَصَاةِ فَأَكْرَمَ بِهِمَا مُوصِيّاً وَهَذَا وَصِيّاً
 يَا بِنَ اسْمَاءَ فَاسْقِي ذُلُوبِي فَقْدَاؤُ رَدْتُهَا مِنْهَا لَأُشْحُ رَوِيّاً
 يعني أمه أسماء ، وهي أمّ عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وأوّل
 هذه القصيدة :

عَاتِبِ النَّفْسَ وَالْفُؤَادَ الْغَوِيّاً فِي طِلَابِ الصَّبَا فَلَسْتَ صَبِيّاً
 قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فِيمَا أَجَازَهُ لَنَا : أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ وَأَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ عَنْ هَارُونَ بْنِ
 مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَا : مَدَحَ ابْنَ هَرْمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ
 أَبِي طَالِبٍ فَأَتَاهُ ، فَوَجَدَ النَّاسَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ عَلَى بَابِهِ . قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ : وَرَأَيْتُ بَعْضَ خَدَمِهِ
 فَعَرَفَنِي ، فَسَأَلْتَهُ عَنِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ بِبَابِهِ فَقَالَ : عَامَّتُهُمْ غُرْمَاءُ لَهُ ، فَقُلْتُ : ذَاكَ شَرٌّ . وَاسْتَوْذِنَ
 لِي عَلَيْهِ فَقُلْتُ : لَمْ أَعْلَمْ وَاللَّهِ بِهَوْلَاءِ الْغُرْمَاءِ بِبَابِكَ ، قَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْشِدْنِي . قُلْتُ : أَعِيدُكَ
 بِاللَّهِ . وَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَنْشِدَ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ أَنْشِدَهُ قَصِيدَتِي الَّتِي أَقُولُ فِيهَا : [من الطويل]

حَلَلْتُ مَحَلَّ الْقَلْبِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَعُشْتُكَ مَاوَى بِيضِهَا الْمُتَقَلِّقِ
 وَلَمْ تَكْ بِالْمُعْزَى إِلَيْهَا نِصَابُهُ لِصَاقاً وَلَا ذَا الْمَرْكَبِ الْمُتَعَلِّقِ
 فَمَنْ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ مِثْلُ جَعْفَرٍ وَمِثْلُ أَبِيكَ الْأَرِيحِيِّ الْمُرْهَقِ²
 فَقَالَ : مَنْ هَاهُنَا مِنَ الْغُرْمَاءِ ؟ فَقِيلَ : فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، فَدَعَا بَاتَيْنِ مِنْهُمُ فَسَارَهُمَا
 وَخَرَجَا ، وَقَالَ لِي : اتَّبِعْهُمَا . قَالَ : فَأَعْطِيَانِي مَا لَأَكْثِرَ . قَالَ يَحْيَى : وَمَنْ مَخْتَارٌ مَدَحَهُ
 فِيهِ مِنْهَا قَوْلُهُ :

فَالِإِ تَوَاتِ الْيَوْمَ سَلْمَى فَرِيماً شَرِينَا بِحَوْضِ اللَّهْوِ غَيْرِ الْمُرْتَقِ

1 الحصور : المسك البخيل الضيق ، والضيق الصدر .

2 المرهق : الكريم الجواد الذي يغشاه الناس .

فدعها فقد أعذرتَ في ذكر وصلها
ولكن لعبد الله فانطق بمدحة
أخ قلت للأذنين لما مدحته
شديدُ التآني في الأمورِ مجرب
ترى الخير يجري في أسرة وجهه
كريم إذا ما شاء عدَّ له أبا
وأماً لها فضلٌ على كلِّ حرّة

ومَّا يَغْنَى فِيهِ مِنْ قَصِيدَةِ ابْنِ هَرْمَةَ الْيَائِيَّةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا ابْنَ مَعَاوِيَةَ قَوْلُهُ : [مِنَ الْخَفِيفِ]

صوت

عَجِبْتُ جَارَتِي لِشَيْبِ عَلَانِي عَمْرُكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتِ بَدِيًّا⁴
إِنَّمَا يُعْذِرُ الْوَلِيدَ وَلَا يُعْ سَدَرَ مَنْ عَاشَ فِي الزَّمَانِ عَتِيًّا

غَنَى فِيهِمَا قُلَيْحٌ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرُو بْنِ بَانَةَ وَمِنْ رِوَايَةِ حَبِشٍ فِيهِمَا لِابْنِ مَحْرِزٍ
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ .

[خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية]

حدَّثْنَا بِالسَّبَبِ فِي خُرُوجِهِ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ عَنْ
أَبِيهِ وَعَمِّهِ عَيْسَى ، قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ وَأَخْبَرْنَا أَيْضًا بَعْضُ خَبْرِهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَنْ مَصْعَبِ
الزَّيْرِيِّ ، قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنِ أَبِي الْيَقْطَانِ
وَشِهَابِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمَا ، قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ وَحَدَّثَنِي بِهِ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ .
قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ : وَنَسَخْتُ أَنَا أَيْضًا بَعْضَ خَبْرِهِ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْزَةَ عَنْ
الْمَدَائِنِيِّ وَغَيْرِهِ فَجَمَعْتُ مَعَانِي مَا ذَكَرُوهُ فِي ذَلِكَ كِرَاهَةً لِإِطَالَةِ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعَاوِيَةَ قَدِيمُ
الْكُوفَةِ زَائِرًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمُسْتَمِيعًا لَهُ ، فَتَزَوَّجَ بِالْكُوفَةِ بِنْتَ الشَّرْقِيِّ بْنِ
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ شَبَّثِ بْنِ رَبِيعِ الرِّيَاحِيِّ ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْعَصْبِيَّةُ أَخْرَجَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى بَنِي
أُمَيَّةَ ، وَقَالُوا لَهُ : أَخْرِجْ فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِكَ ، وَاجْتَمَعَتْ لَهُ جَمَاعَةٌ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَرَ إِلَّا وَقَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ فِي خَبْرِهِ : إِنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ

1 أعذر : بلغ الغاية في العذر ، والشأو : الغاية .

2 طبق الشيء : عم .

3 يخلق : يقدّر .

4 البدي : البديء وهو العجيب .

الوليد ، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ وليس الصوف وأظهر سيمى الخير ، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة ، ولم يبايعه كلُّهم وقالوا : ما فينا بَقِيَّةٌ ، قد قُتِلَ جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصدِ فارس وبلادِ المشرق فقَبِلَ ذلك ، وجمع جموعاً من النواحي ، وخرج معه عبد الله بن العباس التميمي . قال محمد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة : إن ابن معاوية قَبَلَ قَصْدِهِ المشرقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقصِ يقال له عبدُ الله بن عمر ، فخرج إلى ظهر الكوفة ، ممَّا يلي الحَرَّةَ ، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً . قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفص ، وأخبرني به ابن عمَّار عن أحمد بن الحارث عن المدائني : أن ابن عمر هذا دسَّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية من وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته ، فبلغ ذلك ابن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم ، فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناسُ معه فلم يبقَ غير ابن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تفرقتِ الظباءُ على خِداشٍ فما يدري خِداش ما يصيدُ

ثم ولَّى وجهه منهزماً فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه ، حتى صار في عدَّة ، فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهَمْدان وقُمَّ والرَّيِّ وقُومَسَ وأصبهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بني يَشْكُرَ ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ؛ فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتهم وكرهتهم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرز بن جعفر : أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، قال : واستعمل أخاه الحسن على إصطخْرَ ، وأخاه يزيدَ على شيرازَ ، وأخاه علياً على كَرْمانَ ، وأخاه صالحاً على قُمَّ ونواحيها ، وقصدتهُ بنو هاشم جميعاً منهم السفَّاح والمنصور وعيسى بن علي . وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب : وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم ، فممنَّ قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سُهَيْل بن عبد العزيز بن مروان ، فمنَّ أراد منهم عملاً قلده ، ومنَّ أراد منهم صيلة وصله .

[وجه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربه بقيادة ابن ضبارة]

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار ، فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج إليه ، فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصدين لخراسان ، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ، فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التَّناء¹ ذي مروءة ونعمة وجاه ، فسأله معونته ، فقال له : مَنْ أَنْتَ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أَنْتَ إِبراهيمُ الإِمامُ الَّذِي يُدعى لَهُ بِخِراسان ؟ قال : لا ، قال فلا حاجة لي في نصرتك .

[التجأ إلى أبي مسلم فحجسه]

فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته ، فأخذ أبو مسلم وحجسه عنده ، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس في الأرض أحقُّ منكم يا أهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام ، فقالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . حتى قال لهم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[كاتبه إلى أبي مسلم وهو في حجسه]

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها : «إلى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أمّا بعد ، فإنك مستودع ودائع ، ومولي صنائع ؛ وإن الودائع مرعية ، وإن الصنائع عارية ؛ فاذا ذكر القصاص ، واطلب الخلاص ؛ ونبه للفكر قلبك ، واتق الله ربك ؛ وأثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ؛ فإنك لاقٍ ما أسلفت ، وغير لاقٍ ما خلفت ؛ وفقك الله لما ينجيك ، وآتاك شكر ما يُبليك»² .

[قتله أبو مسلم ووجه برأسه إلى ابن ضبارة]

قال : فلما قرأ كتابه رمى به . ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدييره في قتله . وقال آخرون : بل دس إليه سمّاً فمات منه ، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحملة إلى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العتكي قال : حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أن عبد العزيز بن عمران حدثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة أنه حضر مروان يوم الزاب وهو

1 التَّناء : جمع تانيء ، وهو الدهقان ؛ زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الإقليم .

2 الإبلاء هنا : الإلزام والإحسان .

يقاتل عبد الله بن عليّ ، فسأل عنه ف قيل له : هو الشابُّ المصْفَرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، ﴿وكان أمرُ الله قَدْرًا مقدورًا﴾ .

[كانت الزنادقة من خاصته]

حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمّه قال : كان عمارةُ بن حمزة يُرمى بالزندقة ، فاستكتبه ابنُ معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بن إياس ، وكان زنديقاً مأبوناً ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقيّ وإنما سميّ بذلك لأنّه كان يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه . فكان هؤلاء الثلاثة خاصته ، وكان له صاحبُ شُرطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهرياً¹ لا يؤمن بالله معروفاً بذلك ، فكان يُعسُّ بالليل فلا يلقاه أحدٌ إلّا قتله ، فدخل يوماً على ابن معاوية فلما رآه قال :

إِنَّ قَيْسًا وَإِنْ تَقَنَّعَ شَيْبًا لَخَبِيثُ الْهَوَى عَلَى شَمْطِهِ²
ابنُ تَسْعِينَ مَنْظَرًا وَمَشِيبًا وَابْنُ عَشْرِ يُعَدُّ فِي سَقَطِهِ

وأقبل على مطيع فقال : أجزأت ، فقال :

وله شُرطَةٌ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ لَفَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ شُرطِهِ

[قسوته]

قال ابن عمّار : أخبرني أحمد بن الحارث الخرزّ عن المدائنيّ عن أبي اليقظان وشباب بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمّار وحدَّثني به سليمان بن أبي شيخ عمّن ذكره : أن ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط ، وآته فعل ذلك برجل ، فجعل يستغيثُ فلا يلتفت إليه ، فناداه : يا زنديقُ ، أنت الذي تزعم أنه يُوحى إليك ! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمّه عيسى قال : كان ابن معاوية أقسى خلقي الله قلباً ، فغضب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل ، ففعل ذلك به فتعلّق بدرانيزين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها ، فقطعت ومرّ الغلامُ يهوي حتى بلغ إلى الأرض فمات .

1 رجل دهرى : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .

2 الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

[بعض شعره]

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]
 أَلَا تَزَعُ الْقَلْبَ عَنْ جِهَلِهِ وَعَمَّا تُؤْتَبُ مِنْ أَجَلِهِ !
 فَأُبَدِّلُ بَعْدَ الصَّبَا حِلْمَهُ وَأَقْصَرَ ذُو الْعَدْلِ عَنْ عَدْلِهِ
 فَلَا تَرْكِبَنَّ الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مِثْلِهِ
 وَلَا يَعْجِبَنَّكَ قَوْلُ امْرِئٍ يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فِعْلِهِ
 وَلَا تَتَّبِعِ الطَّرْفَ مَا لَا تَنَالُ وَلَكِنْ سَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ
 فَكَمْ مِنْ مُقِلٍّ يَنَالُ الْغِنَى وَيَحْمَدُ فِي رِزْقِهِ كُلَّهُ

أنشدنا هذا الشعر له ابن عمار عن أحمد بن خيثمة عن يحيى بن معين . وذكر محمد بن عليّ العلوي عن أحمد بن أبي خيثمة أن يحيى بن معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية : [من الطويل]
 إِذَا افْتَقَرْتُ نَفْسِي قَصَّرْتُ افْتِقَارَهَا عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْهَرْ لَهَا أَبَدًا فَقْرِي
 وَإِنْ تَلَقَّنِي فِي الدَّهْرِ مَدْوَحَةُ الْغِنَى يَكُنْ لِأَخْلَائِي التَّوَسُّعُ فِي الْيَسْرِ¹
 فَلَا الْعَسْرُ يُزِيرِي بِي إِذَا هُوَ نَالَنِي وَلَا الْيَسْرُ يَوْمًا إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ فَخْرِي
 وهذا الشعر الذي غنى به ، أعني قوله :

وعين الرضا عن كل عيب كليله

يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .
 [شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال : كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بن معاوية يُرميان بالزندقة . فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية :

وإنّ حسيناً كان شيئاً ملففاً فمحصه التكشيفُ حتى بدا لي
 وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساوي

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
وله في الحسين أشعاراً كلها معاتبات ، فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة .
قال : أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية ؛ يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن
العبّاس بن عبد المطلّب :

قل لذي الودّ والصفاء حسينٍ
ليس للذباغ المقرّظ بُدٌّ¹
أقدر الودّ بيننا قدره
من عتاب الأديم ذي البثرة²
قال وقال له أيضاً :

إن ابن عمك وابن أم
يقصّ العدو وليس ير
لا تحسبن أذى ابن عمّ
بل كالشجا تحت اللها
[فانظر لنفسك من يجي
مَن لا يزال يسوءه
ك مُعلم شاكي السلاح³
ضى حين يبطش بالجنّاح⁴
ك شرب ألبان اللقاح⁵
ة إذا يسوغ بالقراح⁶
بك تحت أطراف الرماح⁷
بالغيب أن يلحاك لاجي⁸

[خبره مع جدّه عبد الحميد بن عبيد الله]

أخبرني الحرّميّ والطوسيّ قالوا حدّثنا الزبير وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنا
يحيى بن الحسن قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن يحيى : أنّ عبد الله بن معاوية مرّ بجدّه
عبد الحميد في مزرعته بصرام وقد عطش فاستسقاها ، فخاض⁷ له سويق لوز فسقاها إيّاه ، فقال
عبد الله بن معاوية :

شربت طبرزداً بغريض مزن
كذوب الثلج خالطه الرضاب⁸
قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كل شيء : ماؤه . فقال عبد الحميد بن

1 قرظ الأديم : دبعه بالقرظ . ضمن البيت المثل «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة» والمعاتبة هنا : المعاودة .

2 أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان .

3 وقصه : كسره ودقه .

4 اللقاح : جمع لقحة ، وهو الناقة الحلوب .

5 الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .

6 لحاه : لأمه .

7 خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير .

8 الطبرزد : السكر . والغريض : ماء المطر .

عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله :
 ما إن ماوئنا بغريض مُزن
 ولكنّ المِلاح بكم عذابُ
 وما إن بالطبرزد طاب لكن
 بمسك لا به طاب الشرابُ
 وأنتَ إذا وطئت تراب أرضٍ
 يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ
 لأنّ نذاك يُطفي المحل عنها
 وتُحييها أيديك الرطابُ

[تغنى إبراهيم الموصلي في شعره]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم الموصلي قال : بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزال إذ قال صاحب الستارة لابن جامع : تغنى في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، قال : ولم يكن ابن جامع يغني في شيء منه ، وطلبت لما أراد من شعره ، وكنت قد تقدمت فيه ، فأرتج على ابن جامع ، فلما رأيت ما حلّ به اندفعت فغنت :

[من المتقارب]

صوت

يهيمُ بجُملي وما إن يرى له من سبيل إلى جُملي
 كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله
 فمنهم من الحب أودى به ومنهم من اشفى على قلبه

فإذا يد قد رفعت الستارة ، فنظر إليّ وقال : أحسنت والله ؛ أعد ، فأعدته فقال : أحسنت ! حتى فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه ، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه ، فمرّ الغلامُ يسعي فإذا بذرة دنانير قد جاءت يحملها فرّاش ، فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي : اجعلها تُكأتك ، قال : فلما انصرفنا قال لي ابن جامع : هل كنت وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت ؟ فقلت : ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلما كان المجلس الثاني وحضرناه قال صاحب الستارة : يا ابن جامع ، تغنى في شعر عبد الله بن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس ، قال إبراهيم : فلما رأيت ما حلّ به اندفعت فغنت :

[من مجزوء الكامل]

صوت

يا قوم كيف سواغ عيب
 شئ ليس تؤمن فاجعته

ليست تزالُ مطَّلَّةٌ تغدو عليك منغصَّاتُهُ
الموت هولٌ داخلٌ يوماً على كرهه أناةُ
لا بدّ للحديرِ النفو رٍ من أن تقنَّصه رُماتُهُ
قد أُمِنَح الودَّ الخليه لَ بغير ما شيء رزاته¹
وله أقيمُ قنَاةً ودَّ ي ما استقامت لي قناتُهُ

قال : فأوماً إليّ صاحب الستارة أن أمسك ، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إلى أنه يبكي ، قال : فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع : ما صبَّ أمير المؤمنين على ابن جعفر ؟ قلتُ : صبه الله عليه لبدرة الدنانير التي أخذتها . قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلما اطمأن بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفي : اللهم أنسه ذكر ابن جعفر ، قال فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحب الستارة : يا ابن جامع تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه² ولم يُقبل على الشعر ، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أغني في شعره :

[من المتقارب]

صوت

سلا ربّة الخدير ما شأنها ومن أيّما شأننا تعجبُ
فلستُ بأول من فاته على إربه بعض ما يطلبُ³
وكائن تعرّض من خاطب فزوّج غير التي يخطبُ
وأنكحها بعده غيره وكانت له قبله تُحجّبُ
وكنا حديثاً صفيين لا نخاف الوشاة وما سببوا
فإن شطّ الدار عنا بها فبانت وفي الناس مُستعتب⁴
وأصبح صدغ الذي بيننا كصدع الزجاجة ما يُشعب⁵

1 أصله رزاته .

2 يريد جدّه جعفر بن أبي طالب .

3 الإرب : العقل والدهاء .

4 وفي الناس : في ل : وفي القلب .

5 يشعب : يصلح .

وكالدَّرِّ ليست له رجعة إلى الضَّرْعِ من بعدما يُحَلَبُ

غنى في البيتين الأولين إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل الأول بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رمل غير منسوب . قال : فقال لي صاحب الستارة : أعد فأعدته ، فأحسب أمير المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسف البال ، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس ، وجاءوني ببدره دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً ، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه ، فلما انصرفنا قال : اللهم أرحنا من ابن جعفر هذا ، فما أشد بغضي له ، لقد بغض إلي جدّه ، فقلت : ويحك ؛ تدري ما تقول ! قال : فمن يدري ما يقول ؟ إذا لوددت أني لم أر إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة ، وأنّي تصدقت بها ، يعني البدره .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

[شمتت به امرأته حين تزوج امرأة أخرى]

أخبرني الطوسي والحرمي قالوا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال : خطب عبد الله بن معاوية ربيعة بنت محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بكار بن عبد الملك بن مروان ، فتزوجت بكاراً ، فشمتت بعبد الله امرأته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين ، فقال في ذلك :

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجب

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له : والله ما شمت ولكنني نفست¹ عليك ، فقال لها : لا جرّم ؛ والله لا سؤتك أبداً ما حييت : [من الكامل]

صوت

طاف الخيال من أم شيبه فاعترى والقوم من سنة نشاوى بالكري²

طافت بخصوص كالقسي وفتية هجعوا قليلاً بعد ما ملوا السرى³

الشعر لأبي وجزة السعدي ، والغناء لإسحاق ، ثقيل أول بالنصر .

1 نفس عليه بخير : حسده .

2 نشاوى : جمع نشوان .

3 الخصوص : جمع أخوص وهو الغائر العينين .

[222] - أخبار أبي وجزة¹ ونسبه

[نسبه]

اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النساين أن اسمه يزيد بن أبي عبيد ، وأنه كان له أخ يقال له عبيد ، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم . [سليمان دخل مع أبيه في بني سعد]

وأصله من سليم من بني ضبيس بن هلال بن قدام بن ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم ؛ ولكنه لحق أباه وهو صبي سياء في الجاهلية ، فبيع بسوق ذي المجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد ، واستعبده ، فلما كبر استعدي عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته ، فقال له : إنه لا سياء على عربي ، وهذا الرجل قد امتن عليك فإن شئت فأقم عنده ، وإن شئت فالجح بقومك ، فأقام في بني سعد وانتسب إليهم هو وولده .

[كان بنو سعد أظار رسول الله ﷺ]

وبنو سعد أظار² رسول الله ﷺ ، كان مسترضعاً فيهم عند امرأة يقال لها حليمة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يقع ، ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة ، وجاءته حليمة بعد الهجرة ، فأكرمها وبرّها ووسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن ، وحقيق بكل مكرمة وفخر من اتصل منه رسول الله ﷺ بأدنى سبب أو وسيلة .

[أثر أبوه الانتساب إلى بني سعد]

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي عن يونس . وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني به عمي عن الكرائي عن الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيد أبو أبي وجزة السعدي عبداً بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عمير بن ملان بن ناصرة بن فضية بن نصر بن سعد بن بكر بن

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء : 2 : 702-703 والتاريخ الكبير للبخاري 348/214 ، والتهديب 12 :

349 ، والخزانة 2 : 147-150 .

2 أظار : جمع ظر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

هوازن ، فأقام عنده زماناً يرعى إبله ، ثم إنَّ عبيداً ضرب ضرعَ ناقةٍ لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيداً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعداً فلما قديم عليه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجلٌ من بني سليمٍ ، ثم من بني ظفر أصابني سياء في الجاهلية كما يصيب العرب بعضُها من بعض ، وأنا معروفُ النسب ، وقد كان رجلٌ من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليَّ وضرب وجهي ، وقد بلغني أنه لا سياء في الإسلام ، ولا رِقَّ على عربيٍّ في الإسلام . فما فرغَ من كلامه حتى أتى مولاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على أثره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامٌ ابتعتهُ بذي المجاز ، وقد كان يقومُ في مالي ، فأساء فضربته ضربةً والله ما أعلمني ضربته غيرها قط ، وإنَّ الرجل ليضرب ابنه أشدَّ منها فكيف بعده ، وأنا أشهدك أنه حرٌّ لوجه الله تعالى ، فقال عمر لعبيد : قد امتنَّ عليك هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البينة ، فإن أحببت فأقم معه ، فله عليك مئة ، وإن أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعديِّ وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن ، وتزوج زينب بنتَ عُرْفُطَةَ المُرَيْبِيَّةِ ، فولدت له أباً وجزةً وأخاه ، وقال يعقوب : «وأخاه عبيداً» وذكر أنَّ أباهما كان يقال له أبو عبيد ، ووافق من ذكرتُ روايته في سائر الخبر ، فلما بلغ ابنه طالباً بأن يلحق بأصله وينتمي إلى قومه من بني سليم ، فقال : لا أفعلُ ولا ألحقُ بهم فيعيروني كلَّ يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يُكرمونني ويشرفوني ، فوالله لئن ذهبتُ إلى بني ظفرٍ لا أرى طمَّةً ، ولا أريد جمَّةً ، إلا قالوا لي : يا عبد بن سعدٍ قال : وطمَّةٌ : جبل لهم . فقال أبو وجزة في ذلك :

أُنمى فأعقلُ في ضَبِيسٍ مَعْقِلًا ضُخماً مَنابِهُ تَمِيمَ الهادي¹
والعقدُ في مَلانٍ غيرِ مُزَلِّجٍ بقوى متيناتِ الجبالِ شِدادٍ²

[كان من التابعين وروى عن جماعة من الصحابة]

وكان أبو وجزة من التابعين ، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ولم يسند إليه حديثاً ؛ ولكنه حدث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء ، ونقل عنه جماعة من الرواة .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ وعميُّ قالا حدثنا عبد الله بن شبيبٍ قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شيبَةَ قال : سمعتُ أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسول الله ﷺ : «ليس شعرُ حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رُوَاحَةَ شعراً ، ولكنه حكمة» .

1 أعقل : لجأ إلى معقل ، والهادي : العنق ، والتميم : التام والشديد .

2 المزَّج : كل ما لم يتالف فيه ولم تحكمه .

فَأَمَّا خَيْرُ الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ أخبرنا به قال حَدَّثنا محمد بنُ القاسم قال حَدَّثني عبدُ الله بن عمرو عن عليِّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمدٍ عن أبيه عن أبي وجزة السعديِّ عن أبيه قال : شهِدْتُ عمر بن الخطَّاب رضي اللهُ تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقيَ عامَ الرِّمادة ؛ فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفرُ اللهُ رافعاً صوتَه لا يزيد على ذلك ، فقلت في نفسي : ما له لا يأخذ فيما جاء له ؛ ولم أعلم أنَّ الاستغفار هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا ، فسقي الناس ، وقلدتنا¹ السماء قلداً ، كلَّ خمس عشرة ليلة ، حتَّى رأيت الأريئة² تأكلها صغارُ الإبل من وراء حِقاقِ العُرْفُط³ .

[مات سنة ثلاثين ومائة]

وأخبرني أبو الحسن الأُسديّ وهاشمُ بن محمد الخزاعيَّ جميعاً عن الرياشيِّ عن الأصمعيِّ عن عبد الله بن عمر العُمريِّ عن أبي وجزة السعديِّ عن أبيه ، وذكر الحديث مثله . وأخبرني به إبراهيم بنُ أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، واللفظ متقاربٍ وزاد الرياشيُّ في خبره : فقلت لأبي وجزة : ما حِقاقُ العُرْفُط ؟ قال : نبات سنتين وثلاث . وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال : ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

[هو أحد من شب بعجوز]

[من الكامل]

وهو أحد من شَبَّ بعجوزٍ حيث يقول :

يا أيُّها الرجلُ الموكَّلُ بالصِّبا	فيم ابنُ سبعينَ المعمرُّ من دَدٍ ⁴ ؟
حَتَّام أنت موكَّلٌ بقديمة	أُمتست تَجَدَّدُ كاليمانيِّ الجيِّدِ
زان الجلالُ كماها ورسا بها	عقلٌ وفاضلةٌ وشيمةٌ سيِّدٍ ⁵
ضنَّت بنائِها عليك وأتَمَا	غِرَّان في طلب الشباب الأغيْدِ ⁶
فالآنَ ترجو أن تُثيبك نائلاً	هيهات ؛ نائِلها مكانَ الفِرْقَدِ ⁷

1 قلدتنا : مطرتنا .

2 الأريئة : نبت عريض الورق .

3 العرفط : شجر العضاء ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيهاً بحقاق الإبل ، والحِقِّق : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة ، والأُنثى حِقَّة .

4 الدد : اللهب واللعب .

5 زان : في الشعر والشعراء 703/2 : شَبَّ .

6 غِرَّان : في الشعر والشعراء : 703/2 : إلفان .

7 فالآن : في الشعر والشعراء 703/2 : أفلان ، وأيضاً هيهات : أيهات .

[روى عن أبيه صورة استسقاء عمر]

وأخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ جميعاً قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : استسقى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فلمّا وقف على المنبر أخذ في الاستغفار ، فقلت : ما أراه يعمل في حاجته ! ثم قال في آخر كلامه : اللهمّ إني قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم . ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : وهذا عمّ نبيّك ، ونحن نتوسّل إليك به . فلمّا أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قلب رداءه ، ثم نزل فترأى الناس طرّة¹ في مغرب الشمس ، فقالوا : ما هذا ! وما رأينا قبل ذلك قرعة² سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سمعنا الرعد ، ثم انتشر ، ثم اضطرب ، فكان المطر يقلدنا قلداً في كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأرينة خارجة من حِقاق العُرْفُط تأكلها صغار الإبل .

[مدح بني الزبير فأكرموه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي عن جدّي قال : خرج أبو وجزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير ، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزوميّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك في أن أشاركك فيما أُصيب من آل الزبير ، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلاً والله ، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير . فقدمّا المدينة ، فأتى أبو زيد دار إبراهيم ، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب ، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : اخرج إلى هذا الأعرابيّ الجلف فاضربه وأخرجه ، فأخرج وضرب . وأتى أبو حمزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم ، فكتبوا له إلى مال لهم بالفرع³ أن يعطى منه ستين وسقاً⁴ من التمر ، فقال أبو وجزة يمدحهم : [من البسيط]

راحت قَلُوصي رواحاً وهي حامدة	آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وسقاً في حقيبتها	ما حُمّلت حملها الأدنى ولا السددا ⁵
ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهم	يَقْرُون ضيفهم الملوّنة الجددا

يعني السياط .

1 الطرة : الطريقة من السحاب .

2 القرعة : القطعة من السحاب .

3 الفرع : قرية من نواحي الريدة بينها وبين المدينة أربع ليالٍ على طريق مكة .

4 الوسق : حمل البعير .

5 السدد : الوفق .

قال أبو الفرج الأصفهاني : قول أبي وجزة :

راحت بستين وسقا في حقيبتها
 أنها حملت ستين وسقا ولا تحمل ناقة ذلك ولا تطيقه ولا نصفه ، وإنما عني أنه
 انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقا فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في
 حقيبتها ، فكانها حاملة بالكتاب ستين وسقا ، لا أنها أطاقت حمل ذلك . وهذا بيت
 معنى يُسأل عنه .

[أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه]

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري
 في شعر أبي وجزة وأخباره : كان أبو وجزة قد جاور مزيّنة ، وانتجع بلادهم لصهره فيهم ،
 فنزل على عمرو بن زياد بن سهيل بن مكدّم بن عقيل بن وهب بن عمرو بن مرة بن مازن بن
 عوف بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه ، فقال أبو
 وجزة يمدحه :

[من الطويل]

لمن دمنة بالنعف عافٍ صعيدها ¹	تغير باقيها ومحّ جديدها ¹
لسعدة من عام الهزيمة إذ بنا	تصافٍ وإذ لما يرعنا صدودها
وإذا هي أمّا نفسها فأريه	للّهو ، وأمّا عن صيا فتدودها ²
تصيّد ألباب الرجال بدلكها	وشيمتها وحشيّة لا نصيدها
كباسقه الوسمي ساعة أسبلت	تلاّأ فيها البرق وايض جديدها ³

الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والنخل

باسقات ﴾ :

كبكر تراني فرقدين بقفرة	من الرمل أو فيحان لم يعس عودها ⁴
لعمرؤ الندى عمرو بن آل مكدّم	[كثير عليات الأمور جليدها]
[فتى بين مسروج وآل مكدّم]	وعمرؤ فتى عثمان طراً وسيدها ⁵

1 النعف : موضع ، وأصله ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي . مخ : يلي .

2 فأريه : في ل : فأبيّة .

3 الوسمي : مطر الربيع الأول . أسبلت : أمطرت .

4 بقرة بكر : فتية . تراني : من الرنؤ . الفرقد ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يس و صلب .

5 السيد : الأسد .

حليم إذا ما الجهلُ أفرطُ ذا النهي
على أمره ، حامى الحِصاةَ شديدها¹
وما زال ينحو فعلَ مَنْ كان قبله
من آبائه يَجْنى العلا ويُفيدها
فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ
وقربتَ مِنْ أدماءٍ وارٍ قصيدها²
وذِي كربةٍ فرجتَ كُربةَ همته
وقد ظلَّ مُستدًّا عليه وصيدُها³

[تزوج زينب بنت عرفة]

أخبرني عمِّي قال حدثني العنزيُّ قال حدثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروج قال : تزوج أبو وجزة السعديُّ زينب بنت عرفة بن سهل بن مكرم المزينة فولدت له عبيداً وكانت قد عنست ، وكان أبو وجزة يُبغضها ، وإنما أقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم :

أعطى عبيداً وعبيدٌ مَنَعُ
من عرمسٍ مَحْرُمُها جَلَنَفُ⁴
ذاتِ عساسٍ ما تكاد تَشْبَعُ
تجتلدُ الصحنَ وما إن تَبْضَعُ⁵
تمرٌّ في الدارِ ولا تَوَرَّعُ
كأتها فيهم شجاعٌ أقرعُ
فقلت زينب أم وجزة تجيبه :

[من الرجز]

أعطى عبيداً من شَيْخِ ذِي عَجْرٍ
لا حَسَنَ الوجه ولا سَمْحَ يَسْرٍ⁶
يشرب عُسَّ المَذْقِ في اليومِ الخَصِيرِ
كأنما يقذف في ذاتِ السُّعْرِ⁷

تقاذف السيل من الشَّعبِ المَضِرِّ⁸

[قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه رجز]

[من الرجز]

قال : وقال أبو وجزة لابنه عبيد :

يا راكب العنسِ كمرداة العَلَمِ
أصلحك الله وأدنى ورحمٍ⁹

1 أفرط في ل : أفرد وأفرطه : أعجله ، والحِصاة : العقل .

2 ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقتلين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمن .

3 الوصيد : فناء الدار .

4 العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . الحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . جلنفع : واسعة البطن .

5 عساس : جمع عُسَّ ، وهو القدر الضخم . اجتلد الإناء : شرب كل ما فيه . والصحن : العس العظيم . بضع من الماء وبه : روي وامتلاً .

6 العَجْر : عظم البطن .

7 السُّعْر : حرَّ النار .

8 المَضِرَّ : القريب الداني يقال : سحاب مضرّ : مسف .

9 المرداة : الحجر الثقيل .

إن أنت أبلغت وأديت الكليم
 قد علم الأقوم أن سينتقم
 رب يجازي السيئات من ظلم
 عاد أبي شيلين فرفار لجم
 إلى عجوز رأسها مثل الإرم
 فقال عبيد لأبيه :

دعها أبا وجزة واقعد في الغنم
 مشمر يرقل في نعل خذم
 قد ولهت الألفها غير لمم
 فسوف يكفيك غلام كالزلم
 وفي قفاه لقمة من اللقم⁴
 حتى تناهت في قفا جعد أحم⁵

[هجاه أبو المزاحم وغيره بنسبه]

قال يعقوب : وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيره بنسبه : [من الطويل]

[دَعَتِكَ سُلَيْمٌ عِبْدَهَا فَأَجَبَتْهَا
 وَسَعْدٌ ، وَمَا نَدْرِي لِأَيِّهِمَا الْعَبْدُ ؟

فأجابه أبو وجزة فقال : [من الطويل]

أَعْيَرْتُمُونِي أَنْ دَعَتْنِي أَخَاهُمْ
 فَكُنْتُ وَسَيْطاً فِي سُلَيْمٍ مَعَاقِدًا
 سَلِيمٌ وَأَعْطَتْنِي بِأَيْمَانِهَا سَعْدُ
 لَسَعْدٌ ، وَسَعْدٌ مَا يُحَلُّ لَهَا عَقْدُ⁶

[مدح عبد الله بن الحسن وإخوته]

أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضبعي إجازة قال حدثنا محمد بن مسعود الزرقبي

عن مسعود بن المفضل مولى آل حسن بن حسن قال : قديم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن

الحسن وإخوته سويقة⁷ ، وقد أصابت قومه سنة مجدية ، فأنشده قوله يمدحه : [من البسيط]

أَتْنِي عَلَى ابْنِي رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلَ مَا
 أَتْنِي بِهِ أَحَدٌ يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ

1 الشدة : الحملة . أضم : غضوب .

2 فرفار ، يفرفر كل شيء ، أي يكسره . أفرشه ، فرش له .

3 الإرم : الحجارة .

4 خذم : مقطوع .

5 ولهت : أحزنت وحيرت . اللمم : الجنون . الجعد : البخيل اللئيم . الأحم : الأسود .

6 الوسيط : الحسيب في قومه .

7 سويقة : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

السيدَيْنِ الْكَرِيمِيَّ كُلِّ مُنْصَرَفٍ
 ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا عَمِرَتْ
 مَاذَا بَنَى لَهُمْ مِنْ صَالِحٍ حَسَنٌ
 فَكَرَّمَ اللَّهُ ذَاكَ الْبَيْتَ تَكْرِمَةً
 هُمْ السَّدَى وَالنَّدَى ، مَا فِي قَنَاتِهِمْ
 مَهْدَبُونَ هِجَانٌ أُمَّهَاتِهِمْ
 بَيْنَ الْفَوَاطِمِ مَاذَا ثَمٌّ مِنْ كَرَمٍ
 مَا يَنْتَهِي الْمَجْدُ إِلَّا فِي بَنِي حَسَنِ
 مِنَ الْوَالِدِينَ وَمِنْ صَهْرٍ وَمِنْ وَلَدٍ
 فِي أَصْلِ مَجْدِ رَفِيعِ السَّمَكِ وَالْعَمَدِ
 وَحَسَنٌ وَعَلِيٌّ وَابْتَنَوْا لَعَدٍ
 تَبَقَى وَتَخَلَّدَ فِيهِ آخِرَ الْأَبَدِ
 إِذَا تَعَوَّجَتِ الْعِيدَانُ مِنْ أُوْدٍ¹
 إِذَا نُسِبِينَ زَلَالُ الْبَارِقِ الْبَرْدِ²
 إِلَى الْعَوَاتِكِ مَجْدٌ غَيْرُ مُنْتَقَدٍ³
 وَمَا لَهُمْ دُونَهُ مِنْ دَارٍ مُلْتَحَدٍ⁴

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائة وخمسين ديناراً وأوقروا⁵ له رواحله بُرّاً وتمراً ، وكسوه ثوبين ثوبين .

[فرض له عبد الملك بن يزيد السعديّ عطاءه ونسبه لحرب أبي حمزة الشاري]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حَدَّثَنَا عمر بن شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ وَالْمَدَائِنِيُّ جَمِيعاً : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ يَزِيدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَطِيَّةِ السَّعْدِيِّ كَانَ قَدْ نُدِبَ لِقِتَالِ أَبِي حَمْزَةَ الْأَزْدِيِّ الشَّارِيِّ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، قَالَ : وَبَعَثَ إِلَيْهِ مِرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِمَالٍ ، فَفَرَّقَهُ فِيمَنْ خَفَّ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، فَكَانَ فِيمَنْ فُرِضَ [لَهُ] مِنْهُمْ أَبُو وَجْزَةَ وَابْنَاهُ ، فَخَرَجَ مُعْتَرِضاً لِلْعَسْكَرِ عَلَى فَرَسٍ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

قُلْ لِأَبِي حَمْزَةَ هَيْدٍ هَيْدٍ
 بِالْبَطْلِ الْقَرْمِ أَبِي الْوَلِيدِ
 فِي خَيْلِ قَيْسٍ وَالْكَوَامَةِ الصَّيْدِ
 مُحْضٍ هِجَانٍ مَاجِدِ الْجُدُودِ
 فِدَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْحَمِيدِ
 جُنَّاكَ بِالْعَادِيَةِ الصُّنْدِيدِ
 فَارِسِ قَيْسٍ نَجْدِهَا الْمَعْدُودِ
 كَالسَيْفِ قَدْ سُلَّ مِنَ الْعُمُودِ
 فِي الْفَرَعِ مِنْ قَيْسٍ وَفِي الْعُمُودِ
 مَا لِي مِنَ الطَّارِفِ وَالتَّلِيدِ

1 السَّدَى : المعروف .

2 هيجان : كرام . البارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرد .

3 الفواطم : يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم ، والعواتك جدّات النبي ﷺ .

4 الملتنجأ : المنتجأ .

5 أوقر الدابة : حملها وقرأ ، وهو الحمل الثقيل .

يوم تَنَادَى الخيل بالصعيدِ كأنَّه في جُنن الحديدِ¹
 سيِّدٌ مُدِلٌّ عَزَّ كُلُّ سيِّدٍ

قال : وسار ابن عطية في قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشام ، فلقى أبا حمزة في اثني عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه . يا ابن عطية ، إن الله جلَّ وعزَّ قد جعل الليل سَكَنًا ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .
 [كان منقطعاً لابن عطية مداحاً له]

قال : وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطية ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفضِّلُ عليه ، وكان أبو وجزة مداحاً له ، وفيه يقول :

[من البسيط]

حَنَّ الفؤاد إلى سَعْدَى ولم تُثَبِّبِ
 فِيمَ الكَثِيرُ مِنَ التَّحْنَانِ والطَّرِبِ
 قالت سعادُ أرى من شبيهه عجباً
 مهلاً سعادُ فما في الشَّيبِ من عجبِ
 غنَّى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من كتابه :
 إمَّا تَرِنِي كَسَانِي الدهرُ شيبته
 فإن ما مرَّ منه عنك لم يَغِبِ
 سَقِيًّا لسعدى على شيب أُمِّ بنا
 وقبل ذلك حين الرأسُ لم يَشِبِ
 كأنَّ ريقَتها بعد الكرى اغتبت
 صوبَ الثريا بماء الكرم من حَلَبِ
 وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

أهدى قِلاصاً عناجيجاً أضرَّ بها
 نصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ²
 يقصدن سيِّد قيسٍ وابن سيِّدها
 والفراسَ العِدَّ منها غير ذِي الكذبِ³
 محمد وأبوه وابنه صنعوا
 له صنائع من مجد ومن حَسَبِ
 إني مدحتهم لما رأيت لهم
 فضلاً على غيرهم من سائر العربِ
 إلا تُثَبِّبِي به لا يَجْزِينِي أحد
 ومَنْ يُثَبِّبُ إذا ما أنت لم تُثَبِّبِ !

والآيات التي ذكرت فيها الغناء المذكور معه أمر أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبد الملك بن عطية هذا . ومما يختار منها قوله :

[من الكامل]

- 1 جنن : جمع جنة ، وهي : كل ما وقى .
- 2 العناجيج هنا : الإبل جمع عُجُوج . نصَّ ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير . العقب : جمع عقبه وهي قدر فرسخين أو قدر ما تسيره .
- 3 العِدَّة هنا : الذي لا تنفذ شجاعته . من قولهم ماء عدِّ ، أي دائم لا تنفذ مادته .

حَتَّى إِذَا هَجَدُوا أَلَمَ خِيَالُهَا سَرًّا ، أَلَا يَلِمَامَهُ كَانَ الْمُنَى
 طَرَقَتْ بَرِيًّا رَوْضَةً مِنْ عَالِجٍ وَسَمِيَّةٌ عَذْبَتْ وَبَيْتَهَا النَّدى¹
 يَا أُمَّ شَيْبَةَ أَيِّ سَاعَةٍ مَطْرَقُ نَبَّهْتِنَا ، أَيْنَ الْمَدِينَةَ مِنْ بَدَا²
 إِنِّي مَتَى أَقْضِ اللَّبَانَةَ أَجْتَهْدُ عَنَقَ الْعِتَاقِ النَّاجِيَاتِ عَلَى الْوَجَى
 حَتَّى أَزُورَكَ إِنْ تيسَّرَ طَائِرِي وَسَلِمْتُ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ وَالرَدَى
 وفيها يقول :

فَلَا مَدْحَنَ بَنِي عَطِيَّةَ كُلَّهُمْ مَدْحًا يُوَافِي فِي الْمَوَاسِمِ وَالْقُرَى
 الْأَكْرَمِينَ أَوَائِلًا وَأَوَاخِرًا وَالْأَحْلَمِينَ إِذَا تُخُولِجَتِ الْحُبَا³
 وَالْمَانَعِينَ مِنَ الْمَهْضِيمَةِ جَارَهُمْ وَالْجَامِعِينَ الرَّاقِعِينَ لِمَا وَهَى⁴
 وَالْعَاطِفِينَ عَلَى الضَّرِيكِ بِفَضْلِهِمْ وَالسَّابِقِينَ إِلَى الْمَكَارِمِ مَنْ سَعَى⁵
 وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي ،
 ولا معنى للإطالة بذكرها .

[مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه به]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي لأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي
 قال : كان أبو إسحاق وجزة السعدي منقطعاً إلى آل الزبير ، وكان عبد الله بن عروة بن الزبير
 خاصة يُفضِّل عليه ويقوم بأمره ، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن بن علي بن
 أبي طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فاطرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه فسأل عن
 سبب غضبه فأخبره به الأصم بن أرتاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ، ولا يرجع له عبد
 الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه :

آل الزبير بنسو حُرَّةَ مَرَّوْا بِالسِّيُوفِ صُدُورًا خِنَافًا⁶
 سَلَّ الْجُرْدَ عَنْهُمْ وَأَيَّامَهَا إِذَا امْتَعَطُوا الْمُرْهَفَاتِ الْخِنَافَا

1 عالج : رملة بالبادية . وسمية : المطر الوسمي وهو مطر الربيع الأول .

2 بدا : موضع بالشام قرب وادي القرى .

3 تُخُولِجَتِ : تنوزعت . الحبا : جمع حبة .

4 المهزيمة : الظلم والغضب .

5 الضريك : الزئيم والضريير والفقير السيء الحال .

6 مرى الدم : استخرجه وأسأله . خناف : جمع خائف ، خنف بأنفه : شمع بأنفه من الكبير .

[من المتقارب] امْتَعَلُوا : سَلُوا ، وَمِنْهُ ذَنْبٌ أَمْعَطُ ، مُنْسَلٌّ مِنْ شِعْرِهِ :

يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ وَيَصْلُونَ يَوْمَ السَّيْفِ السَّيْفَا
 إِذَا فَرَجَ الْقَتْلُ عَنْ عَيْصِهِمْ أَبِي ذَلِكَ الْعَيْصُ إِلَّا التَّفَاتَا¹
 مَطَاعِيْمُ تُحَمَدُ أَيْبَاتُهُمْ إِذَا قَنَّعَ الشَّاهِقَاتُ الطَّخَافَا²
 وَأَجْبِنُ مِنْ صَافِرٍ كَلْبُهُمْ إِذَا قَرَعَتْهُ حِصَاةٌ أَضَافَا³

فَلَمَّا أَنْشَدَ ابْنُ عَرُوةَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ رَضِيَ عَنْهُ وَعَادَ لَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أَلَا هَلْ أَسِيرُ الْمَالِكِيَّةَ مُطْلَقُ فَقَدْ كَادَ لَوْ لَمْ يُعْفِهِ اللَّهُ يَغْلِقُ⁴
 فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ ، فِيهِ الْقَتْلُ رَاحَةٌ وَلَا مُنْعَمٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمُعْتَقُ

الشعر لعقيل بن علفمة البيت الأول منه ، والثاني لشيب بن البرصاء ، والغناء لأحمد بن المكِّي ، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه ، وفيه لدقاق رمل بالوسطى من كتاب عمرو بن بانه ، وأوله :

سَلَا أُمَّ عَمْرٍو فِيمَ أَضْحَى أَسِيرُهَا يُفَادَى الْأَسَارَى حَوْلَهُ وَهُوَ مُوثِقُ

وبعده البيت الثاني وهو :

فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ فِيهِ الْقَتْلُ رَاحَةٌ وَلَا مُنْعَمٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمُعْتَقُ

والبيتان على هذه الرواية لشيب بن البرصاء .

1 العيص : الشجر الكثيف الملتف .

2 الطخاف : السحاب المرتفع .

3 الصافر : طائر يتعلق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته .

وأضاف : خاف وأشفق وحذر .

4 يغلق : من غلق الرهن : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهته على تخليصه .

[223] - أخبار عقيل بن علفة

[نسبه]

عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ بنِ الحارثِ بنِ معاوية بنِ ضِيَابِ بنِ جابرِ بنِ يربوعِ بنِ غَيْظِ بنِ مَرَّةِ بنِ سعدِ بنِ ذُبْيَانَ بنِ بَغِيضِ بنِ الرِّيثِ بنِ غَطَفَانَ بنِ سعدِ بنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بنِ مُضَرَ ، ويكنى أبا العَمَلِّسِ وأبا الجَرَبَاءِ .

وَأُمُّ عَقِيلِ بنِ عُلْفَةَ العَوْرَاءُ ، وهي عَمْرَةَ بنتُ الحارثِ بنِ عوفِ بنِ أَبِي حارثةِ بنِ مَرَّةِ بنِ نَشْبَةَ بنِ غَيْظِ بنِ مَرَّةِ . وَأُمُّهَا زَيْنُبُ بنتُ حَصْنِ بنِ حذيفة . هذا قولُ خالدِ بنِ كلثومِ والمدائنيِّ . وقال ابنُ الأعرابيِّ : كانت عَمْرَةَ العَوْرَاءُ أُمُّ عَقِيلِ بنِ عُلْفَةَ والبرصاءِ أُمُّ شبيبِ بنِ البرصاءِ أُختين ، وهما ابنتا الحارثِ بنِ عوفِ . واسمُ البرصاءِ قُرْصَافَةَ ، أُمُّهَا بنتُ نَجْبَةَ بنِ ربيعةَ بنِ رياحِ بنِ مالكِ بنِ شَمَخِ .

[كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته]

وعَقِيلُ شاعرٌ مُجيدٌ مقلِّدٌ ، من شعراءِ الدولةِ الأمويَّةِ . وكان أعرجَ جافياً شديداً الهَوَجِ والعَجْرَفِيَّةِ والبَذَخِ¹ بنسبه في بني مَرَّةِ ، لا يرى أنَّ له كَفْئاً . وهو في بيتِ شرفِ في قومه من كلا طرفيه . وكانت قريشُ ترغبُ في مصاهرته . تزوَّجَ إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيدُ بنِ عبدِ الملكِ ، تزوَّجَ ابنته الجَرَبَاءِ ، وكانت قبله عندَ ابنِ عمِّ لِعَقِيلِ يقالُ له مطيعُ بنُ قُطْعَةَ بنِ الحارثِ بنِ معاوية . وولدت ليزيدَ بُنِيّاً دَرَجَ² . وتزوَّجَ بنته عَمْرَةَ سَلَمَةَ بنُ عبدِ اللهِ بنِ المغيرةِ ، فولدت له يعقوبُ بنِ سلمة ، وكان من أشرافِ قريشِ وجُودائها . وتزوَّجَ أُمُّ عمرو بنته ثلاثةَ نَفَرٍ من بني الحَكَمِ بنِ أَبِي العاصِ : يحيى والحارثُ وخالدُ .

[خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال : دخل عقيل بن علفة على عثمان بن حيان وهو يومئذ على المدينة ، فقال له عثمان : زوجني ابنتك ، فقال : أبكرة من إيلي تعني ؟ فقال له عثمان : ويلي ! أمجنون أنت ؟ قال : أي شيء قلت لي ؟ قال : قلت لك : زوجني ابنتك ، فقال : أفعل إن كنت عنيت بكرة من إيلي . فأمر به فوجئت³ عنقه . فخرج وهو يقول :

[من الطويل]

1 البذخ : الكبر وتناول الرجل بكلامه وافتخاره .

2 درج : مات .

3 وجاه باليد وبالسكين : ضربه .

كنا بني عَيْظِ الرجالِ فأصبحتُ
بنو مالكِ عَيْظاً وصرنا كالكِ
لحى الله دهرأ دَعْدَعِ المَالَ كَلَّهُ
وسودَّ أشباهَ الإمامِ العَوَارِكِ¹

[خطب إليه رجل من بني سلمان فكفنه وألقاه في قرية النمل]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعي قال حَدَّثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال : كان لعَقِيل بن عُلْفَةَ جارٌّ من بني سَلَمان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عَقِيل ، وأخذ السَّلَماني فكَفَّه ، ودهن استهُ بشحم ، وألقاه في قرية² النمل ، فأكلن خُصْمِيه حتى ورم جَسَدُه ، ثم حلّه وقال : يخطب إليّ عبد الملك فأردّه ، وتجتريء أنت عليّ ؟ قال : ثم أجدبتُ مراعي بني مُرّة ، فانتجع عَقِيل أرض جُذامَ وقربهم عُذرة . قال عَقِيل : فجاءني هُنِيٌّ مثلُ البعرة ، فخطب إليّ ابنتي أم جعفر . فخرجتُ إلى أكمة قريبة من الحَيّ ، فجعلتُ أُنبحُ كما ينبحُ الكلب ، ثم تحملتُ وخرجت ، فاتبعني جمعٌ من حُنّ (بطن عُذرة) فقالوا : اختر ، إن شئت حبسناك ، وإن شئت حَدَرْنَاك³ وُبَيْرَةً من رأس الجبل ، فإن سبقتها خَلِينا عنك . فأرسلوا بعيرةً فسبقتها ، فخلّوا سبيلي ، فقلت لهم : ما طمعتم بهذا من أحد ! قالوا : أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتُ عنا . فقلتُ فيهم :

[من الطويل]

لقد هزئتُ حُنّ بنا وتلاعبتُ
وما لعبتُ حُنّ بذي حَسَبِ قبلي
رويداً بني حُنّ تسيحوا وتأمّنوا
وتنتشر الأنعامُ في بلد سهل
والله لأموتنّ قبل أن أضعَ كرائمي إلا في الأكفاء .

[خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجازه ابنه وابنته]

أخبرني الحُرْمِيّ بن أبي العلاء قال حَدَّثنا الزُّبَيْرُ بنُ بَكَار قال حَدَّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب بخطّ الضحّاك قال : خرج عَقِيل بن عُلْفَةَ وابناه : عُلْفَةَ وجُثَامَةُ ، وابنته العجباء حتى أتوا بنتاً له ناكِحاً في بني مروان بالشام فأمت⁴ . ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق ، فقال عَقِيل بن عُلْفَةَ :

[من الطويل]

قضتُ وطراً من دير سعدٍ وطالما
على عُرضِ ناطحنهُ بالجماجم⁵

1 ذدع الحال : فرقه وبدده . والعوارك : الحِيض .

2 قرية النمل : مجتمع ترائبها .

3 حدرنك ، من الحدر : وهو الخط من علو إلى سفلى .

4 آمت المرأة : فقدت زوجها .

5 دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

إذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطبهم بالخزائم¹
ثم قال : أنفذ يا علفة ، فقال علفة :

فأصبحن بالمومة يحملن فتية² نشاوى من الإدلاج ميل العمائم²
إذا علم غادرته بتنوفة تدارعن بالأيدي لآخر طاسم³

ثم قال : أنفذي يا جرباء ، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :

كأن الكرى سقامهم صرخدية⁴ عقاراً تمشى في المطا والقوائم⁴

فقال عقيل : شربتها ورب الكعبة ؛ لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك ، أما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة : وهي أساءت ! إنما أجازت . وليس غيري وغيرك . فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرَّحْل ، ثم شدَّ على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء . ثم قال : لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة . ثم خرج متوجهاً إلى أهله وقال : لكن أخبرت أهلك بشأن جثامة ، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك . فلما قدموا على أهل أبيير (وهم بنو القين) ندِم عقيل على فعله بجثامة . فقال لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟ قالوا : نعم . قال : فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتلموه وتقسّموا الجزور ، وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى برأ ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الله الزيدي بخطه ولم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال : قرىء على علي بن محمد المدائني عن الطرمّاح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جثامة ليلحقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة :

أبعذر لاهينا ويُلحِين في الصبا وما هنّ والفيتان إلا شقائق⁵
فقال له القوم : إنما أفلتت من الجراحة التي جرحك أبوك أنفاً ، وقد عاودت ما يكرهه ، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شرّ وعرّ⁵ . فقال : إنما هي خطرة خطرت ، والراكب إذا سار تغنى .

1 الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير لينقاد بها .

2 المومة : المغازة الواسعة . نشاوى : سكارى .

3 تدارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوة . رسم طاسم : دارس .

4 الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المطا : الظهر .

5 عره بمكرهه : أصابه وساءه .

[أصابه القونج في المدينة فنعنت له الحقة فأبى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : قدِمَ عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ المدينة فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمة المخزوميّ ، فمرض وأصابه القولنج ، فنعنت له الحقة ، فأبى . وقدِمَ ابنه عليه فبلغه ذلك ، فقال :

لقد سرّني والله وقاك شرّها
كفى حزبةً ألا تزال مُجَبِّياً
نجاؤك منها حين جاء يقودها
على شكوة تُوكى وفي استك عودها¹

[شدّ على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا عليّ بن محمد عن زيد بن عيَّاش التغلبيّ والربيع بن ثُمَيْلٍ قالا : غدا عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون ، فشدّ على عملس فحاد عنه ، وتغنى علفة فقال :

قفي يا ابنة المرّيّ أسألك ما الذي
نخبرك إن لم تنجزني الوعد أنّا
تريدين فيما كنت منّينا قبل
ذوا خلّة لم يبقَ بينهما وصل
فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا
وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عَقِيلُ : يابن اللّخناء² ، متى منّتك نفسك هذا ؟ وشدّ عليه بالسيف ، وكان عملس أخاه لأمّه ، فحال بينه وبينه ، فشدّ على عملس بالسيف وترك علفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فسقط عَقِيلُ وجعل يتمعك³ في دمه ويقول :

إنّ بنّي سربلوني بالدم
ومنّ يكن ذا أودٍ يُقوم
منّ يلقَ أبطال الرّجال يُكلّم
شنشنة أعرفها منّ أخزم⁴

قال المدائنيّ : « شنشنة أعرفها منّ أخزم » مثلّ ضربه . وأخزم : فحلّ كان لرجل من العرب ، وكان منجياً ، فضرب في إيل رجلٍ آخر ، ولم يعلم صاحبه ، فرأى بعد ذلك من نسله

1 يقال جبيّ فلان ؛ إذا أكبّ على وجهه باركاً . الشكوة : القرية الصغيرة .

2 اللخناء : من اللّخن ، وهو التن .

3 يتمعك في دمه : يتمرغ .

4 مثل ، وهو من باب تشبيه الرجل بأبيه ، وهذا المثل يروى أنّ عمر بن الخطّاب قاله في ابن عباس رضي الله عنهما يشبهه بأبيه في جودة الرأي . فصل المقال 219 وورد في مجمع الأمثال 155/2 . الشنشنة : الخليقة . المثل في اللسان منسوب إلى أبي أخزم الطائيّ ، قال : « قال ابن برّيّ : كان أخزم عاقلاً لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدّهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك .

جمالاً ، فقال : شينشينة أعرفها من أخزم .

[عابه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب بن عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علفه : إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كاليء لهن ، والناس ينسبونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوجهن إلا الأكفاء . قال : إني أستعين عليهن بخلتين تكلايهن ، وأستغني عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العري والجوع . [رماه ابنه عملس فأصاب ركبته ، فغضب وخرج إلى الشام]

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي : قال خالد بن كلثوم : لما رمى عملس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه ، فاحتمل وخرج إلى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحتت ناقته ، فقال :

ألم تريا أطلالَ حَتَّتْ وشاقها	تفرُّنَا يومَ الحبيبِ على ظهر ¹
وأسبل من جرباء دمع كانه	جُمان أضاع السلك أجرته في سطر
لعمرُك إني يوم أغذو عملسا	لكالمتربي حَتَفَه وهو لا يدري ²
وإني لأسقيه غبوقِي وإنسي	لغرثانُ منهوكُ الذراعين والنحر ³

[خرج ابنه علفه إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً]

قال : ومضى علفه أيضاً ، فافترض⁴ بالشام وكتب إلى أبيه :

[من الطويل]

ألا أبلغا عني عقيلاً رسالة	فإنك من حربِ عليٍّ كريم
أما تذكر الأيام إذ أنت واحد	وإذ كلُّ ذي قُربى إليك ذميم
وإذ لا يقيك الناسُ شيئاً تخافه	بأنفسهم إلا الذين تَضيم
تناول شأوا الأبعدين ولم يقم	لشأوك بين الأقربين أديم
فأما إذا عضت بك الحرب عضة	فإنك معطوفٌ عليك رحيم
وأما إذا آنتت أماناً وريحوة	فإنك للقربى ألدُّ ظلوم ⁵

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه ، وبعث إليه فقدم عليه .

1 حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام .

2 تربيته وتربائه : أحسن القيام عليه ووليه .

3 غرثان : جائع .

4 افترض الجند : أخذوا عطاياهم .

5 الألدُّ : الخصم الجدل الذي لا يرجع إلى الحق .

[سبَّ عمر بن عبد العزيز فعاتبه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدَّثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال حدَّثني ابن جَعْدُبَةَ قال : عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش ، أمه أختُ عقيل بن عُلفَةَ فقال له : قَبِحَكَ اللهُ ؛ أشبهتَ خالك في الجفاء . فبلغتُ عَقِيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له : ما وجدتُ لابن عمك شيئاً تُعَيِّرُه به إلا خُوولتي ؟ فقبَّح اللهُ شرَّ كما حالاً . فقال له صُخَيْرُ بنُ أبي الجَهْمِ العَدَوِيُّ (وأمه قُرَشِيَّة) : آمين يا أمير المؤمنين . فقَبِح اللهُ شرَّ كما حالاً ، وأنا معكما أيضاً . فقال له عمر : إنك لأعرابيٌّ جِلْفُ جافٍ ، أما لو كنتُ تقدَّمتُ إليك لأدبْتُكَ . والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً ، قال : بلى ، إنِّي لأقرأ ، قال : فاقراً . فقراً : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ﴾ حتى بلغ إلى آخرها فقراً : فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، فقال له عمر : ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال : أو لم أقرأ ؟ قال : لا ، لأنَّ الله جلَّ وعزَّ قدَّم الخير وأنك قدَّمت الشرَّ . فقال عقيل : [من الطويل]

خذنا بطنَ هَرَشَى أو قفاها فإنه
كلا جانبي هَرَشَى هُنَّ طريق¹
فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفِيَّتِهِ .

وروى هذا الخبر عليُّ بنُ محمد المدائني ، فذكر أنه كان بين عُمرَ بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلامٌ ، فأغلظ يعقوبُ لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنك ابنُ أعرابيَّة جافية . فقال عقيل لعمر : لعن الله شرَّ الثلاثة ، مني ومنك ومنه ؛ فغضب عمر ، فقال له صُخَيْرُ ابنُ أبي الجَهْمِ : آمين . فهو والله أيتها الأمير شرَّ الثلاثة . فقال عمر : والله إنِّي لأراك لو سألتَه عن آية من كتاب الله ما قرأها . فقال : بلى والله إنِّي لقارئ آية وآياتٍ فقال : فاقراً ، فقراً : إنا بعثنا نوحاً إلى قومه ، فقال له عمر : قد أعلمتكَ أنك لا تُحسِن . ليس هكذا قال الله ، قال : فكيف قال ؟ قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ فقال : وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا !

خذنا أنفَ هَرَشَى أو قفاها فإنه
كلا جانبي هَرَشَى هُنَّ طريقُ

[دخل المسجد بخفين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه]

أخبرني عُبَيْدُ اللهِ بنُ أحمد الرازي قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخُزازي قال حدَّثني علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال : قدِمَ عَقِيلُ بنُ عُلفَةَ المدينة ، فدخل المسجد وعليه خُفان

1 هرشي : ثنية في طريق مكة قرية من الجحفة . وفي البيت مثل : يضرب فيما سهل إليه طريق من وجهين . وهرشي : ثنية في طريق مكة شرقها الله تعالى قرية من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكلَّ من يسلكها كان مصيباً . (معجم الأمثال للميداني 3/31-32) .

غليظان ، فجعل يضربُ برجلَيْه ، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بنُ الحكم ، وكانت ابنة عقيل تحته : يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفائك . قال : لا ، ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنها أعجبُ من خفي . فجعل يحيى يضحك .
[خبره مع يحيى بن الحكم أمير المدينة وزواج ابنته]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد الله بن مُصعب قاضي المدينة قال : دخل عقيلُ بن علفة على يحيى بن الحكم ، وهو يومئذ أميرُ المدينة . فقال له يحيى : أنكح ابن خالي ، يعني ابن أوفى ، فلانة ابنتك ؟ فقال : إن ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أكف عنه سنن¹ الخيل إذا غشيت سوامه² . فقال يحيى لحرسيين بين يديه : أخرجاه . فأخرجاه ، فلما ولي قال : أعيداه إلي ، فأعاداه ، فقال عقيل له : ما لك تكرّني إكرارَ الناضح³ ؟ قال : أما والله إني لأكره أعرج جافيا . فقال عقيل : كذلك قلت : [من البسيط]

تَعَجَّبْتُ إِذ رَأَتْ رَأْسِي تَجَلَّلَهُ من الروائع شيبٌ ليس من كبر⁴
وَمِنْ أَدِيمٍ تَوَلَّى بَعْدَ جِدَّتِهِ والجفنُ يخلقُ فيه الصَّارِمُ الذَّكَرُ⁵

فقال له يحيى ، أنشدني قصيدتك هذه كلها . قال : ما انتهيتُ إلا إلى ما سمعت . فقال : أما والله إنك لتقول فتقصّر ، فقال : إنما يكفي من القلادة⁶ ما أحاط بالرقبة . قال : فأنيحني أنا إحدى بناتك . قال : أما أنت فنعيم . قال : أما والله لأملأنك مالا وشرفاً . قال : أما الشرف فقد حملت ركائبِي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشّم ما لم تطيق ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيم ورضا الأبي . فزوجّه ثم خرج فهداها إليه ، فلما قدمت عليه بعث إليها يحيى مولاة له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها . فرفعت يدها ، فدقت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثني إلى أعرابية مجنونة صنعت بي ما ترى ؛ فنهض إليها يحيى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : ما أردت أن بعثت إليّ أمة تنظر إليّ ! ما أردت بما فعلت إلا أن يكون نظرك إليّ قبل كل ناظر ، فإن رأيت حسناً كنت قد سبقت إلى بهجته ، وإن رأيت قبيحاً كنت أحقّ من

1 السنن : استنان الخيل : وهو عدوها لمرحها ونشاطها .

2 السّوام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلى يرمى حيث يشاء .

3 الناضح : الدابة يستسقى عليها الماء .

4 الروائع : في ل : الوقائع .

5 تولى : في ل : تعرى . الذكر والذكير من الحديد : أبيضه وأشدّه وأجوده ، وفي البيت إقواء .

6 مثل ، ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 62/2 «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق» .

ستره . فسرّ بقولها وحظيت عنده .
 وذكر المدائنيّ هذا الخبر مثله ، إلاّ أنّه قال فيه : فإن كان ما تراه حسناً كنت أولَ مَنْ رآه ،
 وإن كان قبيحاً كنت أولَ مَنْ واره .

[زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء]

أخبرني ابنُ دريد قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال : خطب يزيد بن عبد الملك إلى
 عقيل بن علفّة ابنته الجرباء ، فقال له عقيل : قد زوّجتكها ، على أن لا يزفّها إليك أعلّجك¹ ؛
 أكون أنا الذي أُجيء بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوّجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل
 الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ ، معه امرأةٌ في هودج قال : أراه والله عقيلاً .
 قال : فجاء بها حتى أتاخ بعيرها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعنت ، فدخل بها على الخليفة فقال
 له : إن أنتما ودين² بينكما ، فبارك الله لكما ، وإن كرهت شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعتُ
 يدها في يدك ثم برئت ذمتك . فحملت الجرباء بغلام ففرّح به يزيد ونَحَله وأعطاه . ثم
 مات الصبيّ ، فورثت أمّه منه الثلث ، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن ابنك
 وابنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينارٍ ، فهلمّ فاقبضه .

[موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها]

فقال : إن مصيبتني بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه ، فلا حاجة لي في ميراثهما ،
 وقد رأيتُ عندك فرساً سبقت عليه الناس ، فأعطينيه أجعله فحلاً لخيلي . وأبى أن يأخذ
 المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

[قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك]

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدّثنا الخراز عن المدائنيّ عن إسحاق بن يحيى قال :
 رأيتُ رجلاً من قريش يقول له عقيل بن علفّة : بالرفاء والبنين والطائر المحمود . فقلت له :
 يا ابن علفّة ؛ إنّه يُكره أن يُقال هذا . فقال : يا ابن أخي ، ما تريد إلى ما أحدث ! إن
 هذا قولُ أحوالك في الجاهليّة إلى اليوم لا يعرفون غيره . قال : فحدّثتُ به الزهريّ فقال :
 إن عقيلاً كان من أجهل الناس . قال : وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول
 أحوالك» ، لأنّ أمّ يحيى بن طلحة مريّة .

[خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسه]

قال المدائنيّ وحدّثني عليُّ بنُ بشر الجسّميّ قال قال الرميحُ : خطب إلى عقيلٍ رجل من

1 أعلّجك جمع علج : الرجل الشديد الغليظ .

2 الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ ويقال : وذن العروس : أحسن القيام عليها .

بني مرة كثيرة المال ، يُعَمَّرُ في نسبه ، فقال :
لَعَمْرِي لئن زَوَّجْتُ من أَجْلِ ماله
أُنكِحُ عبداً بعدَ يحيى وخالدِ
أبى لِي أنْ أَرْضَى الدنْيَةَ أنْتِي
[خطب إليه رجل من بني مرة فطعن ناقته بالرمح فصرعته]

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي بخطه يأثره² عن خالد بن كلثوم بغير إسناد متصل بينهما : أن رجلاً من بني مرة يقال له داود أقبل على ناقته له ، فخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته ، فنظر إليه عقيل ، وإن السيف لا يناله ، فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته ، وشد عليه عقيل فهرب ، وثار عقيل إلى ناقته فنحرها ، وأطعمها قومه وقال :

[من الرجز]
أُم تَقْلُ يا صاحِبَ القُلُوصِ داوُدُ ذا الساجِ وذا القميصِ³
كانت عليه الأرض حيص بيص حتى يُلَفَّ عيصه بعيصي⁴
وكنست بالشبان ذا تقيص

فقال داود فيه من أبيات :

فنى يجعل الأمر الحلال بيته حراماً ويقرى الضيف عصباً مهناً

[فرت منه زوجته الأنمارية فردها إليه عامل فذك]

وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال : لما تزوج عقيل بن علفة زوجته الأنمارية ، وقد كبر ، فرت منه ، فلقبها جحاف ، أحد بني قتال بن يربوع ، فحملها إلى عامل فذك ، وأصبح عقيل معها ، فقال الأمير لعقيل : ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجرباء ؟ فقال عقيل : كل ذكري ، وذهب ذفري⁵ ، وتغايب نفري ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك علفة الأصغر .

[شعره يحرض بني سهم على بني جوشن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مرة رهط عقيل بن علفة المري ، وهو من بني غيظ بن مرة بن سهم بن مرة إخوتهم ، فاقتلوا في أمر يهودي خمارة كان جاراً لهم ، فقتلته بنو جوشن

1 الهجين : العربي ابن الأمة .

2 يأثره : ينقله ويرويه .

3 الساج : الطيلسان الضخم الغليظ .

4 حيص بيص : في الأصل جحر الفأر وهي هنا بمعنى ضيقة . عيصى المرء : أصله .

5 الذفر : شدة ذكاء الرمح .

من غطفان ، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن علفة بالشام غائباً عنهم ، فكتب إلى بني سهم يُحَرِّضُهُمْ¹ .

[من المتقارب]

فإِذَا هَلَكْتُ وَلَمْ آتِكُمْ فَأَبْلِغْ أُمَّتِلَ سَهْمِ رَسُولًا
بان التي سامكُم قومكُم لقد جعلوها عليكم عدولا
هوان الحياة وضيئُ المات وكلاً أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسيروا إلى الموت سيراً جميلاً
ولا تقعدوا وبكم منةً كفى بالحوادث للمرء غولاً²

قال : فلما وردت الأبيات عليهم تكفلَ بالحربِ الحُصَيْنِ بن الحُمامِ المُرِّيِّ أحد بني سهم ، وقال : إِيَّ كَتَبَ وَبِي نَوَّةٌ ، خاطَبَ أُمَّتِلَ سهم وأنا من أُمَّتِلِهِمْ . فأبلى في تلك الحروبِ بلاءً شديداً . وقال الحُصَيْنِ بن الحُمامِ في ذلك من قصيدة طويلة له :

[من الطويل]

يَطَّانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدِ الْقَنَا خَبَاراً فَمَا يَنْهَضُنَ إِلَّا تَقَحُّمًا³
عليهنَّ فَيَتَّانُ كَسَاهِمَ مَحْرَقٍ وكان إذا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمًا⁴
صَفَائِحَ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا ومطرُداً من نسجِ داودِ محكِّمًا⁵
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةَ مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا

[نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردّها إليه]

وقال المدائنيّ قال جَرَّاحُ بن عِصَامِ بن بُجَيْرٍ : عدتْ بنو جعفر بن كِلَابِ على جارٍ لعقيل فأطردتْ إبله وضربوه ، فغدا عقيل على جار لهم فضربه ، وأخذ إبله فأطردّها ، فلم يردها حتى ردّوا إبلا جاره وقال في ذلك :

[من الكامل]

إِنْ يَشْرِقِ الْكَلْبِيُّ فِيكُمْ بِرَيْقِهِ بني جعفر يُعْجَلُ لَجَارِكُمُ الْقَتْلُ
فلا تحسبوا الإسلامَ غَيْرَ بَعْدَكُمْ رَمَاحَ مَوَالِكِكُمْ فَذَاكَ بِكُمْ جَهْلُ
بني جعفر إن ترجعوا الحربِ بيننا نُذِقْكُمْ كَمَا كُنَّا نُذِيقْكُمْ قَبْلُ
بدأتم بجاري فأنشيتُ بجاركم وما منهما إلا له عندنا حَبْلُ

1 وردت بعض هذه الأبيات في المفضليات رقم 10 : منسوبة إلى بشامة بن عمرو دون تغيير ، وهي (1 ، 4 ، 5) وفي البيت (2 ، 3) اختلاف واضح في الألفاظ .

2 الغول : كل ما أهلك الإنسان .

3 القصد : جمع قصدة ، وهي القطعة من القناة المتكسرة . الخبر من الأرض : ما لان واسترخى .

4 محرق : لقب عمرو بن هند ، سمي بذلك لأن أحرق مائة من بني تميم .

5 مطرداً : أي درعاً مطرداً ، أطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت .

[أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين]

وذكر المدائني أيضاً : أنَّ عَقِيلاً كان وحده في إبله ، فمرَّ به ناس من بني سلامان فأسروه ، ومرّوا به في طريقه على ناس من بني القين ، فانتزعوهم منهم ، وخلّوا سبيله . فقال عقيل في ذلك :

[من الطويل]

أسعدَ هذيم إنَّ سعداً أباًكم أبي لا يوافي غاية القين من كلب
وجاء هذيم والركابُ مُناخَةً فقيل تأخّر يا هذيمُ على العَجَبِ¹
فقال هذيم إن في العَجَبِ مركبي ومركب آبائي وفي عَجَبِها حَسبي

قال : وسعد هذيم هم عُذرةٌ وسلامان والحارثُ وضبةٌ .

[مات ابنه علفة بالشام فرثاه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عميلة قال : مات عُلْفَةُ بن عَقِيل الأكبر بالشام ، فعناه مُضَرَّس بن سَوَادَةَ لعَقِيل بأرض الجنب ، فلم يصدِّقه وقال :

[من الكامل]

قَبِحَ الإلهُ - ولا أقبِحَ غيره - تُفَرَّ الحمارُ مُضَرَّس بنَ سَوَادِ²
تَنعى امرءاً لم يعلُ أمك مثله كالسيفِ بين خَضارمِ أنجادِ³

[من الطويل]

ثم تحقّق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه :
لَعَمري لقد جاءت قوافلُ خَبِرت
وقالوا ألا تبكي لمصرعِ فارس
فأقسمتُ لا أبكي على هلكِ هالكِ
كأن المنايا تبتغي في خيارنا
تحلُّ المنايا حيثُ شاءت فإنها
فتى كان مولاه يحلُّ برؤوة

[حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه علس من الشام فانتقم له]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : قال : كان عَقِيل بن عُلْفَةَ قد أطرَدَ بنيه ، ففترقوا في البلاد وبقي وحده . ثم إنَّ رجلاً من بني صرمة ، يقال له بَجِيل ، وكان كثير المال والماشية ، حطّم بيوتَ عَقِيل بماشيته ، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت

- 1 العجب : أصل الذنب وهو العصص .
- 2 الثفر : السير الذي في مؤخّر السرح تحت ذنب الدابة .
- 3 خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

عَقِيلٌ إِلَّا لَقِيَّ شَرًّا . فطردت صافنةً (أمةً له) الماشية ، فضرِبها بَجِيلٍ بعضا كانت معه فشجَّها .
فخرج إليه عَقِيلٌ وحده ، وقد هَرِمَ يومئذٍ وكبرتْ سِنُهُ ، فزجره فضرِبهُ بَجِيلٍ بعضاه ، واحتقره .
فجعل عَقِيلٌ يصيحُ : يا عُلْفَةَ ، يا عَمَلَسَ ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغيثاً بهم ، وهو
يحسبهم لهرمه أنهم معه . فقال له أُرطاة بن سُهَيْبَةَ :

أَكَلْتَ بَيْنَكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ الكَلَأِ الوَيْلُ
ولو كان الألى غابوا شهوداً منعتَ فناءَ بيتِكَ من بَجِيلِ
وبلغ خبر عَقِيلِ ابنه العَمَلَسُ وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمدَ إلى بَجِيلِ
فضرِبهُ ضرباً مبرحاً ، وعقر عِدَّةً من إبله وأوثقه بجبل ، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ،
ثم ركب راحلته ، وعاد من وقته إلى الشام ، لم يَطعمَ لأبيه طعاماً ، ولم يشرب شرباً .
[خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُرَائي قال حدَّثنا ابن عائشة قال : نزل أعرابيٌّ على المُقشَعِرِّ بن
عَقِيلِ بن عُلْفَةَ المرِّي فشرِباً حتى سَكِرَا وناما ، فانتبه الأعرابيُّ مُرَوَّعاً في الليل وهو يهذِي ،
فقال له المُقشَعِرُّ : ما لك ؟ قال : هذا ملك الموتِ يقبِضُ روحي . فوثب ابن عَقِيلِ فقال : لا
والله ولا كرامة ولا نعمة¹ عينٍ له ! أقبِضُ رُوحَكَ وأنت ضيفي وجاري ؟ فقال : بأبي أتم
وأُمِّي ! طال والله ما منعتُم الضَّيِّم . وتلفَّفَ ونام .
تمت أخبار عَقِيلِ ولله الحمد والمِنَّة .

قد مضت أخبار عَقِيلِ فيما تقدّم من الكتاب ، ونذكر هاهنا أخبار شَيْبِ بن البرصاء
ونسبه ، لأنَّ المُغنين خلطوا بعضَ شعره ببعض شعر عَقِيلِ في الغناء الماضي ذِكرُهُ ، ونعيدُ
هاهنا من الغناء ما شعرُهُ لشَيْبِ خاصةً وهو :

صوت

من المائة المختارة

سَلَا أُمَّ عمرو فيم أضحى أسيرها تُفادى الأسارى حوله وهو موثقُ
فلا هو مقتول ففي القتل راحةً ولا منعمٌ يوماً عليه فمطلقُ

ويروى :

ولا هو مَمْنونٌ عليه فمطلقُ

الشعرُ لشَيْبِ بن البرصاء ، والغناء لِذُفَاقِ جاريةٍ يحيى بن الربيع . رملٌ بالوسطى عن
عمرو . وذكر حبشٌ أن فيه رملاً آخر لطويس .

[224] - أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

[نسبه]

هو شبيبُ بنُ يزيد بن جمرَةَ ، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرّة بن نُشبة بن غَيْظ بن مرّة بن سعد بن ذبيان . والبرصاء أمّه ، واسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهو ابن خالة عقيل بن عُلفَة ، وأمّ عقيل عمّرة بنت الحارث بن عوف ، ولُقبت قِرْصافةُ البرّصاء لبياضِها ، لا لأنها كان بها برص .

[هاجي عقيل بن علفة]

وشبيبٌ شاعرٌ فصيحٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، بدويٌّ لم يحضُر إلاّ وافداً أو منتجِعاً . وكان يُهاجي عَقِيلَ بن عُلفَة ويُعاديهِ لشراسته كانت في عَقِيلٍ وشرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومه ، في بيت شرفهم وسؤددهم . وكان شبيبُ أعور ، أصاب عينه رجل من طيء في حَرْبٍ كانت بينهم .

[هاجي أُرطاة بن سهية]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال حدّثنا أبو حاتم السّجستانيّ عن أبي عبيدة قال : دخل أُرطاة بن سُهَيْة على عبد الملك بن مروان ، وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء ، فأنشده قوله فيه :

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزلْ جَنِيْباً لآبائي وأنت جَنِيْبٌ¹

فقال له عبد الملك : كذبت ! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيراً منك مذعضّ كارهاً برأسِكَ عاديُّ النّجادِ رَكُوبٌ²

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أُرطاة أفضل من شبيبٍ نفساً ، وكان شبيب أفضل

من أُرطاة بيتاً .

[فاخره عقيل بن علفة فهجاه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا الحزَنبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : فاخر عَقِيلَ بن عُلفَة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوهُ ، ويُعيّرهُ برجلٍ من طيء كان يأتي أمّه عمّرة بنت الحارث يقال له حَيّان ، ويهجو غيظ بن مرّة :

[من الطويل]

1 الجنيب : المنقاد التابع .

2 العاديّ : القديم . النجاد : جمع نجد . والركوب : المركوب الموطوء .

ألسنا بفرعٍ قد علمتم دِعامَةً
وقد علمت سعد بن دُبيان أننا
إذا لم نَسُكُم في الأمور ولم نَكُنْ
فلستم بأهدى في البلاد من التي
دعت جلُّ يربوعٍ عقيلًا لحادثٍ
فقلت له : هلاً أُجبتَ عشيرةً
وكأئن لنا من رِبوّةٍ لا تناها
فخرتَ بأيامٍ لغيرك فخرها
إذا الناس هابوا سوءةً عمّدت لها
فهلّا بني سعدٍ صَبَحَتْ بغارةٍ
فُتدركَ وترأ عند الأم واطرٍ

[افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملك فهجاه]

وقال أبو عمرو : اجتمع عقيل بن عُلْفَة وشيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكم فتكلّما في بعض الأمر ، فاستطال عقيلٌ على شيب بالصُّهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زَوْج ثلاثاً من بناته فيهم ، فقال شيب يهجوهُ :

ألا أبلغ أبا الجرّاء عنّي
فلا تذكرُ أباك العبدَ وافخر
وهبها مَهْرَةً لَقَحَتْ بيغل
إذا طارت نفوسُهُنَّ شِعاةً
بطعنٍ تعثرُ الأبطالُ منه
بآياتِ التباغُضِ والتَّقالي
بأمّ لست مُكْرِمَها وخالٍ
فكان جنيهاً شرّاً البغالِ
حَمِينِ الْمُحْصَنَاتِ لَدَى الْحِجَالِ⁶
وضربٍ حيثُ تُقْتَنَصُ العوالي⁷

1 الفرع : عدّة قرى أهلة على أربعة أيام من المدينة .

2 الجول : الصخرة التي في الماء يكون عليها الطيّ فإن زالت تلك الصخرة تهوّر البئر .

3 يثوها : يسومها .

4 الفارة : الخيل المغيرة . مسومة : فرسلة وعليها ركبائها ، أو معلمة . النسيل : ما سقط من شعر ووصوف .

5 العقول : جمع عقل ، وهو الدية .

6 الحجال جمع حَجَلَة : وهي الكَلّة تهبّاً للعروس .

7 العوالي : جمع عالية وهي أعلى البرح .

أبى لى أن أبائى كرام
بيوتَ المجد ثم نموت منها
بنوا لى فوق أشرافِ طِوال¹
تَزِلُ حِجارَةُ الرامين عنها
إلى علياء مُشْرِفة القَزال
وأعناقِ الأيورِ بني قِقال
رَفَعَتْ مُسامياً لتنالَ مجداً
فقد أصبحتَ منهم في سَفال

قال أبو عمرو : بنو قِقال إخوةُ بني يربوع رهط عقيل بن علفة وهو قوم فيهم جفاء ، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفه أخوه في عباءة له ، وقال أحدهما للآخر : كيف تحمله ؟ قال : كما تُحمَلُ القرية . فعمد إلى حبل فشدَّ طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمَلُ القرية ، فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرةً ، وألقاه فيها ، وهال عليه التراب حتى واره . فلما انصرفا قال له : يا هناه² ، أنسيْتُ الحبل في عنق أخى ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة . قال : دعه يا هناه ، فإن يرد الله به خيراً يحلِّله .

[خطب بنت يزيد بن هاشم فردة ثم قبله فأبى]

وقال أبو عمرو : خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المرِّي ثم الصرْمِيّ ابنته ، فقال : هي صغيرة ، فقال شبيب : لا ؛ ولكنك تبغي أن تردني ، فقال له يزيد : ما أردت ذلك ، ولكن أنظرني هذا العام ، فإذا انصرم فعلي أن أزوجهك . فرحل شبيب من عنده مُغضباً ، فلما مضى قال ليزيد بعضُ أهله : والله ما أفلحت ! خطب إليك شبيبُ سيّد قومك فردته ! قال : هي صغيرة ، قال : إن كانت صغيرة فستكبر عنده . فبعث إليه يزيد : ارجع فقد زوجتك ، فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك ، فأبى شبيب أن يرجع وقال : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد أشرفتُ يومَ غَنِيزة
ولكنّ ضعفَ الأمرِ ألاً تُمرّه
على رغبةٍ لو شدّ نفسي مريرها³
ولا خير في ذي مِرّةٍ لا يُغيرها⁴
وتبيّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضت
وتُقبِلُ أشباهاً عليك صدورها
تُرَجِّي النُفوسُ الشيءَ لا تستطيعه
وتُخشى من الأشياءِ ما لا يُضيرها
ألا إنّما يكفي النُفوسِ إذا اتقت
تُقى الله ممّا حادرتُ فيُجيرها

1 أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالي .

2 هن : كلمة يكتى بها عن اسم الإنسان .

3 المرير والمريرة : العزيمة . وغنيزة : موضع ، وهي هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية .

4 أمر الحبل : أحكم فتله . وأغار الحبل : أحكم فتله .

ولا خيرَ في العيدانِ إلا صلابُها
ومستنبحٍ يدعو وقد حال دونه
رفعتُ له ناري فلما اهتدى لها
فبات وقد أسرى من الليل عُقبَةً
وقد علم الأضياف أن قراهمُ
إذا افتخرت سعدُ بنُ ذبيان لم يجد
وإنِّي لتراكُ الضغينة قد بدا
مخافة أن تجني عليّ وإنما
إذا قيلت العوراء وليت سمعها
وحاجة نفسٍ قد بلغت وحاجة
حياءٍ وصبراً في المواطنِ إنني
وأحس في الحقِّ الكريمة إنما
أحابي بها الحي الذي لا تُهمُّه
ألم ترَ أننا نورُ قوم وإنما

[تمثل محمد بن مروان بشعره]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليّ العنزي قال حدثني
محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال : كانت بين بني كلب وقوم من قيس
ديات ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أمية يستعينون بهم في الحماله⁷ ، فحملها
محمد بن مروان كلها عن الفريقين ، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء : [من الكامل]
ولقد وقفتُ النفسَ عن حاجاتها والنفسُ حاضرةُ الشعاعِ تطلعُ

1 السجف : الستر .

2 ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أي يتبعها . والقدير : اللحم المطبوخ في القدر .

3 ثراها : أثرها . والمولى : الصاحب وابن العم .

4 العوراء : الكلمة العوراء .

5 الستير : العفيف .

6 الكريمة : أي الناقة الكريمة .

7 الحماله : الدية يحملها قوم عن قوم .

وَعَرِمَتْ فِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ غَرَامَةً¹ يَعِيَا بِهَا الْحَصِرَ الشَّحِيحُ وَيَطْلَعُ¹
إِنِّي فَنَى حَرًّا لِقَدْرِي عَارِفٌ أُعْطِي بِهِ وَعَلَيْهِ مِمَّا أَمْنَعُ

[نزل هو وأرطاة بن زفر وعويف القوافي على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فجهوه]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال . حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعِيُّ قال . حدَّثني الحِرْمَازِيُّ قال : نزل شبيبُ بن البرصاءِ وأرطاةُ بنُ زُفرٍ وعُوَيْفُ القوافي برجلٍ من أشجعٍ كثيرٍ المالِ يُسَمَّى عَلقَمَةَ ، فأَتاهم بشريةَ لبنٍ ممدوقةٍ ولم يذبح لهم ، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحِلهم فركبوها ثم قالوا : تعالوا حتى نهجو هذا الكلب . فقال شبيب : [من الطويل]

أَفِي حَدَثَانِ الدَّهْرِ أُمٌّ فِي قَدِيمِهِ تَعَلَّمَتِ أَلَّا تَقْرِي الضَّيْفَ عَلقَمًا² ؟

وقال أرطاة :

لَبِثْنَا طَوِيلًا ثُمَّ جَاءَ بِمَذْقَةٍ كِأَنَّ السَّلَا فِي جَانِبِ القَعْبِ أَثَلَمًا³

وقال عُوَيْفٌ :

فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّهُ شَرَّ مَنْزِلٍ رَمِينَا بِهِنَّ اللَّيْلَ حَتَّى تُخْرُمًا⁴

[عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فرتاهم]

أخبرني هاشمُ بن محمدٍ الخُزَاعِيُّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميِّ قال : غاب شبيبُ بن البرصاءِ عن أهله غيبَةً ، ثم عاد بعد مدَّة ، وقد مات جماعة من بني عمه ، فقال شبيب يرثيهم :

تَخْرَمُ الدَّهْرُ إِخْوَانِي وَغَادِرِي كَمَا يُغَادِرُ ثَوْرُ الطَّارِدِ الفَيْدُ⁵

إِنِّي لَباقٍ قَلِيلًا ثُمَّ تَابِعُهُمْ وَوَارِدٌ مِنْهُلِ القَوْمِ الَّذِي وَرَدُوا

[هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطاة بن سهية عليه]

قال أبو عمرو : هاجى شبيبُ بنُ البرصاءِ رجلاً من غنِيٍّ ، أو قال من باهلةً ، فأعانه

أرطاة بن سهية على شبيب ، فقال شبيب :

لِعَمْرِي لئنْ كَانَتْ سَهِيَّةٌ أَوْضَعَتْ بِأرطَاةَ فِي رَكْبِ الخِيَانَةِ وَالغَدْرِ⁶

1 الحصر : البخيل .

2 حدثان : بمعنى حديث .

3 السلا : الجلد الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشي ، إن لم تنزع عن وجه الولد قتله . والقعب : القدح .

4 تخرم : استوصل وانقضى .

5 الفئد : الذي يشكو فؤاده .

6 أوضعت : أسرعت .

فما كان بالطَّرْفِ العَتِيقِ فيُشْتَرَى لِفيحلتَه ، ولا الجوادِ إذا يجري
أَتَنْصُرُ منِّي معشراً لستَ منهم وغيرُك أُولى بالحِياطةِ والنصرِ
ويروى : «وقد كنتُ أُولى بالحِياطةِ» وهو أجود .

[استعدى عليه رهط أوطاة عثمان بن حيان لهجائه إليهم]

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أوطاةَ بنِ سُهَيْةَ على شبيب بن البرصاءِ إلى عثمان بن
حَيَّانِ المرِّي وقالوا له : يعمنا بالهجاءِ ويشتمُّ أعراضنا ، فأمر بإشخاصه إليه فأشخص ،
ودخل إلى عثمان وقد أتى بثلاثة نفر لصوص قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بهذل ومثغورٌ
وهيصم ، فقتل بهذلاً وصلبه ، وقطع مثغوراً والهيصم ، ثم أقبل على شبيب فقال : كم
تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم ؛ أقسِمُ قسماً حقاً لكن عاودت هجاءهم لأقطعن
لسانك ، فقال شبيب :

[من الطويل]

سجنتَ لساني يا ابن حَيَّانَ بعدما تَوَلَّى شبابي ، إنَّ عَقْدَكَ مُحَكِّمٌ
وعَيْدُكَ أَبْقَى من لساني قُدَاذَةً هَيُوباً ، وصَمْتاً بعدُ لا يتكَلَّمُ¹
رَأَيْتَكَ تَحْلُوْلِي إذا شئتَ لَأمرِيءِ ومُراً مُراراً فيه صابٌ وعَلَقَمٌ²
وكلَّ طريدٍ هالكٌ مُتَحَيِّرٌ كما هلك الحيرانُ والليل مظلمٌ
أصبَتَ رجالاً بالذنوبِ فأصبحوا كما كان مثغورٌ عليك وهيصمٌ
خطاطيفُك اللاتي تخطفن بهذلاً فأوفى به الأشرافَ جذعٌ مقومٌ³
يداك يدا خيرٍ وشرٍّ فمنهما تَضُرُّ وللأخرى نوالٌ وأنعمٌ

[ذهب دعيح بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعيح فأصاب عينه]

وقال أبو عمرو : استاق دُعيحُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرُميُّ إبلَ
شبيب بن البرصاءِ فذهب بها ، وخرج بنو البرصاءِ في الطلب ، فلما واجهوا بني جرْمٍ قال
شبيب : اغتَمَمُوا بني جرْمٍ ، فقال أصحابه : لسنا طالبين إلاَّ أهلَ القَرَحَةِ ، فمضوا حتى أتوا
دُعيحاً وهو برأس الجبل ، فناده شبيب : يا دعيح ، إن كانت الطَّرَافُ حيَّةً فلك سائر الإبل ،
فقال : يا شبيب ، تبصّرُ رأسها من بين الإبل ، فنظر فأبصرها ، فقال شبيب : شدوا عليه
واصعدوا وراءه ، فأبوا عليه ، فحمل شبيب عليه وحده ، ورماه دُعيحٌ فأصاب عينه ، فذهب

1 القذاذة من كل شيء : ما قطع منه .

2 المرار : شجر مرّ .

3 أشرف الناس : أعلاه .

بها ، وكان شبيبٌ أعورَ ثم عميَ بعد ما أسنَّ ، فانصرف وانصرف معه بنو عمِّه ، وفاز دعيج بالإبل ، فقال شبيب :

أمرتُ بني البرصاء يومَ حُرَابِيَةِ بأمرٍ جميعٍ لم تَشْتَتْ مَصَادِرُهُ
بشَوَّلِ ابنِ معروفٍ وحَسَّانَ بعد ما جَرَى لِيَّ يُمْنٌ قد بدا لِيَّ طَائِرُهُ¹
أيرجعُ حُرٌّ دونَ جَرَمٍ ولم يكن طِعَانٌ ولا ضربٌ يُدْعَذَعُ عَاسِرُهُ² ؟
فأذْهَبَ عيني يومَ سَفِيرَةِ دُعَيْجِ بْنِ سَيْفٍ ، أعوزته معاذرُهُ
ولمَّا رأيتُ الشَّوْلَ قد حال دونها من المَهْضَبِ مُعْبَرٌ عَيفٌ عَمَائِرُهُ³
وأعرضُ ركنٌ من سَفِيرَةِ يُتَّقَى بِشَمِّ الذَّرَى لا يُعْبَدُ اللهُ عَامِرُهُ⁴
أخذتُ بني سيفٍ ومالكٍ مَوْقِعَ بما جَرَّ مولاهمُ وجَرَّتْ جرائرُهُ⁵
ولو أنَّ رَجُلِي يومَ فرَّ ابنُ جَوْشَنِ عَلِقْنَ ابنَ ظبيِّ أعوزته مَعَاوِرُهُ⁶

[هجاه أرطاة بن سهية ونفاه عن بني عوف]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني الكُرَّانِيُّ قال حدَّثنا العُمَيْرِيُّ عن عاصم بن الحدَّان قال : هجا أرطاةُ بن سهيةَ شبيبَ بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال :

فلو كنتَ عَوْفِيًّا عَمِيَّتَ وَأَسْهَلْتَ كُذَّاكَ وَلَكِنَّ المُرَيْبَ مُرَيْبٌ⁷

قال : فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهية ، فكان يقول : ليت ابن سهية حياً حتى يعلم أنني عَوْفِيٌّ ، قال : والعمى شائع في بني عوف ، إذا أسنَّ الرجل منهم عمي ، وقلَّ مَنْ يفلت من ذلك منهم .

[امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل]

وحدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليُّ بن الصباح عن ابن الكلبيِّ قال : أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله :

- 1 الشول : النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فثال لينها أي ارتفع .
- 2 يدعذع : يبدد ويفرق . العاسر : الناقة ترفع ذنبها في عدوها . سفيرة : ناحية من بلاد طيبء ، وقيل : صهوة لبني جذيمة من طيبء يحيط بها الجبل .
- 3 المهضب : جبل ينسبط على الأرض . عمائر : جمع عمارة وهي أصغر من القبيلة .
- 4 عامرة : يعني به دعيجاً .
- 5 موقع : اسم موضع .
- 6 الرجل : جماعة الرجال .
- 7 الكدي : جمع كدية وهي الأرض الصلبة .

بَكَرَ الْعَوَازِلَ يَتَدِرُّنْ مَلَامَتِي وَالْعَاذِلُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي
فِي أَنْ سَبَقْتُ بِشِرْبَةِ مَقْدِيَّةٍ صَرَفٌ مُشْعَشَعَةٌ بِمَاءِ شُنَانٍ¹

فقال له عبد الملك : شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول : [من الطويل]

وَإِنِّي لَسَهْلُ الْوَجْهِ يُعْرِفُ مَجْلِسِي إِذَا أَحْزَنَ الْقَاذُورَةَ الْمُتَعَبِّسُ²
يُضِيءُ سَنَا جُودِي لَمَنْ يَبْتَغِي الْقُرَى وَلَيْلٌ بِخَيْلِ الْقَوْمِ ظَلَمَاءُ حِنْدِسُ
أَلَيْنُ لَدِي الْقُرْبَى مِرَاراً وَتَلْتَوِي بِأَعْنَاقِ أَعْدَائِي حِبَالٌ تَمَرَّسُ³

[كان عبد الملك يتمثل بشعره ويعجب به]

قال : وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب في بذل النفس عند اللقاء ويعجب

به : [من الطويل]

دَعَانِي حِصْنٌ لِلْفِرَارِ فِسَاءِي مَوَاطِنُ أَنْ يُثْنَى عَلَيَّ فَأُشْتَمَا
فَقَلْتُ لِلْحِصْنِ نَحَّ نَفْسِكَ إِنَّمَا يَذُودُ الْفَتَى عَنْ حَوْضِهِ أَنْ يُهْدَمَا
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُتَقَدَمَا
سَيَكْفِيكَ أَطْرَافَ الْأَسِنَّةِ فَارِسُ إِذَا رِيَعَ نَادَى بِالْجَوَادِ وَبِالْحِمَى
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْمَكَارَةَ أَوْ شَكَّتْ حِبَالُ الْهُوَيْنَى بِالْفَتَى أَنْ تَجَدَّمَا⁴

[سب مهاجته عقيل بن علفة]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله اليزيدي ولم أقرأه عليه ، قال خالد بن كلثوم : كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علفة أنه كان لبني نُشْبَةَ جَارٍ مِنْ بَنِي سَلَامَانَ بْنِ سَعْدٍ ، فَبَلَغَ عَقِيلًا عَنْهُ أَنَّهُ يَطُوفُ فِي بَنِي مَرَّةٍ يَتَحَدَّثُ إِلَى النِّسَاءِ فَاْمَتَلَأَ عَلَيْهِ غِيظًا ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا جَالِسٌ وَعِنْدَهُ غِلْمَانٌ لَهُ وَهُوَ يَجُزُّ إِبَالًا لَهُ عَلَى الْمَاءِ وَيَسْمُهُمَا إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِ السَّلَامَانِيُّ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَهُوَ وَغِلْمَانُهُ فَضْرَبُوهُ ضَرْبًا مَبْرَحًا ، وَعَقَرَ رَاحِلَتَهُ ، وَانصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ بِشَرٍّ ، فَلَمْ يَعُدْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَلَجَّ الْهَجَاءُ بَيْنَهُمَا . وَكَانَ عَقِيلٌ شَرِسًا سَيِّئَ الْخَلْقِ غَيُّورًا .

1 خمر مقدية : نسبة إلى مقد وهي قرية بالأردن . مشعشة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد .

2 أحزن : صار في الحزن . القاذورة : السوء الخلق .

3 تتمرّس : يشتدّ التواؤمها .

4 تجدّم : تقطّع .

[225] - أخبار دقاق

[تزوجت يحيى بن الربيع ثم بعدة من القواد والكتاب فماتوا]

كانت دقاق مغنيةً محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مُغني الدولة العباسية ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمد ابنه ، وعُمّر عمراً طويلاً وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغني غناء ليس بمُسْتَطاب ولكنه صحيح . ومات يحيى بن الربيع فتزوجت بعده من القواد والكتاب بعدة ، فماتوا وورثتهم .

[مغنية مجيدة مشهورة بالظرف والمجون]

فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال : كانت دقاق ، أم ولد يحيى ابن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق ، مغنيةً محسنة متقنة الأداء والصنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غَضِيض ، وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقْتُ¹ دقاق فتزوجها بعد مولها ثلاثة من القواد من وجوههم ، فماتوا جميعاً ، فقال عيسى بن زينب يهجوها :

قلتُ لما رأيتُ دارَ دقاقِ	حسنها قد أضرَّ بالعشاقِ
حذروا الرابعَ الشَّقِيَّ دقاقاً	لا يكوننَّ نجمه في مُحاقِ
ألهُ عن بضعها فإن دقاقاً	شومٌ جرَّها قد سار في الآفاقِ ²
لم تضاجع بعلاً فهبَّ سليماً	بل جريحاً وجرَّحه غير راقِي ³

[كتبت إلى حمدون تصف عنها فردها عليها]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني المهدي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ، ورواية الكوكبي أتم ، قال : كتبت دقاق إلى أبي تصفُ عنها⁴ صفةً أعجزه الجوابُ عنها ، فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المُخْتَبِثِينَ حتى يصف متاعك ، فيكون جوابها ، فأحضر بعضهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عندي

1 عَتَقَ العبد : خرج عن العتق .

2 البضع : التزوج ، والبضع : النكاح .

3 راقِي : مسهل راقِي ، من رقا الدم أو الدمع : جف .

4 هن المرأة : فرجها .

القوق¹ البوق ، الأصلع المزبوق² ، الأقرع المفروق ، المنتفخ العروق ، يسدّ البثوق³ ، ويفتق الفتوق ، ويُرْمُ⁴ الخروق ، ويقضي الحقوق ، أسدّ بين جمليْن⁵ ، بغلّ بين حمليْن⁶ ، منارة بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصله مترس⁷ دَرَبٌ ، إذا دخل حَفَرٌ ، وإذا خرج قَشَرٌ ، لو نطح الفيلَ كَوَّرَه ، ولو دخل البحر كدَّره ؛ إذا رَقَّ الكلامُ ، وتقاربتِ الأجسام ، والتفت الساقُ بالساق ، ولُطِخَ باطنها⁸ بالبُصاق ، وقُرِعَ البيضُ بالذكور⁹ ، وجعلت الرماح تَمُورُ ، بطعن الفِقاح¹⁰ ، وشقَّ الأَحراج¹¹ ، صبرنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نُخدع . قال : فقطعها .

[مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس يعقوبي]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطيّب قال حدّثني أحمد بن عليّ بن جعفر قال : حضرت مرّة مجلساً وفيه ابنُ دقاق وفيه النصرانيّ المعروف بأبي الجاموس يعقوبيّ البرّاز قرابة بلال قال : فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس ، فلمّا أكثر عليه قال : اسمعوا منّي ، ثم حلف بالحنيقية أنّه لا يكذب ، وحدّثنا قال : مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونة بنت الرشيد ، ومعنا بزّ نعرضه للبيع ، فخرجت إلينا دقاق أمّ هذا تُقاولنا¹² في ثمن المتاع ، وفي يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ : الحِرُّ إلى أُثْرين أُحوجُ من الأير إلى حِرّين ، وعلى الوجه الآخر : كما أنّ الرّحّا إلى بغلين أُحوج من البغل إلى رَحَوَيْن ، قال : فأسكته والله سكوتاً علّمنا معه أنّه لو خرّس لكان الخرّس أصوّنَ لعرضه ممّا جرى .

1 القوق : الفاحش الطول .

2 المزبوق : المنتوف .

3 البثوق : الشقوق .

4 يرمّ : يصلح .

5 ل : بين شبليْن .

6 ل : بين حمارين .

7 المترس : خشبة توضع خلف الباب .

8 ل : رأسه .

9 أخذه من قول مهلهل: يرثي أخاه كليياً :

فلولا الرّيح أسمع أهل حجر صليل البيض تفرع بالذكور

والبيض : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور السيوف من حديد غير أنيث .

10 الفقاح : جمع فَقْحَة ، وهي حلقة الدُّبُر .

11 الأَحراج : جمع حِرْج وهو الفرج .

12 تقاولنا : تفاوضنا .

[كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما]

قال أحمد : وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خِلاسيان¹ يروحانها في الخيش ، فتحدثت الناس أنها قالت لواحد منهما أن ينيكها ، فعجزت فقالت له : نكني وأنت حر ، فقال لها : نيكيني أنتِ وبيعيني في الأعراب ، فقال فيها عيسى بن زينب : [من السريع]

أحسنُ من غنى لنا أو شدا دقاقُ في خفضٍ من العيشِ
لها غلامان ينيكانهما بعلة الترويحِ في الخيشِ

[قال فيها إبراهيم بن المهدي شعراً]

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال : كانت دقاق جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتري كل واحد منهم أنها تهواه ، وكانت أحسن أهل عصرها وجهاً ، وأشأمهم على من رابطها² وتزوجها ، فقال فيها أبو إسحاق ، يعني أباه :

[من الوافر]

صوت

علمتُك يا صديقة كل خلقي أكل الناس ويحك تعشقين؟
فكيف إذا خلطت الغث منهم بلحم سمينهم لا تبشميننا³

فيه خفيف رمل ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى رقيق وإلى شارية .

[قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً]

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو هفان قال : خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى ، إلى بعض النواحي ، وترك جاريته دقاق في داره ، فعملت بعده الأوبد⁴ ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها ، فقال أبو موسى الأعمى فيه : [من الخفيف]

قل ليحيى نعم صبرت على المو ت ولم تخش سهم ريب المنون
كيف قل لي أطقت ويحك يا يح سبي على الضعف منك حمل القرون !
ويح يحيى ما مرر باست دقاق بعد ما غاب من سياط البطون

1 الخلاسي : الولد بين أبيض وأسود .

2 رابطها : لازمها .

3 بشيم : أتخم .

4 الأوبد : جمع أبدة ، وهي الداهية يقى ذكرها على الأبد .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

تكاشرني كُرْهاً كأنك ناصحٌ وعينك تُبدي أن صدرك لي دوي¹
لسانك لي حلوٌ وعينك علقمٌ وشركٌ مبسوطٌ وخيرك ملتوي
الشعر ليزيد بن الحكم الثقفي والغناء لإبراهيم ثقل أول مطلق في مجرى البصر عن
إسحاق ، وفيه لجهم العطار خفيف ثقل عن الهشامي .

1 كاشره : ضحك في وجهه وباسطه . دوي : مرض .

[226] - نسب يزيد بن الحكم وأخباره

[نسبه]

هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابي . وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وأن عثمان عمه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي وهو ثقيف .

[روى جدّه عثمان حديثاً]

وعثمان جدّه أو عمّ أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكره ، وشطّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ؛ كانت له هناك أرض أقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول الله ﷺ الحديث ، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومطرف بن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان ، سمعه من محمد بن إسحاق ، وسمعه محمد بن سعيد بن أبي هند ، وسمعه سعيد بن أبي هند من مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : سمعت عثمان بن أبي العاص الثقفي يقول : قال لي رسول الله ﷺ : «أم قومك واقدرهم بأضعفهم فإن منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة» . قال الحميدي وحدثنا الفضيل بن عياض عن أشعب عن الحسن بن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله ﷺ : «اتخذوا مؤذناً ولا يأخذ على أذانه أجراً» .

[مرّ به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل قال حدثني أبي قال : مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي يُنشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم ؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته . وأمّ يزيد بكره بنت الزبير بن بدر ، وأمّها هنيذة بنت صعصعة بن ناجية . وكانت بكره أول عريّة ركبت البحر فأخرج بها إلى الحكم وهو بتوج¹ ، وكان الزبيران يكنى أبا العباس ، وكان له بنون منهم العباس وعياش .

1 توج : بلد بفارس .

[خبره مع الحجاج وقد ولّاه كورة فارس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الحزّامي قال : دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفّي ، فولّاه كورة فارس ، ودفع إليه عهدَه بها ، فلمّا دخل عليه ليودّعه قال له الحجاجُ : أتشدّني بعضَ شعرك ، وإنّما أُرَادُ أَنْ يُنْشِدَهُ ، مدحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول :

وأبي الذي سلب ابنَ كسرى رايةً بيضاءَ تَخْفِقُ كالعُقَابِ الطائرِ
فلمّا سمع الحجاجُ فخره نهض مُغْضِباً ، فخرج يزيد من غير أن يودّعه ، فقال الحجاجُ
لحاجبه : ارتجع منه العهد ، فإذا ردّه فقل له : أيهما خيرٌ لك : ما ورّتك أبوك أم هذا ؟ فردّ
على الحاجب العهد وقال : قل له :

ورثتُ جدّي مجدهَ وفعله وورثتُ جدّكُ أغزاً بالطائفِ

[خرج عن الحجاج مغضباً ولحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه]

وخرج عنه مغضباً ، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها : [من البسيط]
أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمُوداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا
يقول فيها :

سمّيتَ باسم امرئ أشبهتَ شيمته عدلاً وفضلاً سليمانَ بن داوداً
أحمِدُ به في الورى الماضينَ من ملكِ وأنتَ أصبحتَ في الباقيينَ محموداً
لا يَبْرَأُ الناسَ من أن يحمِدوا ملكاً أولاهُمُ في الأمورِ الحلمَ والجوداً

فقال له سليمان : وكمّ كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي
لك عليّ ما دمتَ حيّاً . وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبهته :

صوت

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنّ أحورَ من غزلانِ ذي بقرٍ أهدى لها شبةَ العينينَ والجيدا¹
أجرى على موعدي منها فتخلفني فلا أملٌ ولا تُوفي المواعيدا
كأنّني يوم أمسي لا تكلمني ذو بُغيةٍ يتغي ما ليس موجوداً

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

عروضه من البسيط ، والغناء للغريض ، ثقیل أول بالنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أنه لمعبد ثقیل أول بالوسطى .
[حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس]

أخبرنا محمد بن العباس الزبيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عيَّاش عن أبيه قال : سمعت الحجاج ، واستوى جالساً ، ثم قال : صدق والله زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

وما العفو إلا لامرئ ذي حفيظة متى يعف عن ذنب امرئ السوء يلجج
فقال له يزيد بن الحكم : أصلح الله الأمير ، إني قد رثيت ابني عنبساً بيت ، إنه لشبيه بهذا . قال : وما هو ؟ قال قلت :

ويأمن ذو حلم العشيرة جهله ويخشى جهله جهلاؤها
قال : فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني ترثيه به ؟ فقال : إن ابني والله كان أحب إلي من ابنيك .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكرائي عن الهيثم بن عدي . قال : كان ليزيد بن الحكم ابن يقال له عنبس ، فمات فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه : [من الطويل]

جزى الله عني عنبساً كل صالح إذا كانت الأولاد سيئاً جزاؤها
هو ابني وأمسى أجره لي وعزني على نفسه رب إليه ولاؤها
جهول إذا جهل العشيرة يبتغي حليم ويرضى حلمه حلماًؤها
وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول .

[شاعر ثقيف في الجاهلية خير من شاعرها في الإسلام]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال عبد الملك بن مروان : كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام ، فقيلاً له : من يعنى أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول :

فما منك الشباب ولست منه إذا سألتك لحيتك الخضبا
عقائل من عقائل أهل نجد ومكة لم يعقلن الركبا
ولم يطرذن أبقع يوم ظعن ولا كلباً طردن ولا غربا
وقال شاعرهم في الجاهلية :

[من الكامل]

والشيب إن يظهر فإن وراءه عُمراً يكون خلاؤه مُتَنَفَسُ
لم يَنْتَقِصْ مِنْي الْمَشِيبُ قَلَامَةً وَلَمَّا بَقِيَ مِنْي أَلْبٌ وَأَكَيْسُ¹

[شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرَائي قال حدثنا العُمَري عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم
الثقفي ليزيد بن المهلب حين خَلَع يزيد بن عبد الملك :

أبا خالد قد هجّت حرباً مريرةً وقد شمرت حرباً عواناً فشمّر
فقال يزيد بن المهلب : بالله أستعين ، ثم أنشده ، فلما بلغ قوله :
فإن بني مروان قد زال مُلكُهُمْ فإن كنت لم تشعُرْ بذلك فاشعُرِ
فقال يزيد بن المهلب : ما شعرت بذلك ، ثم أنشده فلما بلغ قوله :
فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تَمّت وسيفك مشهور بكفّك تُعذِرُ
قال : هذا ما لا بدّ منه .

قال العمري : وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش أن يزيد بن المهلب إنّما كتب
إليه يزيد بن الحكم بهذه الأبيات ، فوَقَعَ إليه تحت البيت الأول : أستعين بالله . وتحت
البيت الثاني : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أمّا هذه فنعم .
[مدح يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني الغلابي قال حدثني ابن عائشة قال : دخل
يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب في سجن الحجاج وهو يعذب ، وقد حلّ عليه نَجْمٌ كان قد
نُجِّم² عليه ، وكانت نجومه في كلِّ أسبوع ستّة عشر ألف درهم فقال له :

أصبح في قيّدك السماحة والجو دُ وفضل الصّلاح والحسب³
لا بطرٌّ إن تابعت نَعَم وصابرٌ في البلاء محتسبٌ
بززت سبِقَ الجيادِ في مهلٍ وقصرت دون سعيك العربُ
قال : فالتفت يزيد بن المهلب إلى مولى له ، وقال : أعطيه نجمَ هذا الأسبوع ، ونصبرُ على

العذاب إلى السبت الآخر .

وقد رُويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيضٍ مع يزيد .

1 ألب وأكيس : أكثر عقلاً وحزماً .

2 تنجيم الدين : أن يقدر دفعه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة .

3 وفضل الصلاح في ل : وحمل السلاح .

[جرير يروي بعض شعره]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني هارون بن مسلم قال حدثني عثمان بن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيف بالبصرة : أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست في مسجدها وغشيتني قوم من أهلها ، قال : فوالله إنني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجج في مشيته ، فلما رأيته أقبل إلي ، فقال القوم : هذا جرير ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي ، ثم قال لي : السلام عليك ، ممن أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيف . قال : أعرضت¹ الأديم ، ثم ممن ؟ قلت :] رجل من بني مالك ، فقال : لا إله إلا الله ! أمثلك يعرف بأهل بيته ! فقلت : أنا رجل من ولد أبي العاصي ، قال : ابن بشر ؟ قلت : نعم . قال : أيهم أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحكم . قال : فمن الذي يقول :

فَنَيَّ الشَّبَابُ وَكُلُّ شَيْءٍ فَإِنْ
وَعَلَا لِدَاتِي شَيْبُهُمْ وَعَلَانِي

قلت : أبي ، قال . فمن الذي يقول :

أَلَا لَا مَرْحَبًا بِفِرَاقِ لَيْلِي
شِبَابٌ بَانَ مَحْمُودًا وَشَيْبٌ
فَمَا مِنْكَ الشَّبَابُ وَلَسْتَ مِنْهُ

قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول :

تَعَالَوْا فَعُدُّوا يَعْلَمُ النَّاسُ أَيُّنَا
تَزِيدُ يَرْبُوعٌ بِكُمْ فِي عِدَادِهَا
لصاحبه في أول الدهر تابع
كما زيد في عرض الأديم² الأكارع

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبي أصون لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك ، فقال : رحم الله أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم انصرف ، فنزلني بكبشين ، فقال لي أهل اليمامة : ما نزل أحداً قبلك قط .

[شعره في جارية مغنية كان يهواها]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حوراء المغني قال : كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جارية مغنية ، وكانت غير مطاوعة له ، فكان يهيم بها ، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها ، فمرت بيزيد بن

1 أعرض الشيء وعرضه : جعله عريضاً أي واسعاً .

2 الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق .

الحكم مع غلطة لمولاها وهي راحلة ، فلما علم بذلك رفع صوته فقال : [من مخلع البسيط]

يا أيها النازحُ الشُّوعُ ودائعُ القلب لا تَضِيعُ¹
أَسْتودِعُ اللهَ مَنْ إِلَيْهِ قلبي على نأيه نَزُوعُ²
إذا تَذَكَّرْتَهُ اسْتَهَلَّتْ شوقاً إلى وجهه الدَّمُوعُ

[الجارية تكتب إليه]

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدة ، فبينما هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له : أنت يزيد بن الحكم ؟ قال : نعم ، فدفع إليه كتاباً مختوماً ، ففضَّه فإذا كتابها إليه وفيه :

[من مخلع البسيط]

لئن كوى قلبك الشُّوعُ فالقلبُ مِنِّي به صُدُوعُ
وبي وربُّ السماء فاعلم إليك يا سيدي نَزُوعُ
أعزَّزُ علينا بما تلاقي فينا وإن شَفَّنَا الوَلُوعُ
فالنفسُ حرَّى عليك ولهي والعين عبَّرى لها دمُوعُ
فموتنا في يدِ التئائي وعيشنا القربُ والرجوعُ
وحيثما كنتَ يا منايا فالقلبُ مِنِّي به خُشُوعُ
ثم عليك السلام مِنِّي ما كان من شمسها طلُوعُ

قال : فبكى والله حتى رحمه من حضر ، وقال لنا الكهل : ما قصته ؟ فأخبرناه بما بينهما ، فجعل يستغفر الله من حمله الكتاب إليه ، وأحسب أن هذا الخبر مصنوع ؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزره .

[شعر نسب إليه وإلى طرفه بن العبد وأبو الفرج يرى أنه ليس من نوع شعر طرفه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء ، رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، لطرفه بن العبد :

[من الطويل]

تُكاشرني كرهاً كأنك ناصح وعينك تُبدي أن صدرك لي جوي

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفي فأنشدني أبو الزعراء لطرفه بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إن أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحكم ، ويزيد مولدٌ يجيد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

1 الشُّوعُ : الشَّاعُ البعيد .

2 النزوع : المشتاق .

قال مؤلف هذا الكتاب : ما أظنُّ أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأنَّ العلماء من رواة الشعر رَوَوْها ليزيد بن الحكم ، وهذا أعْرابيٌّ لا يَحْصُلُ ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنّه ليزيد بن الحكم ، وليس كذلك ، لكان معلوماً أنّه ليس لطرفة ، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه ، وهو يزيد أشبه ، وله في معناه عدّة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربّه بن الحكم وابن عمّه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومن قال إنّه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنّ عمّه عبد الرحمن هو الذي عاتبه ، وفيه يقول : [من الطويل]

وموئلي كذّيب السوء لو يستطيعني
وأعرضُ عمّا ساءه وكأتما
مجاملةً منّي وإكرامَ غيره
ولو شئت لولا الحلمُ جدّعتُ أنفه
حفاظاً على أحلام قوم رزئتهم
أصاب دمي يوماً بغير قتيل
يقاد إلى ما ساءني بدليل
بلا حسنٍ منه ولا بجميل
بايعاب جَدْعٍ بادىءٍ وعليل¹
رزانٍ يزِينون النَّديَّ كُهولٍ

[من البسيط]

وقال في أخيه عبد ربّه :

أخي يُسرُّ لي الشَّحناءَ يُضْمِرُها
حرّانُ ذو غُصّةٍ جرّعتُ غُصّته
حتى إذا ما أساغ الرّيقَ أنزلني
أسعى فيكفرُ سعيي ما سعتُ له
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ
حتى وري جوفه من غمّه الداء²
وقد تعرّض دون الغصّة الماء
منه كما يُنزل الأعداء أعداء
إنّي كذلك من الإخوان لقاء
يعدهنّ تيراتٍ وهي آلاء

فأمّا تمام القصيدة التي نُسبت إلى طرفة فأنّا أذكر منها مُختارها ليعلم أنّ مردول كلام

[من الطويل]

طرفة فوقه :

تُصافِحُ من لاقيتَ لي ذا عداوة
أراك إذا لم أهوْ أمراً هويته
أراك اجتويتَ الخيرَ منّي واجتوي
فليت كفافاً كان خيرك كلّه
صيفاحاً وعنّي بين عينيك مُنزوي
ولستَ لِمَا أهوى من الأمرِ بالهوي
أذاك ، فكلُّ يجتوي قُربَ مجتوي
وشركٌ عنّي ما ارتوى الماء مرتوي

1 جدعت : قطعت . وأوعبه إيعاباً : استوعبه .

2 يقال : وري الفيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغلّ .

عدوك يخشى صولتي إن لقيته
 وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى
 وأنت عدوي ، ليس ذاك بمستوي
 بأجرامه من قلة النيقٍ منهوي¹
 وقلت ألا يا ليت بنيانه خوي²
 شجٍ أو عميدٌ أو أخو غلةٍ لوي³
 تُذيك حتى قيل هل أنت مكتوي
 ثلاث خصال لست عنهن ترعوي
 ويداو بك الداحي إلى كل سوءة
 بدا منك غشٌ طالما قد كتمته
 فيا شرٌّ من يدحو إلى شرٍّ مُدحوي⁴
 كما كتمت داء ابنها أمٌ مُدوي⁵
 وهذا شعرٌ إذا تأمله من له في العلم أدنى سهمٍ عَرَفَ أنه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أبى القلب إلا أمٌ عوفٍ وحبها
 عجزوا ، ومن يعشق عجزاً يُفند
 كتوب يمانٍ قد تقادمَ عهدُه
 ورُقعته ما شئت في العين واليد
 الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلويه ، ثقیل أول بالبصر عن عمرو بن بانه .

- 1 طاح يطيح ويطوح : هلك . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .
- 2 خوي المنزل : خلا من أهله .
- 3 شج : حزين . لوي : أصابه اللوى ؛ وهو وجع في الجوف .
- 4 ل :

ويدعو بك الداعي إلى كل سوءة فيا شرٌّ من يدعو إلى شرٍّ من دُعي

- 5 أدوى : أكل الدواية ، وهي جليدة رقيقة تعلق اللبن والمرق .

[227] - أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

[نسبه]

اسمه ظالم بن عمرو بن سُقيان بن جندل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفائَةَ بن عديّ بن الدُّرَيْل بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وهم إخوة قريش ، لأنَّ قريشاً مختلفٌ في الموضع الذي افتقرت [فيه] مع بني أبيها ، فخصَّت بهذا الاسم دونهم ، وأبعدُ مَنْ قال في ذلك مَدَى مَنْ زعم أن النضر بن كِنانة منتهى نسبِ قريش ؛ فأما النَّسَابون منهم فيقولون إن من لم يُلده فِهْر بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً .

[كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم]

وكان أبو الأسود الدؤليّ من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر ، وروى عن ابن عباس وغيره ، واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة عليّ . وذكر أبو عبيدة أنّه أدرك أوّل الإسلام وشهد بدرّاً مع المسلمين . وما سمعتُ بذلك عن غيره .

[ولآه عليّ البصرة بعد ابن عباس]

وأخبرني عمّي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَميّ عن أبي عبيدة مثله .

واستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عباس ، وهو كان الأصل في بناء النحو وعقَدِ أصوله .

[كان أوّل مَنْ وضع النحو ورسم أصوله]

أخبرنا أبو جعفر بن رُستم الطُّبريّ النحويّ بذلك عن أبي عثمان المازنيّ عن أبي عمر الجرميّ عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرميّ عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعْمُر الليثيّ .

أنَّ أبا الأسود الدؤليّ دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ ! (رفعتُ أشدّ) فظنّها تسألُه وتستفهم منه : أيُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجر ، [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمّي شهور السنة بهذه الأسماء] . فقالت : يا أبتِ إنّما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبَتْ لغة العرب لما خالطت العجم ، وأوشك إن تطاولَ عليها زمان أن تضمحلّ ، فقال له : وما

ذلك ؟ فأخبره خبير ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كلّهُ لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى ، وهذا القول أول كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلّها ، فنقلها النحويّون وفرّعوها . قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هذا حفِظته عن أبي جعفر وأنا حديث السنن ، فكتبتُه من حفِظي ، واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه .
[أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤليّ أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهريّ ، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديّ وكان صليبية فلحب الطريق¹ . ونجم علي بن حمزة الكسائيّ مولى بني كاهلٍ من أسديّ فرسم للكوفيّين رسوماً هم الآن يعملون عليها .
[أخذ النحو عن عليّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأحفش قال حدّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال حدّثنا التوزييّ والمهريّ قالا حدّثنا كيّسان بن المعرف الهجيميّ أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه قال : قيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العِلْم ؟ ، يعنون به النحو ، فقال : أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .
[خبره مع زياد في سبب وضع النحو]

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاعر العبيريّ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيَّاش عن عاصم بن أبي النجود قال : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤليّ ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إنني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ، وتغيّرت ألسنتهم ، أفأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم ؟ قال : لا . قال : ثم جاء زياداً رجل فقال : مات أبانا وخلف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلف بنون ! ردّوا إليّ أبا الأسود الدؤليّ ، فردّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتك عنه . فوضع لهم النحو . وقد روى هذا الحديث عن أبي بكر بن عيَّاش يزيد بن مهراّن ، فذكر أنّ هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .
[أول باب وضعه في النحو باب التعجب]

أخبرني أحمد بن العباس قال حدّثنا العنزّيّ عن أبي عثمان المازنيّ عن الأحفش عن

1 صليبية : عربي صليب : خالص النسب ، وامرأة صليبية : كريمة النسب عريقة . حب الطريق : بيته .

الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب .

[كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم]

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم ، ماثورٌ عنه الفضلُ في جميعها ؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدُّهاة والنحويين والحاضريين الجواب والشيعة والبخلاء والصلُّع الأشراف والبُخر الأشراف .

[حديثه عن عمر بن الخطاب]

فمما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبي ﷺ ، حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن أبي بريدة عن أبي الأسود الدؤلي قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فمرت به جنازة فأتني على صاحبها خير ، فقال عمر رضي الله عنه : وجبت ، ثم مرَّ بأخرى فأتني على صاحبها بشر ، فقال عمر : وجبت ، فقال أبو الأسود : ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله ﷺ : «أيما مسلمٍ شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة» فقلنا : وثلاثة ؟ قال : «وثلاثة» ، فقلنا : واثنان ؟ قال : «اثنان» ، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدثني حماد بن سعيد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن أبي الأسود الدؤلي قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال : إن نبي الله ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوراً حتى يأتي أمر الله جلّ وعزّ» .

[حديثه عن علي]

ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه أبي الأسود الدؤلي عن علي كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية : يُغسل ، وفي بول الغلام : يُنضح ما لم يأكلا الطعام .

[تبع ابن عباس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليرده فلبى]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلّى بن هلال عن الشعبي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني جميعاً قالوا : لما خرج ابن عباس رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو

الأسود في قومه ليرده ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هلال فمنعوه ، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَشُدُّكُمْ اللهُ أَلَّا تَسْفِكُوا بَيْنَنَا دَمَاءَ تَبْقَى مَعَهَا الْعِدَاوَةُ إِلَى آخِرِ الْأَيْدِ ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه ، فلا تُدْخِلُوا أَنْفُسَكُمْ بَيْنَهُمَا ، فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولاه البصرة .

[كان كاتباً لابن عباس على البصرة قبل أن يتولّاها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ووكيع وعمي قالوا جميعاً حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عمران الضبيّ قال حدّثني خالد بن عبد الله قال حدّثني أبو عبيدة معمر بن المثنى قال : كان أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لابن عباس على البصرة ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجة فاذعُ الإله وأحسن الأعمالا
فليُعْطِيَنَّكَ ما أراد بقدره فهو اللطيف لما أراد فعلا
إن العبادَ وشأنهم وأمورهم بيد الإله يقَلِّبُ الأحوالا
فدع العبادَ ولا تكن بطلا بهم لهجاً تَضَعُّعُ للعبادِ سؤالا¹

[كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن محمد بن سلام قال : كان أبو الأسود الدؤليّ قد أسنَّ وكبر ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تُكثر الركوب وقد ضعفتَ عن الحركة وكبرتَ ، ولو لزمْتَ منزلك كان أودعَ لك . فقال له أبو الأسود : صدقتَ ولكن الركوب يُشدُّ أعضائي ، وأسمعُ من أخبار الناس ما لا أسمعُه في بيتي ؛ وأستنشى الريح ، وألقى إخواني ، ولو جلست في بيتي لاغتمَّ بي أهلي ، وأنسَ بي الصبيّ ، وأجترأ عليّ الخادم ، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي ، إلانفهم إياي ، وجلوسهم عندي ؛ حتى لعلّ العنز أن تبول عليّ فلا يقول لها أحد : هُسن² .

[سأله بنو الدليل المعاونة في دية رجل فأبى وعلل امتناعه]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو عكرمة قال : كان بين بني الدليل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الدليل منهم رجلاً ، ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دية ، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ العشيرة وسيدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يدٍ ولا سوؤدٍ ولا جود ، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، ثم قال له : قد

1 تتضعع : تخضع وتذلّ .

2 هُسن : زجر للغنم .

أكثرت يا ابن أخي فاسمع مني : إن الرجل والله ما يعطي ماله إلا لإحدى خِلال : إما رجلٌ أعطى ماله رجاءً مكافأةً ممن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة ، أو رجل أحمق خُدِعَ عن ماله ، والله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء من هذا ، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع هؤلاء ، ولما أهدتكَ إياه في عقلك خيرٌ لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الدليل ، قوموا إذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

[استهزأ به رجل فردَّ عليه فأفحمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تميم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به ، فمرّ به أبو الأسود الدؤلي يوماً فقال لقومه : كأن وجه أبي الأسود وجه عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاق ، فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود . ثم مرّ به مرة أخرى ، فقال لهم : كأن غضونَ قفا أبي الأسود غضونَ الفِجاج . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف ففحة أملك فيهنّ ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود ، فاعتذروا إليه بما كان ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله :

[من الطويل]

أَنْ اسْمَعَهُ وَمَا بِسَمْعِي مِنْ بَاسٍ	وَأَهْوَجَ مِلْجَاجٍ تَصَامَمْتُ قَبْلَهُ
عَلَى أَنْفِهِ حَدْبَاءٌ تُغْضِلُ بِالْأَسِي ¹	وَلَوْ شِئْتُ قَدْ أَعْرَضْتُ حَتَّى أُصِيبَهُ
وَأَصْغَرَ آثَاراً مِنَ النَّحْتِ بِالْفَاسِ	فَإِنْ لِسَانِي لَيْسَ أَهْوَنَ وَقَعَةً
كَذِي الْخَيْلِ تَأْبَى نَفْسُهُ غَيْرَ وَسْوَاسِ	وَذِي إِحْنَةٍ لَمْ يُبْدِهَا غَيْرَ أَنَّهُ
وَعَيْنِي - وَمَا يَدْرِي - عَلَيْهِ وَأَحْرَاسِي	صَفَحْتُ لَهُ صَفْحاً جَمِيلاً كَصَفْحِهِ
فَحاً جَبَلِيٌّ لَا يَعَاوِدُهُ الْحَاسِي ²	وَعِنْدِي لَهُ إِنْ فَارَ فَوَارُ صَدْرِهِ
كَثِيرِ الْخَنَا صَعْبِ الْمَحَالَةِ هَمَّاسِ	وَحَبُّ لِحُومِ النَّاسِ أَكْثَرُ زَادِهِ
لَمَنْ نَابَهُ مِنْ حَاضِرِ الْجَنِّ وَالنَّاسِ	تَرَكْتُ لَهُ لِحْمِي وَأَبْقَيْتُ لِحْمَهُ
يَعْضُ بِصُمٍّ مِنْ صَفَا جَبَلٍ رَاسِي	فَكَرَّ قَلِيلاً ثُمَّ صَدَّ كَأَنَّمَا

1 حدباء : صعبة شديدة . الآسي : المداوي . أعضل به الأمر : ضاقت عليه الخيل فيه .

2 الفحا : توابل القدور .

[حكايات في بخله]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :
خرج أبو الأسود الدؤليّ ومعه جماعة أصحاب له إلى الصيد ، فجاءه أعرابيّ فقال له : السلام
عليك . فقال له أبو الأسود : كلمة مقولة . قال : أدخل ؟ قال : وراؤك أوسع لك . قال : إن
الرّمضاء قد أحرقت رجلي ، قال : بلّ عليها أو ائت الجبل يقيء عليك . قال : هل عندك شيء
تطعمنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العيال ، فإن فضل شيء فأنت أحق به من الكلب ، فقال الأعرابيّ :
ما رأيت قطّ الأمّ منك . قال أبو الأسود : بلى قد رايت ؛ ولكنك قد أنسيت .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ بهذا الخبر
فقال فيه : كان أبو الأسود جالساً في دهليزه وبين يديه رطب ، فجاز به رجل من الأعراب
يقال له ابن أبي الحمامة ، فسلم ثم ذكر باقي الخبر ، مثل الذي تقدمه ، وزاد عليه فقال : أنا
ابن أبي الحمامة . قال : كن ابن أبي طاووسة ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلا أطعمتني ممّا
تأكل ، قال : فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رطبات ، ف وقعت إحداهنّ في التراب ، فأخذها
يمسحها بثوبه ، فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها
به ، فقال : إنّما كرهت أن أدعها للشيطان ، فقال له : لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها .

[أسرّ إلى صديقه أنه يريد خطبة امرأة من عبد القيس فأفشى سرّه إلى ابن عمّه فزوجت ابن عمّها]

أخبرني محمد بن عمران الضبيّ الصّيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن
معاوية الأسديّ قال ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : خطب أبو الأسود الدؤليّ امرأة
من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزديّ يقال له
الهيثم بن زياد ، فحدث به ابن عمّ لها كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن
عمّها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبي الأسود ، وسألهم أن
يمنعوها من نكاحه ، ومن مالها الذي في أيديهم ، ففعلوا ذلك ، وضاروها حتى تزوّجت لابن
عمّها ، فقال أبو الأسود الدؤليّ في ذلك :

إلى بعض من لم أخش سراً مُمنعا	لعمرى لقد أفشيت يوماً فخانني
ونادى بما أخفيت منه فأسمعا	فمزقه مزق العمي وهو غافل
وقد يعثر الساعي إذا كان مسرعاً ¹	فقلت ولم أفحش لعمّ لك عاثراً
أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعاً	ولستُ بجازيك الملامّة إنني

1 لعمّ لك : كلمة يدعى بها للعاثر أن يتعمش .

ولكن تعلّم أنه عهدٌ بيننا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى
فبين غير مذموم ولكن مُودعاً
وأنت نجياً آخرَ الدهر أجمعاً¹
سواك له إلا أشتت وأضيعا

[وقال أيضاً في من أفضى سرّه]

قال : وقال فيه :

[من الطويل]

أمنتُ امرءاً في السرّ لم يك حازماً
أذاع به في الناس حتى كأنّه
ولكنّه في النصح غيرُ مُريبٍ
بعلياء نارٌ أوقدتُ بثقوبٍ²
قوارعُه من مخطيء ومُصيبٍ
وما كلّ مؤتٍ نصحه بليبٍ
فما كلّ ذي نصح بمؤتيك نصحه
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ

[اشترى جارية حولاء فعابها أهله فردّ عليهم]

أخبرني عمّي قال حدثني الكُرانيّ قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عمّاش
قال : اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته ، وكانت حولاء ، فعابها أهله عنده بالحوّل ، فقال
في ذلك :

[من الطويل]

يَعْبُونَهَا عِنْدِي وَلَا عَيْبَ عِنْدَهَا
فَإِنْ يَكُ فِي الْعَيْنِينَ سُوءٌ فَإِنَّهَا
سوى أن في العينين بعضَ التأخّرِ
مُهْفَهْفَةٌ الْأَعْلَى رَدَاخُ الْمُؤَخَّرِ³

[نحّام إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه
قال : كان لأبي الأسود الدؤليّ صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم ،
وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له ، وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما ،
فقال له خصم صديقه : إني بالذي بينك وبينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف عليّ في
الحكم ، وكان صديق أبي الأسود ظالماً ، فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له
صديقه : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت عليّ بغير
الحقّ ، فقال أبو الأسود :

[من الطويل]

1 النجى : المسار .

2 الثقوب : ما أثقبت به النار أي أوقدتها به .

3 مهفهفة : ضامرة البطن . رداخ : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلَفَ راضياً
 وإن كنتَ أنتَ الظالمَ القومَ فاطْرِحْ
 وقاربْ بذِي جهلٍ وباعدْ بعالمٍ
 فإن حذبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا
 ولا تدعُني للجورِ واصبرِ على التي
 فإنِّي امرؤٌ أخشى إلهي وأتقي

عن القوم حتى تأخذ النصفَ واغضب¹
 مقاتلهم واشغَبْ بهم كلَّ مشغَبِ
 جلوبٍ عليك الحقَّ من كلِّ مجلَبِ
 ليستمكِنوا ممَّا وراءك فاحذب²
 بها كنتَ أقضي للبعيد على أبي
 معادي وقد جربتُ ما لم تجربِ

[كتب مستجدياً إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحر فرمى كتابه]

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أنّ محمد بن سلام حدثه ، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلام قال : وجه أبو الأسود الدؤليّ إلى الحصين بن أبي الحرّ العنبريّ جدّ عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، وإلى نعيم بن مسعود النهشليّ وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه إليهما وأراد أن يترّاه ، ففعل ذلك نعيم بن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحرّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين :

[من الطويل]

حسيت كتابي إذ أتاك تعرّضاً
 وخبرني من كنتُ أرسلتُ أنما
 نظرتَ إلى عنوانه فنبذته
 نعيمُ بن مسعود أحقُّ بما أتى
 يصيبُ وما يدري ويخطي وما درى

لسيِّك ، لم يذهب رجائي هنالك
 أخذتَ كتابي مُعرِضاً بشمالكا
 كنبذك نعلأً أخلقتُ من نعالكا
 وأنتَ بما تأتي حقيق بذلك
 وكيف يكون النوكُ إلا كذلكا ؟

قال محمد بن سلام : فتقدّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ ، وهو قاضي البصرة ، مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثّل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيبُ وما يدري ويخطي وما درى
 وكيف يكون النوكُ إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل . فقال له : ادن ، فقال له : إن أحقّ الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل ، فتبسّم عبيد الله وقال له : إني أرى فيك مُصطنعاً³ فقم إلى منزلك ، وقال لخصمه : رح إليّ ، فغرم له ما كان يطالب به .

1 النصف : الانتصاف .

2 قعس : نقيض الحذب .

3 المصطنع : أي محل للصنعة والجميل .

[أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي عن ابن عائشة قال : أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس ، فقالت له ابنته : يا أبت إنك قد كبرت ، وهذا صميم الشتاء ، فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمناً ، فإني أخشى عليك ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

إذا كنت معيّباً بأمرٍ تريده	فما للمضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله إن ما	تراد به آتيك فاقنع بذئ الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للردى	من الخفض في دار المقامة والنمل ¹
ولا تحسبيني يابتي عز مذهبي	بظنك ، إن الظن يكذب ذا العقل
وإني ملاق ما قضى الله فاصبري	ولا تجعلي العلم المحقق كالجهل
وإنك لا تدرين : هل ما أخافه	أبعدي يأتي في رجلي أو قبلي
وكم قد رأيت حاذراً متحفظاً	أصيب وألفته المنية في الأهل

[خبره مع صديقه نسيب بن حميد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إبراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان لأبي الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد ، وكان يغشاه في منزله ، ويتحدث إليه في المسجد ، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه ؛ فرأى أبو الأسود يوماً معه مستقه² مضملة أصبهاية من صوف ، فقال له أبو الأسود : ما تصنع بهذه المستقة ؟ فقال : أريد بيعها ، فقال له أبو الأسود : انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به إليك ، فإنها من حاجتي ، قال : لا بل أكسوكها ، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمانها ، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم ، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم ، فردّها وقال : لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً ، فقال أبو الأسود : [من الكامل]

بِعني نسيبٌ ولا تُبني إني	لا أستيبٌ ولا أئيبٌ الواهبا
إن العطيّة خيرٌ ما وجّهتها	وحسبها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطيّة ما يعود غرامةً	وملامة تبقى ومناً كاذبا
ويلوت أخبارَ الرجال وفعلهم	فمكّت علماء منهم وتجاربا

1 الثمل : الإقامة والمكث .

2 المستقه : فروة طويلة الكم . وثوب مضمّل : له خمل : أي هذب كهذب القطيفة .

فَأَخَذْتُ مِنْهُمْ مَا رَضِيْتُ بِأَخْذِهِ وَتَرَكْتُ عَمْدًا مَا هُنَالِكَ جَانِبًا
فَإِذَا وَعَدْتُ الْوَعْدَ كُنْتُ كِفَارِمٍ دَيْنًا أَقْرَبَ بِهِ وَأَحْضَرَ كَاتِبًا
حَتَّى أَنْفَذَهُ عَلَيَّ مَا قُلْتُهُ وَكَفَى عَلَيَّ بِهِ لِنَفْسِي طَالِبًا
وَإِذَا فَعَلْتُ فَعَلْتُ غَيْرَ مُحَاسِبٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ جَازِيًا وَمُحَاسِبًا
وَإِذَا مَنَعْتُ مَنَعْتُ مَنَعًا بَيْنًا وَأَرَحْتُ مِنْ طَوْلِ الْعَنَاءِ الرَّاعِبًا
لَا أَشْتَرِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بِقَاوِهِ يَوْمًا بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبًا¹

[ضُرِطَ فِي مَجْلِسٍ مَعَاوِيَةَ فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَرَهَا عَلَيْهِ ، فَوَعَدَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال : زعم أبو بكر الهذلي أن أبا الأسود الدؤلي كان يحدث معاوية يوماً فتحرك فصرط ، فقال لمعاوية : استرها علي ، فقال : نعم ، فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم ، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلت صرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكل أجوف ضروط ، ثم أقبل علي معاوية فقال : إن امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بالآ يؤمن علي أمور المسلمين .

[تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَرَزَةَ زَعَمَتْ أَنَّهَا مَدْبِرَةٌ صَنَاعَ فَوَجَدَهَا مَدْبِرَةً فَطَلَّقَهَا]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث إليها ، وكانت برزة² جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك في أن أتزوجك ؟ فإني صناع³ الكف ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور ، قال : نعم ، فجمعت أهلها فتزوجته ، فوجد عندها خلاف ما قدره ، وأسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى خيانتة ، وأفشت سره ، فغدا علي من كان حضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا ، فقال لهم :

أَرَيْتَ امْرَأَةً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ أَتَانِي فَقَالَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا⁴

1 واصباً : دائماً .

2 امرأة برزة : كهلة جليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويتحدثون .

3 امرأة صناع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين .

4 أريت : أصله أرايت ، يقولون : أرايتك بمعنى أخبرني .

فخاللته ثم أكرمته فلم أستفد من لذه فتिला
 وألفيته حين جرته كذوب الحديث سروقاً بخيلا
 فذكرته ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولاً جميلاً
 فألفيته غير مستعيب ولا ذاكر الله إلا قليلاً¹
 ألت حقيقاً بتوديعه وإتباع ذلك صرماً طويلاً ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبكم ، وقد طلقته لكم ، وأنا أحب أن
 أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .

[أنكر عليه معاوية بخره فردّ عليه]

حدّثنا اليزيديّ قال حدّثنا البغويّ قال حدّثنا العمريّ قال : كان أبو الأسود أبخر ، فسارّ
 معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمّ على أنفه ، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال :
 لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار المشايخ البخر .

[عابه زياد عند عليّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا محمد بن الحارث الخزاز قال حدّثنا المدائنيّ
 عن أبي بكر الهذليّ قال : كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة ،
 واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يسبع² أبا الأسود عند عليّ ويقع
 فيه ويغني عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه :

رأيت زياداً ينتحيني بشره وأعرض عنه وهو بادٍ مقاتله
 وكلّ امرئ ، والله بالناس عالم له عادة قامت عليها شمائله
 تعودها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كلّ أمرٍ أوائله
 ويُعجبه صفحي له وتجملي وذو الجهل يحدو الجهل من لا يعاجله³
 فقلت له دعني وشأني إنّنا كلانا عليه معملٌ هو عامله⁴
 فلولا الذي قد يرتجى من رجائه لجرّيت أنّي أمني الغيّ من غوى
 لجرّيت أنّي أمني الغيّ من غوى عليّ وأجزى ما جزى وأطاوله

1 استعته : استرضاه .

2 سبعه : شتمه ووقع فيه .

3 حذاه : أعطاه .

4 معمل : عمل .

وقال لزياد أيضاً في ذلك :

وَالْقَوْلُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْعَمَلُ
وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا نَخَبْتُ بِهِ الرَّسْلُ¹
عِرْضِي ، وَأَنْتَ إِذَا مَا شِئْتَ مَنْتَفِلُ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يُبْلَى بِهَا الرَّجْلُ
نُبِّئْتُ أَنَّ زِيَادًا ظَلَّ يَشْتُمْنِي
وَقَدْ لَقَيْتُ زِيَادًا ثُمَّ قُلْتُ لَهُ
حَتَّامٌ تَسْرِقْنِي فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ
كُلِّ امْرِئٍ صَائِرٍ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ

قال : فلما ادّعى معاوية زياداً وولاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه ، فربّما قضاها وربّما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان ، فكان أبو الأسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك :

رَأَيْتُ زِيَادًا صَدَّ عَنِّي وَجْهَهُ
يَنْفِذُ حَاجَاتِ الرِّجَالِ ، وَحَاجَتِي
فَلَا أَنَا نَاسٍ مَا نَسَيْتُ فَايْسُ
وَفِي الْيَأْسِ حَزْمٌ لِلْيَبِيبِ وَرَاحَةٌ
وَلَمْ يَكْ مُرْدُودًا عَنِ الْخَيْرِ سَائِلُهُ
كَدَاءِ الْجَوَى فِي جَوْفِهِ لَا يَزِيلُهُ
وَلَا أَنَا رَأَى مَا رَأَيْتُ فِفَاعِلُهُ
مِنَ الْأَمْرِ لَا يُنْسَى وَلَا الْمَرْءِ نَائِلُهُ

[أكرمهم عبد الرحمن بن أبي بكر]

وقال المدائني : نظر عبد الرحمن بن أبي بكر² إلى أبي الأسود في حال رثّة فبعث إليه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينسبط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق³ ، فقال أبو الأسود يمدحه :

أَبُو بَحْرِ أَمَّنُ النَّاسِ طُرّاً
لَقَدْ أَبْقَى لَنَا الْحَدَثَانُ مِنْهُ
قَرِيبَ الْخَيْرِ سَهلاً غَيْرَ وَعِرٍ
بَصُرْتَ بَأَنَّا أَصْحَابُ حَقِّ
وَأَهْلُ مَضِيعَةٍ فَوَجَدْتَ خَيْرًا
وَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ وَكُلُّ نَفْسٍ
عَلَيْنَا بَعْدَ حَيٍّ أَبِي الْمَغِيرَةِ
أَخَا ثِقَةٍ مَنَافِعُهُ كَثِيرَةٌ
وَبَعْضُ الْخَيْرِ تَمْنَعُهُ الْوُعُورَةُ
نُدِلَّ بِهِ وَإِخْوَانٌ وَجِيرَةٌ
مِنَ الْخُلَّانِ فِينَا وَالْعَشِيرَةُ⁴
تُرَى صَفْحَاتِهَا وَلَهَا سَرِيرَةٌ

1 نخب : سارت .

2 أبو بكر : هو أخو زياد لأمه .

3 أضاق : ذهب ماله .

4 مضيعة : ضياع واطراح وهوان .

لذو قلبٍ بذِي القُرْبَى رحيم
 وعمرك ما حَبَاكَ اللهُ نفساً
 ولكن أنست لا شَرِسٌ غليظ
 كأننا إذ أتيناها نزلنا
 وذو عين بما بَلَّغَتْ بصيرةً
 بها جَشَعٌ ولا نفساً شَريرةً¹
 ولا هَشَمٌ تُتَازِعُهُ خُوْرةٌ²
 بجانب رَوْضَةٍ رَيًّا مَطِيرَةً

[كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه]

قال المدائني: وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد، فيشكو إليه أن عليه ديناً لا يجد إلى قضاائه سبيلاً، فيقول له: إذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإنّي أحبّ قضاءها، فيدخل إليه من غد، فيذكر له أمره، ووعدّه فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً، فقال فيه أبو الأسود:

[من الطويل]

دعاني أميرِي كي أفوه بحاجتي
 فقلت فما ردّ الجواب ولا استمع
 فقمتم ولم أحسُّ بشيء ولم أضنْ
 كلامي وخير القول ما صينْ أو نفع
 وأجمعتُ يأساً لا لبانة بعده
 وللئاسُ أدنى للعفاف من الطمع

[سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج بيت لحاتم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال: سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود ما أصبحت حاتماً؟ قال: بلى قد أصبحت حاتماً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول: [من الطويل]

أماويّ إمّا مانعٌ فمبيّنٌ
 وإمّا عطاء لا يُنهئُهُ الزجر³

[شعره في جاره له كان يحسده]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال: كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص، فلما باع أبو الأسود داره في بني الدليل، وانتقل إلى هذيل، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل: هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان إلقاحه؟ وكانت لا تزال عنده لُقحة⁴ أو لَفَحْتان، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله، فقال فيه:

[من الطويل]

1 شريرة: ذات شرّ.

2 هَشَم: هشيم رخو. خُوْرة: ضعف وفنور.

3 نهنه: كفه.

4 اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

إِنَّ امْرَأً نَبَّئْتُهُ مِنْ صَدِيقِنَا
وَأَتَيْتِي لِأَسْقِي الْجَارَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ
وَأَشْرَبَ مَا لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا عَارًا
وَلَا يَتَوَلَّى يَقْلِسُ الْإِثْمَ وَالْعَارَا¹

[قصد صديقه حوثرة بن سليم فأعرض عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال: كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حوثرة بن سليم، فاستعمله عبيد الله بن زياد على جبي² وأصبهان، وكان أبو الأسود بفارس، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدر، وجفاه حوثرة؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه: [من الطويل]

تَرَوِّحَتْ مِنْ رُسْتَاقِ جَبِيَّ عَشِيَّةً
وَحَلَّفَتْ فِي رُسْتَاقِ جَبِيَّ أَخَا لَكَ
أَخَا لَكَ إِنْ طَالَ التَّنَائِي وَجَدْتَهُ
نَسِيًّا وَإِنْ طَالَ التَّعَاشُرُ مَلَكَا
وَلَوْ كُنْتَ سَيْفًا يُعْجِبُ النَّاسَ حَدُّهُ
وَكُنْتَ لَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَلَكَا³
وَلَوْ كُنْتَ أَهْدَى النَّاسِ ثُمَّ صَحِيَّتَهُ
وَطَاوَعْتَهُ ضَلَّ الْهَوَى وَأَضَلَكَا
إِذَا جِئْتَهُ تَبْغِي الْهَدَى خَالَفَ الْهَدَى
وَإِنْ جُرْتَ عَنْ بَابِ الْغَوَايَةِ دَلَكَا

[ساومه جاره له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه]

قال المدائني: وكان لأبي الأسود جار، يقال له وثاق من خزاعة، وكان يحب اتخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفيها؛ فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها: الصفوف فقال له: يا أبا الأسود ما بلقحتك بأس⁴ لولا عيب كذا وكذا، فهل لك في بيعها؟ فقال أبو الأسود: على ما تذكر فيها من العيب؟ فقال: إني أعتفر ذلك لها لئما أرجوه من عزارتها، فقال له أبو الأسود: بمست الخلتان فيك؛ الحِرْصُ والخِدَاعُ، أنا لعيب مالي أشد اغتفارا؛ وقال أبو الأسود فيه: [من الطويل]

يُرِيدُ وَثَاقٌ نَاقَتِي وَيُعِيْبُهُا
يَخَادِعُنِي عَنْهَا وَثَاقُ بْنُ جَابِرٍ
فَقُلْتُ تَعَلَّمْ يَا وَثَاقُ بَانَهَا
عَلَيْكَ حِمِّي أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
بَصُرْتَ بِهَا كَوْمَاءَ حَوْسَاءَ جَلْدَةً
مِنَ الْمُؤَلِّيَاتِ الْهَامَ حَدَّ الظَّوَاهِرِ⁴

1 أصل يقلس من قلست الكأس: قذفت بالشراب لشدة الامتلاء، وقلست النحل العسل: مجته.

2 جبي: مدينة ناحية أصبهان.

3 قل السيف: ثلمه.

4 الكوماء: الناقة العظيمة السنام، والهوساء: الشديدة النفس، والجلدة: القوية.

فحاولت خدعي والظنون كواذبٌ وكم طامع في خدعتي غير ظافرٍ

[سارمه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيها]

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطيفاء ، وكان يقول : ما ملكت مالا قط أحب إليّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها ثمناً وافياً ، فأبى أن يبيعه وقال فيه : [من الطويل]

أتاني في الطيفاء أوسُ بن عامرٍ	ليخدعني عنها بجنّ ضراسيها ¹
فسام قليلاً ناسئاً غير ناجز	وأحصر نفساً وانتهى بمكاسها ²
فأقسم لو أعطت ما سمت مثله	وضِعفاً له لما غدوت برأسيها
أغرّك منها أن نحرت حوارها	لجيرانِ أمّ السكّنِ يوم نفاسيها
فولّى ولم يطمع وفي النفس حاجةٌ	يردّدها مردودةً بإياسيها

[جوابه لسائل ملحف]

أخبرنا اليزيديّ قال حدّثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعيّ : أن رجلاً سأل أبا الأسود الدؤليّ فردّه فألح عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحف مثل الردّ الجامس . قال : يعني بالجامس الجامد .

[خطب امرأة من بني حنيفة فعارضة ابن عم لها]

وقال المدائنيّ : خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة ، وكان قد رآها فأعجبته ، فأجابته إلى ذلك وأذنت له في الدخول إليها ، فدخل دارها فخاطبها بما أراد ، فلمّا خرج لقيه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أخيه ، فقال له : ما تصنع هاهنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرساداً ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم ، فدنسوا إليه رجلاً يويّخه في كلّ محفل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سنّ وخطرٌ وعرض ، وما أرضى لك أن تلمّ بفلانة ، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةٍ ، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتشكّوه ، فإمّا أن تتزوّجها أو تضرب عنها ، فقال له أبو الأسود :

[من الطويل]

1 يقولون في الناقة : «هي بجن ضراسها» ، أي بجدنان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعصّت حالها .

2 أحصره العدد : ضيق عليه . والمماكسة والمكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

لقد جدّ في سلمى الشكاةُ وللذي
يقولون لا تمذّل بعرضك واصطنع
وإياك والقوم الغضابَ فإنهم
تلام وتلحي كلّ يوم ولا تُرى
أفادتُكها العينُ الطموحُ وقد ترى

وقال أبو الأسود :

دعوا آلَ سلمى ظنّتي وتعنتي
ولا تهلكوني بالمامةِ إنّما
سأسكت حتى تحسبوني أنّي
ألم يكفكم أن قد منعمت بيوتكم
تصيبون عرضي كل يوم كما علا

[جفاه ابن عامر لهواه في علي]

يقولون - لو يدولك الرشدُ - أرشدُ
مَعَاذَكَ إِنَّ اليَوْمَ يَتَّبِعِهِ غَدٌ¹
بكلّ طريق حوهم تترصدُ
على اللوم إلا حولها تتردّدُ !
لك العينُ مالا تستطيع لك اليدُ

[من الطويل]

وما زلّ مَنّي ، إنّ ما فات فائتُ²
نطقتُ قليلاً ثم إنّي لسأكتُ
من الجهدِ في مرّضاتكم متماوتُ
كما منع الغيلَ الأسودُ النواهِتُ³ !
نشيطُ بفأسٍ معدنِ البرمِ ناحِتُ⁴

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن
مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : كان ابن عباس يكرّم أبا الأسود الدؤليّ لما كان
عاملاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه ، فلما ولي ابن عامر جفاه
وأبعده ومنعه جوائجه لِمَا كان يعلمه من هواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو
الأسود :

[من الطويل]

ذكرتُ ابنَ عباسِ يباب ابن عامر
أميرين كانا صاحبيّ كلاهما
فإن كان شرّاً كان شرّاً جزاؤه
وما مرّ من عيشي ذكرتُ وما فضلُ
فكلُّ جزاه الله عنّي بما فعلُ
وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدلُ

[كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقته له]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن
خالد بن سعيد أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا
إبراهيم بن المنذر الخزاميّ قال حدّثنا محمد بن فليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال

1 مذلت نفسه بالشيء : سمحت .

2 الظنة : التهمة .

3 النواهِت : جمع ناهت ، يقال : نهت الأسد نهيتاً ، وهو صوت الأسد دون الزئير .

4 البرم : جمع برمة ، وهي قدر من حجارة .

قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب ، وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته ، فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه :

[من الطويل]

أحبُّ إذا أحببتَ حبًّا مُقارِباً فَإِنَّكَ لا تدري متى أنت نازِعُ
وأبغض إذا أبغضتَ بغضاً مُقارِباً فَإِنَّكَ لا تدري متى أنت راجِعُ
وكن معدنًا للحلم واصفح عن الخنا فَإِنَّكَ راٍ ما عملتَ وسامِعُ

[آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل]

وقال المدائني حدثني أبو بكر الهذلي قال : كان لأبي الأسود جار من بني حُلَيْس بن يَعْمُر بن نَفَاثة بن عدي بن الدليل ، من رهطه دِينَة ، ومنزل أبي الأسود يومئذٍ في بني الدليل ، فأولع جاره برميته بالحجارة كلما أمسى ، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلّموه ولاموه ، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه ، وإنما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم وبخله بماله ، فقال أبو الأسود : والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي . فباع داره واشترى داراً في هذيل ، ف قيل له : يا أبا الأسود ، أبعث دارك ؟ قال : لم أبع داري ، ولكن بعث جاري¹ ، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك :

[من الطويل]

رمانِي جاري ظالماً برميّة فقلتُ له مهلاً فأنكّر ما أتى
وقال الذي يرميك ربُّك جازياً بذنبيك ، والحَوْبَاتُ تُعَقِّبُ ما ترى²
فقلت له لو أنّ ربي برمية رمانِي لما أخطأ إلهي ما رمى
جزى الله شرّاً كلّ من نال سوءة وَيَنحَلُ فيها ربه الشرّ والأذى

[من الطويل]

وقال فيه أيضاً :

لحى الله مولى السوء لا أنت راغب إليه ولا رامٍ به من تجاربه
وما قُربُ مولى السوء إلا كبعده بل البعدُ خير من عدوِّ تُصاقيبه³

[من الطويل]

وقال فيه أيضاً :

وأتى لثّنيني عن الشتم والخنا وعن سبّ ذي القربى خلائقُ أربعُ
حياء وإسلام ولطف وأنني كريم ، ومثلي قد يضّرّ وينفعُ

1 ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني 1 : 104 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 10 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1 : 203 ، 219 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام : 278 .

2 الحوية : الإثم .

3 صاقبه : قاربه .

فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتها فإن العصا كانت ليثلي تُقرع¹
 وشتان ما بيني وبينك إنني على كل حال أستقيم وتظلعُ

[قصته مع جار له آذاه]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال : كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين زاره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبي الأسود ذنية ، وكان شرساً سيء الخلق ، فأراد سد ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرب بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرب به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

صوت

بليت بصاحب إن أدن شيرا يزدني في مباعدة ذراعاً
 وإن أمدد له في الوصل ذرعي يزدني فوق قيس الذرع باعاً²
 أبست نفسي له إلا أتباعاً وتأبى نفسه إلا امتناعاً
 كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعاً

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أول بالنصر ، وفيه لعرب خفيف رملي . ولعلويه لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك :

[من الطويل]

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فإن أذكروك السد فالسد أكيس³
 ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزل به سفع الخطاطيف أملس³

[من مجزوء الكامل]

وقال أيضاً في ذلك :

أعصيت أمر ذوي النهي وأطعت أمر ذوي الضلالة
 أخطأت حين صرمتني والمرء يعجز لا محالة

1 يشير إلى المثل : «إن العصا قرعت لذي اللحم» ، ومعناه أن الحكيم إذا نبه اتبه ، وأول من قرعت له العصا عامر بن الظرب لما طعن في السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : إذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا» .

2 قيس : قدر .

3 سفع : سود تضرب إلى الحمرة .

والعبدُ يُقرَع بالعصا والحرّ تكفيه المقالة¹

[نزل في بني قشير فأذوه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدثنا أحمد بن القاسم اليزيديّ قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : كان أبو الأسود الدؤليّ نازلاً في بني قشير ، وكانت بنو قشير عثمانية ، وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، ويرمونه بالليل ، فإذا أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أيّ جوارٍ هذا ؟ فيقولون له : لم نرمك ، إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك :

يقول الأردلون بنو قشير	طَوَالَ الدهر لا تنسى عليّاً !
فقلت لهم : وكيف يكون تركي	من الأعمال مفروضاً عليّاً ؟
أحبّ محمداً حبّاً شديداً	وعباساً وحمزةً والوصيّاً
بني عمّ الرسول وأقريبه	أحبّ الناس كلّهم إليّاً
فإن يك حبّهم رشداً أصيبه	ولست بمخطيء إن كان غيّاً
هم أهل النصيحة غير شكّ	وأهل مودّتي ما دمت حيّاً
هوى أعطيتّه لما استدارت	رحى الإسلام لم يُعدّل سويّاً
أحبّهم لحبّ الله حتّى	أجبيء إذا بُعثت على هويّاً ²
رأيت الله خالق كلّ شيء	هداهم واجتبي منهم نبيّاً
ولم يخصّص بها أحداً سواهم	هنيئاً ما اصطفاهم مريّاً

قال : فقالت له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول :

فإن يك حبّهم رشداً أصيبه

فقال : أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . أفترى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيّه ؟ وقد روي أنّ معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب .

1 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 345/2 :

«العبد يُقرَع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة»

يضرب في خسة العبيد .

2 على هويّاً : على هواي .

[تهكّم معاربه به فأجابه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناداني عن الأحفش عن أبي عمر الجرمي قال : دخل أبو الأسود الدؤلي على معاوية ، فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ، فلو علقت تميمه تنفي عنك العين ؛ فقال أبو الأسود : [من البسيط]

أفنى الشباب الذي فارقتُ جدته كرتُ الجديدين من آتٍ ومنطلقٍ
لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئاً تُخاف عليه لذةُ الحدقِ

[خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فتى الفتى على طعامه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن محمد قال حدثنا المدائني عن علي بن سليمان قال : كان أبو الأسود له على باب داره دكان يجلس عليه ، مرتفع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خوان على قدر الدكان ، فإذا مرّ به مارٌّ فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه ، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء ، فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفل ، ثم قال له : يا أبا الأسود ، إن عزمت على الغداء فانزل ، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر ليه مغتاضاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ قال : لقمان الحكيم ، قال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائني : وبلغني أنّ رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان ، فمدّ يده ليأكل ، فشبّ به فرسه فسقط عنه فوقص¹ .

[كان أبو الجارود صديقاً له فلما ولي ولاية جفاه فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبي الأسود ، يهاديه الشعر ، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه ، ويتعاشران ويتزاوران ، فولّي أبو الجارود ولاية ، فجفا أبا الأسود وقطعه ، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أبلغ أبا الجارود عني رسالة يرُوح بها الغادي لرُبْعك أو يغدو
فيخيرنا ما بال صرمك بعد ما رضيت وما غيّرت من خلقٍ بعدُ
إنّ نلت خيراً سرّني أن تناله تنكرت حتى قلتُ ذو ليدية ورُدُ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لي غير أنّك لا تعدو

لئن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا لقد جعلتُ أشرافُ أوله تبدو¹
فإني إذا ما صاحبٌ رثٌ وصلهُ وأعرضَ عني قلّ مني له الوجدُ

[خبره مع الحارث بن خليل وشعره فيه]

قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خليل، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإن فيه غنى وخيراً، فقال له أبو الأسود: قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال: كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم. وزاد الكلام بينهما، حتى أغلظ له الحارث بن خليل، فهجره أبو الأسود، وندم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصلح بينهما، فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له: قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد²، فقال أبو الأسود في ذلك:

[من المتقارب]

لنا صاحب لا كليلُ اللسان فصمّت عنا ولا صارمُ
وشرُّ الرجال على أهلِهِ وأصحابِهِ الحَمِقُ العارمُ

[من الطويل]

وقال فيه:

إذا كان شيء بيننا قيل إنه حديدٌ فخالِفْ جهله وترفقْ
شئتُ من الأصحاب من لستُ بارحاً أدامله دَمَلَ السقاءِ المخرقِ³

[كسب إلى الحصين كتاباً فتهاون به]

وقال المدائني: ولّى عبید الله بن زياد الحصين بن أبي الحرّ العنبري ميسان، فدامت ولايته إياها خمس سنين، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدى فيه لرفده، فتهاون به ولم ينظر فيه، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله، فقال فيه:

[من الطويل]

ألا أبلغا عني حصيناً رسالةً فإنك قد قطعتُ أخرى خِلالِكا
فلو كنت إذ أصبحت للخروج عاملاً بميسان تُعطي الناسَ من غير مالِكا⁴
سألتك أو عرّضتُ بالودِّ بيننا لقد كان حقاً واجباً بعضُ ذلكا

1 أشراف: جمع شَرَف، وهو العلامة.

2 حديد: حاد اللسان.

3 دامله: داراه ليصلح ما بينه وبينه.

4 الخرج: الخراج.

وخبّرني من كنت أرسلت أنما أخذت كتابي مُعرضاً بشمالكا
 نظرت إلى عنوانه وتبذته كنبذك نعلأً أخلقت من نعالكا
 حسيت كتابي إذ أتاك تعرضاً لسيبك ، لم يذهب رجائي هنالك
 يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذالك

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً ، فغضب وقال : ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعدنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه : [من المتقارب]

أبلغ حصيناً إذا جئته نصيحة ذي الرأي للمجتيها
 فلا تك مثل التي استخرجت بأظلافها مُديةً أو بفيها¹
 فقام إليها بها ذابح ومن تدع يوماً شعوبُ يجيها²
 فظلت بأوصالها قدرها تحش الوليدة أو تشتويها³
 وإن تاب نصحي ولا تنتهي ولم تر قولي بنصح شيها
 أجرعك صابا وكان المرأ ر والصاب قدماً شراباً كريها

[خبره مع معاوية بن صعصعة]

وقال خالد بن كلثوم : كان معاوية بن صعصعة يلقي أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدّها أو يحلف أنّه لم يفعل ، ثم يعاود ذلك ، فقال فيه أبو الأسود :

[من الطويل]

ولي صاحب قد رابني أو ظلمته كذلك ما الخصمان برّ وفاجر
 وإنّي امرؤ عندي وعمدا أقوله لآتي ما يأتي امرؤ وهو خابر
 لسانان معسولٌ عليه حلاوة وآخر مسموم عليه الشراير⁴
 فقلت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجر
 إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقب قول تعريه المعاذر
 فكم شاعرٍ أراده أن قال قائل له في اعتراض القول إنك شاعرٌ

1 يشير إلى المثل «كباحثة عن حنفها بظلفها» ، وأصله أن رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فجثت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شفرة فذبحها به .

2 شعوب : المنية .

3 حش النار : أوقدها .

4 شرشر السكين : أحدها .

عظفتُ عليه عطفة فتركته
 بقافية حذاء سهلٍ روئها
 تعرّى بها من نومه وهو ناعس
 - إذ انتصف الليلُ - المكلُّ المسافرُ²
 للذّته سكران أو متسكّر
 إذا ما قضاها عاد فيها كأنّه

[شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لثبّعه]

أخبرني عمي قال حدّثنا الكراني قال حدّثني العمريّ عن العتبيّ قال : كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التثبيح فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ألم ترَ ما بيني وبين ابن عامر
 وأصبح باقي الودّ بيني وبينه
 إذا المرء لم يُحبّك إلاّ تکرّها
 فللنأي خير من مقامٍ على أذى

من الودّ قد بالت عليه الثعالبُ
 كأن لم يكن ، والدّهْرُ فيه عجائبُ
 بدا لك من أخلاقه ما يغالبُ
 ولا خيرَ فيما يستقلّ المعائبُ

[قصّته مع زوجته القشيرية والقيسية وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا ابن النطاح قال ذكر الحرّمازيّ عن رجل من بني الدليل قال : كانت لأبي الأسود الدؤليّ امرأة من بني قشير وامرأة من عبد القيس ، فأسنّ وضعف عمّا يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنّهما ، فكانت موافقة له صابرة عليه ، وهي أمّ عوف القشيرية التي يقول فيها :

أبى القلب إلاّ أمّ عوف وحبّها
 كسحق يمانٍ قد تقادم عهده
 وأمّا الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعميّ ، وكانت أشبهها وأجملهما ، فالتوت عليه لما أسنّ ، وتكرّرت له وساءت عشرتها ، فقال فيها أبو الأسود : [من الطويل]

عجوزاً ومن يجب عجوزاً يفند
 ورُقعته ما شئت في العين واليد³
 لقد كذّبتها نفسها ما تمنّت
 رضيتُ به ، يا جهلها كيف ظنّت !

تعاتبني عرسي على أن أطيعها
 وظنّت بآتي كلُّ ما رضيتُ به

1 حذاء : سائرة أو منقحة لا عيب فيها .

2 أكّله : أتعبه .

3 السحق : الثوب البالي .

وصاحبُها ما لو صحَّبتُ بمثلها
وقد غرَّها منِّي على الشيبِ والبيلى
يقال : جُنَّ وحنُّ ، وهو من الإلتباع كما يقال : حسنٌ بسن .

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا
تَشَكَّى إلى جاراتها وبناتها
ألم تعلمي أنِّي إذا خِفت جفوة
وأنتي إذا شقَّت عليَّ حليلتي
وفيهما يقول :

[من الطويل]

وإن كانَ منك الجِدُّ فالصَّرمُ مؤثسي
كذي نعمة لم يُبديها غيرَ أبوس
وتلوي به في ودك المتحلِّس⁴
لأسلى البعاد بالبعاد المكس⁵
لمن كان لم تُسدِّد عليه بمحيس⁵
ولا أنا نواَمَ بغير معرِّس⁶

[أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه]

وقال المدائني : كان لأبي الأسود الدؤليّ مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح ، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع ، فركب فنظر إليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود ، فقال في ذلك :

[من الطويل]

إذا كنت تبغي للأمانة حاملاً
فإن الفتى خبُّ كذوب وإنه
متى يخلُّ يوماً وحده بأمانة
على أنه أبقى الرجال سمانة
فدع نافعاً وانظر لها من يُطيقها
له نفس سوء يجتويها صديقها
تُغلَّ جميعاً أو يُغلَّ فريقها
كما كلُّ مسمان الكلاب سروقها

1 الأروية : الأثني من الوعول .

2 تعناه : عناه وأوقعه في العناء .

3 شقُّ عليه ، أوقعه في المشقة . ذهله وعنه : سلاه وطابت نفسه عن إلفه .

4 تحلس بالمكان : أقام به .

5 منادح : جمع مندوحة : وهي السعة .

6 المعرس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السَّفر آخر الليل للاستراحة .

[خطبته حين نعي له عليّ]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : أتى أبا الأسود الدؤليّ نعيّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال في خطبته : « وإنّ رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه ، اغتال أمير المؤمنين عليّاً كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجّده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرمّ به وبمقتله ورُوحه من روح عزّجت إلى الله تعالى بالبرّ والتقى والإيمان والإحسان ؛ لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : « وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليبه وشبيهه في خلقه وهديه ، وإنّي لأرجو أن يجبر الله عزّ وجلّ به ما وهى ، ويسدّ به ما انتلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ، فبايعوه ترشّدوا» .

[كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فرثى علي بن أبي طالب]

فبايعت الشيعة كلّها ، وتوقّف ناس ممّن كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا وأنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولاً يُعلمه أنّ الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويؤمّنه ؛ فقال أبو الأسود :

[من الوافر]

ألا أبلغ معاوية بن حرب	فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طُراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وخيسها ومن ركب السفينا ¹
ومن ليس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمئينا ²
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلّت	بأنك خيرها حسباً ودينا

[لزم ابنه المنزل فحثه على العمل والسعي في طلب الرزق]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا الرياشيّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي عبيدة قال : كان

1 خيسها : ذلّها .

2 حذاه نعلأ : أعطاه إياها .

أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتيني ، فقال له : [من الوافر]

وما طلب المعيشة بالتمني
ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجسك بمائها يوماً ويوماً
تجسك بحمأة وقليل ماء¹

[مولاته لطيفة تبنى ابن عبدها وتبته كأنه حفيدها]

وقال المدائني : كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلِمٌّ فابتاعت له أمةً وأنكحته إياها ، فجاءت بغلام فسمته زيداً ، فكانت تؤثره على كل أحد ، وتجد به وجد الأم بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود ، وقد مرضت لطيفة :

وزيد هالكٌ هُلكَ الحُبَّارى
تبنَّته فقال وأنتِ أُمِّي
ترُمُّ متاعه وتزيد فيه
ستلقى بعدها شراً وضراً
وتلقاك الملامة كلَّ وجه
إذا هلكت لطيفة أو مُلِمٌّ²
فأتى بعدها لك زيدٌ أمٌّ !
وصاحبها لما يحوي مِضْمٌ³
وتُقضى إن قرُبت فلا تُضْمٌ
سلكتَ ويتحى حالِكِ ذمٌّ

قال : فماتت لطيفة من علتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيداً عما كان يتولاه من ضيعتها ، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده .

[اشترى جارية للخدمة فعرضت له]

وقال المدائني أيضاً : اشترى أبو الأسود أمة للخدمة ، فجعلت تتعرض منه للنكاح وتطيب وتشمّل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة ، ولم أشترِك للنكاح ، فأقبل على خدمتك ، وقال فيها :

أصلاحُ إني لا أريدك للصبا
فدعي التشمّل حولنا وتبدلي⁴

- 1 الحمأة : الطين الأسود المتين .
- 2 الحبارى : طائر ، ومن أمثالهم فيه : «فلان ميت كمد الحبارى» ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيام التحسير فتلقى الريش ثم يطيء نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمداً .
- 3 مضم : شديد المضم .
- 4 تبدل : لبس البذلة ، وهي ثوب الخدمة والاعتماد . تشمّل بالشملة : تغطى بها ، وهي كساء دون القטיפه يلتحف به .

إني أريدك للعجين وللرحى ولحمل قريتنا وغلي المرجل
وإذا تروّح ضيفُ أهلك أو غدا فخذني لآخر أهبة المستقبل

[أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فمدحه]

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعيّ قال حدثنا أبو عُشانة عن ابن عباس قال : كان المنذر بن الجارود العبديّ صديقاً لأبي الأسود الدؤليّ تعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كلّ واحد منهما يغشى صاحبه ؛ وكانت لأبي الأسود مُقَطَّعة¹ من برود يكثر لبسها ، فقال له المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المقطعة ، فقال له أبو الأسود : ربّ مملول لا يستطاع فراقه² ؛ فعلم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الطويل]
كساك ولم تستكسه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإنّ أحقّ الناس إن كنت حامداً بحمدك من أعطاك والعرض وافر

[أبيات أوصى فيها ابنه]

أنشدني محمد بن العباس اليزيديّ عن عمّه عبید الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه ، وفي هذه الأبيات غناء :

[من الكامل]

صوت

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع ، إذا مضت ، إدراكها
أكرم صديق أبيك حيث لقيته واحب الكرامة من بدا فحباكها
لا تبدين نميمة حدثتها وتحفظن من الذي أباكها

[اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره]

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أبو محمد المروزيّ عن القحذميّ عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤليّ اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما ، فكأنّه لم يقبل عذره فأنشأ يقول :

[من الخفيف]

إنني مجرم وأنت أحقّ الند ساس أن تقبل الغداة اعتذاري
فاعف عني فقد سفيهت وأنت ال مرء تعفو عن الهنات الكبار
فتبسّم زياد وقال : أمّا إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

1 المقطعات من الثياب : شبه الجباب من الخبز وغيره .

2 مثل : يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤالها ، يقال : دخل أبو الأسود على بعض إخوانه فرأى عليه ثوباً قد خلق ، فقال له : يا أبا الأسود : أما آن لهذا الثوب أن يدلّ ؟ فقال هذا المثل فبعث إليه صديقه بعدة أثواب . مجمع

[استشير في رجل أن يولى ولاية فذمه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال : سئل أبو الأسود عن رجل ، واستشير في أن يولى ولاية ، فقال أبو الأسود : هو ما علمته : أهيس أليس ، ألد ملحس¹ ، أن أعطى انتهر ، وإن سئل أزر² . قال الأصمعي : الأهيس : الحاد ، ويقال في المثل : [من الرجز]

إحدى ليالك فهيسي هيسي³

قال : ويقال ناقة لئساء : إذا كانت لا تبرح من المبرك . قال : وهو مما يوصف به الشجاع ، وأنشد في صفة ثور :

[من الرجز]

أليس عن حوائه سخى⁴

[ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضى حاجة ثم نكت]

أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزري قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أبو محلم عن مؤرج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال ، وكان من أفصح أهل زمانه ، قال : أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجة له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً ، فقال أبو الأسود :

[من الطويل]

لعمرى لقد أوصيت أمس بحاجتي فتى غير ذي قصدي علي ولا رؤف⁵
ولا عارف ما كان بيني وبينه ومن خير ما أدلى به المرء ما عرف⁶
وما كان ما أملت منه ففاتي بأول خير من أخي ثقة صرف⁷

[جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه ، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال : كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعراً ، وكان صديقاً لأبي

1 ألد : جدل شديد الخصومة . والملحس : الحريص ، والذي يأخذ كل شيء يقدر عليه ، والشجاع .

2 أزر : تضام وتقضى من بخله .

3 مثل : في حوول الدهر وتقله بأهله ، فهذا من أمثالهم في الذي ينزل به الأمر الشديد الذي يحتاج أن ينصب فيه ويتعنى ، قاله رجل من طسم حين أوقعت بها جديس يخاطب ناقته وهو فار ، فصل المقال 463/464 .

4 الأليس : الشجاع الذي لا يبالي الحرب . الحوائه : النفس .

5 رؤف : رؤوف .

الأسود الدؤليّ ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تعيّر ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]
 أبلغ أبا الجارود عني رسالة يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو
 فيخبرنا ما بال صرمك بعد ما رضيت وما غيرت من خلق بعد
 إن نلت خيراً سرّني حين نلته تنكرت حتى قلت ذو ليدة ورد؟
 فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لي غير أنك لا تعدو
 فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا وقد جعلت أسباب أوله تبدو
 فإنني إذا ما صاحب رثاً وصله وأعرض عني قلت بالأبعد الفقد

[وفاته]

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائنيّ في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وعمره
 حينئذٍ خمس وثمانون سنة . قال المدائنيّ : وقد قيل إنه مات قبل ذلك ؛ وهو أشبه القولين
 بالصواب ، لأننا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار¹ بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه .
 والشكّ فيه هل أدرك الطاعون الجارف أولاً ، عن يحيى بن معين . أخبرني به الحسن بن عليّ عن
 أحمد بن زهير عن المدائنيّ ويحيى بن معين :

صوت

لعمرك أيّها الرجل لأيّ الشكل تنتقل
 أتهدج آل زينب أم تزورهم فتعدل؟
 هم ركب لقوا ركبا كما قد تجمع السبل
 فذلك دأبنا وبذا ك تجري بيننا الرسل

الشعر لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى
 الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبصرة .

1 هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، ونشبت بينه وبين
 مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة 67 هـ .

[228] - أخبار أبي نفيس ونسبه

[نسبه]

اسمه حُيَيَّ بن يحيى بن يعلى بن مُنية ، وقيل بل اسم أبي نفيس يحيى بن ثعلبة بن منية ، ومنية أمه ، ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد عن جدّه . قال الزبير : وكان جدّي يقول : اسمه ميمون بن يعلى ؛ وأمّه منية بنت غزوان أخت عُتْبة بن غزوان ، وأبوه أمية بن عبدة بن همام بن جُشم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وجدت ذلك بخطّ أبي محمّل النسابة . قال : ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدوية ؛ وهي فُكَيْهَة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم ، ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصديقا ويربوعا ، فهم يُدعون بني العدوية .

[بعض أخبار جدّه يعلى بن منية]

وكان يعلى بن مُنية حليفاً لبني أمية وعديداً لهم ، وبينه وبينهم صهر ومناسبة ، وقد أدرك النبي ﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً ، وعمر بعده ؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرني عمّي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائنيّ عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال : قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مُنيت ، أو بليت ، بأطوع الناس في الناس عائشة ، وبأدهى الناس طلحة ، وبأشجع الناس الزبير ، وبأكثر الناس مالاً يعلى بن منية ، وبأجود قریش عبد الله بن عامر ؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال : والله يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر ، ولَمال الله أكثر من مال يعلى بن منية ، وليكونن كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿ فَسَيُفْقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ . فسر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال :

[من المتقارب]

أما الزبير فأكفيكهُ وطلحةُ يكفيكهُ وَخَوْحَهُ
ويعلی بن مُنية عند القتال شديد الثوابِ والنَحْنَحَهُ

وعائشٌ يكفيكها وإعظ
فلا تجزعنَّ فإنَّ الأمور
وما يصلح الأمر إلا بنا
وعائش في الناس مستنصحة¹
إذا ما أتيناك مستنجحة²
كما يصلح الجبن بالإنفحة¹

قال : فسرَّ عليّ عليه السلام بقوله ، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأما الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم ، وأما طلحة فناشده وحوحة ، وكان صديقه وكان من القرءاء ، فذهب لينصرف ، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأما ما رواه عن النبيّ ﷺ فكثير ، ولكنني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

[روى يعلى الحديث عن النبيّ ﷺ]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثني محمد بن عباد المكيّ قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أنّه سمع النبيّ ﷺ يقرأ على المنبر : ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ . وقد روى يعلى عنه ﷺ حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه .

[أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالا ، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال : أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار ، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأنّ أباه قتل يومئذٍ ولم يقضه إياها .

قال : ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة ، فاتفقا على أن يصلي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً ، وقال شاعرهم في ذلك :

تبارى الغلامان إذ صلّيا
ومالي وطلحة وابن الزبير
فأمّهما اليوم غرّتهما
وشحّ على الملك شيخاهما²
وهذا بذى الجزع مولاها²
ويعلّى بن منية دلاهما³

[رثى يعلى زوجه حين توفيت بهامة]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن جدّه عبد الحميد قال : كان يعلى بن منية - ويكنى أبا نفيس - وسمعت غير جدّي يقول اسمه يحيى

1 الإنفحة : شيء يستخرج من بطن الجدي الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبين .

2 جرع الوادي : منعطفه .

3 أمهما : يعني عائشة أم المؤمنين .

وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة ، تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب ، ولهم حلف في بني غفار ، وهي من بنات طارق اللاتي يقطن : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها : [من الرجز]

يا ربُّ ربِّ النَّاسِ لما نَحَبُوا¹ وحين أفضوا من مِنيَّ وحَصَبُوا¹

لا يُسْقِنَنَّ مَلَحٌ وَعُليَّبُ² والمُستَرادُّ لا سقاها الكوكبُ²

من أجل حُمَاهن ماتت زينبُ

قال الزبير : وأنشدنيها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، قال : واسمه ميمون ، وكان عمي يقول : اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى ، وقال في الأبيات : [من الرجز]

لا يسقن عُنبٌ وعُليَّبُ³

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى عن جدّه غسان بن عبد الحميد قال : رأته عائشة زوج النبي ﷺ بنات طارق اللواتي يقطن : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فقلت : أخطأ من يقول : الخيل أحسن من النساء .

قال : وقالت هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أُحد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

الدرُّ في المخانِقِ⁴ والمسك في المفارقِ⁴

إن تُقبِلوا نُعانِقِ⁴ أو تُدبِرُوا نِفارقِ⁴

فراق غير وامق

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهديري قال : جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحزامي في مسجد رسول الله ﷺ وأنا متّقع ، فذكر

1 نجحوا : ساروا سيرا سريعا دائما .

2 ملح : موضع من ديار بني جعدة باليمامة . وعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع في سواد العراق من منازل إياذ . والكوكب : الماء .

3 عنيب : اسم موضع .

4 المخنقة : موضع القلادة .

الضحّاك وأصحابه قولَ هند يوم أُحد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحّاك فقال : أبا زكريّا ، وكيف بذاك ؟
فقلت : قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ النَّاقِبُ ﴾ .
فقلت : إنّما نحن بنات النّجم ، فقال : أحسنت .

صوت

[من الطويل]

خَلِيلِي قوماً فِي عَطَالَةٍ فَانظُرَا
أَنَا أَرَى مِنْ نُحُو يَبْرِينَ أُم بَرْقاً¹
فإن يَكُ بَرْقاً فَهُوَ فِي مُشْمَخِرَةٍ
تَغَادِرُ مَاءً لَا قَلِيلاً وَلَا طَرْقاً²
وإن تَكُ ناراً فَهِيَ نارٌ بَمَلْتَقَى
مِن الرِّيحِ تَسْفِيها وَتَصْفِقُها صَفْقاً³
ويروى : «تَرهاها⁴ وَتَعْفِقُها عَفْقاً» .

لَأُمِّ عَلِيٍّ أَوْقَدَتْها طَماعَةٌ
لأُوبَةِ سَفَرٍ أن تَكُونَ لَهُم وَفَقاً
الشعر لسويد بن كراع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي ،
وذكر غيره أنّه لابن مسجح .

1 عطالة : جبل منيف بديار بني سعد .

2 المشمخر : الجبال العالية . الطروق : الماء المجتمع الذي خيض فيه فكدر فهو مطروق وطروق .

3 صفتته الريح : ضربته وحركته .

4 زهت الريح النبات : هزته غبّ الندى . وعفقتها : جمعها وضمّها .

[229] - أخبار سويد بن كراع¹ ونسبه

[نسبه]

سويد بن كراع² العُكَلِيّ ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكَلٍ . شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية . وكان في آخر أيام جرير والفرزدق .

[كان شاعر محكماً وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم]

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال : كان سويد بن كراع شاعراً مُحَكِّمًا³ ، وكان رجلَ بني عُكَلٍ وذا الرأي والتقدم فيهم ، وعُكَلٌ وضَبَّةٌ وعديّ وتيمهم هم الرِّباب .

قال : وكان بعض بني عديّ بن التيم ضرب رجلاً من بني ضبّة ، ثم من بني السّيد ، وهم قوم نُكْدٌ⁴ شُرْسٌ ، وهم أحوال الفرزدق ؛ فاجتمعوا حتى ألمّ أن يكون بينهم شرٌّ ، فجاء رجل من بني عديّ فأعطى يده رهينة⁵ لينظروا ما يصنع المضروب ، فقال خالد بن علقمة (ابن الطّيفان)⁶ حليف بني عبد الله بن دارم : [من الطويل]

أَسْأَلِمُ إِنِّي لَا إِخَالَكَ سَالِمًا أَتَيْتَ بَنِي السَّيِّدِ الْغَوَاةَ الْأَشَائِمَا
أَسْأَلِمُ إِنْ أَفْلَسْتَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ فَوَائِلُ فِرَارًا إِنَّمَا كُنْتَ حَالِمًا⁷
أَسْأَلِمُ مَا أَعْطَى ابْنُ مَامَةَ مِثْلَهَا وَلَا حَاتِمٌ فِيمَا بَلََا النَّاسُ حَاتِمَا

[قال شعراً يرذبه على خالد بن علقمة]

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك :
أَشَاعِرَ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ لِائِمًّا فَإِنِّي لِمَا تَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ لِائِمٌّ
[من الطويل]

1 انظر أخباره في الإصابة 3 : 173 ، والشعر والشعراء 2 : 635 .

2 كراع : اسم أمه ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة .

3 ل : محدثاً .

4 نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ .

5 أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر .

6 الطيفان : أم خالد بن علقمة .

7 وائل : طلب النجاة .

تُحَضِّضُ أَفْنَاءَ الرَّيَابِ سَفَاهَةً وَعِضْرُكَ مَوْفُورٌ وَلَيْلَكَ نَائِمٌ¹
 وهل عَجَبٌ أَنْ تَدْرِكَ السَّيِّدُ وَتَرَهَا وَتَصْبِرَ لِلْحَقِّ السَّرَاةَ الْأَكَارِمَ²
 رَأَيْتِكَ لَمْ تَمْنَعِ طَهِيَّةً حَكَمَهَا وَأَعْطَيْتَ يَرْبُوعاً وَانْفَكَ رَاغِمٌ³
 وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا تَقْبَلُ النَّصْحَ طَائِعاً وَلَكِنْ مَتَى تَقْهَرُ فَإِنَّكَ رَائِمٌ⁴

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيبانيّ أتمّ منه هاهنا وأوضح فذكرته ؛ قال : كان بين بني السّيد بن مالك ، من ضبّة ، وبين بني عديّ بن عبد مناة ترام على خبّراء⁵ بالصّمّان يقال لها ذات الرّجاج ، فرمى عمرو بن حشفة أخو بني شَيْم فمات ، ورمت بنو السّيد رجلاً منهم يقال له مدليج بن صخر العدويّ فمكث أياماً لم يمّت ، فمرّ رجلٌ من بني عديّ يقال له معلل على بني السّيد وهو لا يعلم الخبر ، فأخذه فشدّوه وثاقاً فأفلت منهم ، ومشى بينهم عصمة بن أبيير التيميّ سفيراً ، فقال لسالم بن فلان العدويّ : لو رهنتهم نفسك فإن مات مدليج كان رجل برجل ، وإن لم يمّت حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حيمريّ أخي بني شَيْم من بني السّيد ، فكان عنده . ثم إن بني السّيد لما أبطأ عليهم موت مدليج أتوا أخثم لينتزعوا منه سالمًا ويقتلوه ، فقوّض عليه أخثم بيته ثم قال : يا آل أمي ، وكانت أمه من بني عبد مناة ابن بكر ، فمنعه عبد مناة . ثم إن بني السّيد قالوا لأخثم : إلى متى تمنع هذا الرجل ! أمّا الدية فوالله لا نقبلها أبداً . فجعل لهم أجلاً إن لم يمّت مدليج فيه دفع إليهم سالمًا فقتلوه به . فلمّا كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدليج ، فقتلوا سالمًا ، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارم ، وهو ابن الطيّفان :

أَسَالِمُ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسَكَ بَعْدَمَا أَتَيْتَ بَنِي السَّيِّدِ الْغَوَاةَ الْأَشَائِمَا ؟
 أَسَالِمُ قَدْ مَنَنْتَكَ نَفْسَكَ أَنَّمَا تَكُونُ دِيَاتٌ ثُمَّ تَرْجِعُ سَالِمًا
 كَذِبَتْ وَلَكِنْ ثَائِرٌ مَتَبَسَّلٌ يُلَقِّبُكَ مَصْقُولَ الْحَدِيدَةِ صَارِمًا⁶

1 أفناء : أخلاط .

2 يريد بالحق هنا القصاص .

3 طهية ، من بني حنظلة ، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومته .

4 رائم : محبّ ألف .

5 الخبراء : منبت الخبر ، وهو شجر السدر . والصّمّان : جبل في أرض تميم .

6 تبسّل : عبس غضباً أو شجاعة .

أَسْأَلِمُ مَا أُعْطِيَ ابْنُ مَامَةَ مِثْلَهَا وَلَا حَاتِمٌ فِيمَا بَلََا النَّاسُ حَاتِمَا
أَسْأَلِمُ إِنْ أُفْلِتَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ فَوَائِلُ فِرَاراً إِنَّمَا كُنْتَ حَالِمَا
وَقَدْ أَسْلَمْتُ تَيْمَّ عَدِيًّا فَارُبَعْتُ¹ وَدَلْتُ لِأَسْبَابِ الْمَيْتَةِ سَالِمَا¹

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلام ، وزاد فيها أبو عمرو : [من الطويل]

دَعَوْتُمْ إِلَى أَمْرِ النَّوَاكَةِ دَارِمَا فَقَدْ تَرَكْتُمْ وَالنَّوَاكَةَ دَارِمُ
وَكَنْتَ كَذَاتِ الْبُؤِّ شَرَّمْتَ اسْتَهَا فَطَابَقَتْ لِمَا خَرَّمْتَكَ الْغَمَامُ²
فَلَوْ كُنْتَ مَوْلَى مَسَلْتَ مَا تَجَلَّلْتَ بِهِ ضَبِيعٌ فِي مَلْتَقَى الْقَوْمِ وَاحِمُ³
وَلَمْ يَدْرِكِ الْمَقْتُولُ إِلَّا مَجْرَهُ وَمَا أُسَارَتْ مِنْهُ النَّسُورُ الْقَشَاعِمُ⁴
عَلَيْكَ ابْنَ عَوْفٍ لَا تَدْعُهُ فَإِنَّمَا كِفَاكَ مَوَالِينَا الَّذِي جَرَّ سَالِمُ
أَتَذَكُرُ أَقْوَاماً كَفُوكَ شُئُونَهُمْ وَشَأْنُكَ إِلَّا تَرَكَهُ مَتَفَاقِمُ

قال : وقال سويد بن كراع في ذلك :

أَرَى آلَ يَرْبُوعٍ وَأَفْنَاءَ مَالِكِ أَعْضُوكَ فِي الْحَرْبِ الْحَدِيدَ الْمُنْقَبَا⁵
هُمْ رَفَعُوا فَأَسَ الْجِجَامَ فَأَدْرَكَتْ لَهَا تَكَّ حَتَّى لَمْ تَدْعُ لَكَ مَشْرَبَا⁶
فَإِنْ عُدَّتْ عَادُوا بِالتِّي لَيْسَ فَوْقَهَا مِنَ الشَّرِّ إِلَّا أَنْ تَبَيْتَ مَحْجَبَا
وَتَصْبِحُ تُدْرَى الْكُعْكُيَّةَ قَاعِدَا وَيُنْتَفِ مِنْ لَيْتِيكَ مَا كَانَ أَرْغَبَا
تَدْرَى : تَمْشِطُ بِالْمِدرَى كَمَا يَفْعَلُ بِالسِّنَاءِ ، وَالْكُعْكُيَّةُ : مِشْطَةٌ مَعْرُوفَةٌ .

فَهَلْ سَأَلُوا فِينَا سِوَاءَ الَّذِي لَهُمْ وَهَلْ نَحْنُ أَعْطَيْنَا سِوَاهُ فَتَعْجَبَا⁷

- 1 أسلمت : خذلت . أربعت : اطمأنت ؛ من قولهم : أربع القوم إذا أقاموا في المربع . دلت : من التذلية . والأسباب : الجبال .
- 2 البؤ : جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدرب . وشرمت استها : شققت . وطابقت : أذعنت وبيعت . الغمامة : خرقة كالكرة تدخل في أنف الناقة لئلا تشم .
- 3 زعموا أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ انتفخ غرموله وعظم ، فقلبه عند ذلك على القفا ، فإذا جاءت الضبع لتأكله ، فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته . تجلل الفحل الناقة : علاها . الواحم : المشتبهة للضراب .
- 4 أسارت : أبقت . نسر قشعم : مسن .
- 5 المنقب : المنقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضه .
- 6 فأس اللجام : الحديدية القائمة في الخنك .
- 7 سواء وسوى واحد .

ويروى :

فهل سألونا خصلة غير حقهم

وهو أجود .

[استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه]

قال : فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سويد بن كراع في هجائه إياهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متواريًا حتى كُلم فيه ، فأمنه على ألا يعاود ، فقال سويد بن كراع :

[من الطويل]

إلى ابن كراع لا يزال مُفزعًا
رُقادي وغشنتي بياضاً تفرعًا
عليّ فجهزتُ القصيدَ المفرعًا
بفاقرةٍ إن همَّ أن يتشجعًا¹
أصادي بها سيرياً من الوحش نزعًا²
يكون سُحيرٌ أو بُعيدٌ فأهجعًا³
ورعيتُها صيفاً جديداً ومرعًا
نوافذُ لو تَردي الصفا لتصدعًا⁴
ولا عظمَ لحم دون أن يتمزعًا⁵
فأنكرَ مظلومٌ بأن يؤخذَ معا
قُرُوناً وأعطوا نائلاً غيرَ أقطعًا⁶

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى
مخافة هذين الأمرين سهدتُ
على غير ظلمٍ غير أن جارَ ظالمٍ
وقد هابني الأقوام لما رميتهم
أبيتُ بأبواب القوافي كأنما
أكلتها حتى أعرسَ بعدما
فجشمتني خوفُ ابن عثمان ردها
نهاني ابنُ عثمان الإمامِ وقد مضت
عوارقُ ما يتركن لحمًا بعظمه
أحقاً هداك الله أن جارَ ظالمٍ
وأنت ابنُ حكامٍ أقاموا وقوموا

[انتجع بقومه أرض بني تميم]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال : انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم ، فجاور بني قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغيض بن عامر بن شمّاس بن

1 فاقرة : داهية تكسر الفقار .

2 صاداه : داراه وساتره .

3 أكلتها : أراقبها وأراعها . وسحيرٌ في الشعر والشعراء 1 : 635 : سحيراً .

4 رداه : رمّاه .

5 عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

6 الأقطع في الأصل : المقطوع اليد .

لأبي بن أنف الناقة بن قريع وأرعاه ، ووصله وكساه . فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحياناً¹ ، ثم ودّعهم وأتى بغيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حماد : ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً ، وهي

لسويد بن كراع :

ارتعتُ للزورِ إذ حيّا وأرقتني
ودونه سنسبٌ تُنضى المطيُّ به
إذا ذكرتك فاضت عبرتي دِرراً
وذاك منّي هوّى قد كان أضمره
وقد أَرانا وحالُ الناسِ صالحه
ليت الشبابِ وذاك العيش راجعنا
أيّامُ أعلمُ كمُ أعملتُ نحوكمُ
تُصيخُ عند السُرى في البید ساميةً
كأن رَحلي على حُمشٍ قوائمه
هاجت عليه من الجوزاء ساريةً
فألجأته إلى أرطاةٍ عانكية
تخال عِطفيه من جَوْل الرّذاذِ به

ولم يكن دانياً منّا ولا صدداً²
حتى ترى العنسَ تلقى رحلها الأجدأ
وكاد مكتومٌ قلبي يصدع الكيداً³
قلبي فما ازداد من نقص ولا نفدا
نخلتُ مربوعةً أدماناً أو بردى⁴
فلم نزل كالذي كنا به أبداً
من عِرمسٍ عاقدي لم ترأم الولداً⁵
سطعاءً تنهض في ميثائها صُعداً⁶
برمل عِرنانٍ أمسى طاويا وحداً⁷
وطفءاً تحمّل جَوناً مرّذفاً نصّداً⁸
فيحاءٍ ينهال منها تُربُّ ما التبدأ⁹
منظماً بيدي داريةً فرداً¹⁰

1 أحياناً : حسنت حال مواشيه .

2 الزور : الطيف . الصد : القصد والقرب .

3 عبرتي : في ل : أدمعي .

4 أدمان : شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل الحجاز . مربوعة : أصابها مطر الربيع .

5 العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رثمت الناقة ولدها : عطف عليه ولزمته .

6 سطعاء : طويلة العنق . الميثاء : الطريق السلوك .

7 على حمش قوائمه : أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دفاق . عِرنان : اسم واد دون وادي القرى إلى فيد ، كثير الوحش . وحداً : وحيداً منفرداً .

8 مردفاً : متتابعاً متواليًا . النضد : السحاب المترام .

9 الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل . وعنك الرمل : انعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عانك ، فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلا أن يجبو . فيحاء : واسعة . التبد : تلبّد بعضه على بعض .

10 العطف : الجانب ، جول : جولان . الدارية : منسوبة إلى دارين . فرداً : منقطع القرين .

حتى إذا ما انجلت عنه دُجنته
غدا كذي التاج حلته أساوره
وكشّف الصبحُ عنه الليلَ فاطردا
كأنما اجتاب في حرّ الضحى سندا¹

[من البسيط]

وهي طويلة اختصرتها ، يقول فيها :

لا يُبعد الله إذ ودّعت أرضهم
لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن
ومن تلاقيه بالمعروف معترفاً
لاقيته مفضيلاً تندی أنامله
تجبيء عفوياً إذا جاءت عطيته
أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه
إذا تكلف أقوام صنائعه
بحرّ إذا نكس الأقوام أو ضجروا
لا يحسب المدح خدعا حين تمدحه
إني لرافده وُدّي ومنصرتي

أخي بغيضاً ولكن غيره بعداً²
يجو الخليل وما أكدى وما صلداً³
إذا اجرهد صفا المذموم أو صلداً⁴
إن يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
ولا تخالط تزييقاً ولا زهداً⁵
خلقاً وأوسع خيراً ومُتفداً⁶
لاقوا، ولم يُظلموا، من دونها صعداً⁷
لاقيت خير يديه دائماً رعداً⁸
ولا يرى البخل منهاةً له أبداً
وحافظ غيبه إن غاب أو شهدا

صوت

[من الوافر]

حَتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى
قَرِيبُ الخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى
كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدٍ
- وَلَسْتُ مَقِيداً - أَنِّي بِقَيْدٍ

1 السند : ضرب من البرود .

2 بعد : هلك .

3 أكدى : بخل وقلّ خيره . صلد : بخل .

4 اجرهدت الأرض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزند : صوت ولم يور ، ويقال للبخيل : صلدت زناده .

5 التزييق : التكرير . والزهد : القلة .

6 يقال في ماله متفد ، أي سعة .

7 الصعد : المشقة .

8 الأقوام : في ل : الأنجاد .

عروضه من الوافر . الخاتل : الذي يتقتر¹ للصيد وينحني حتى لا يرى . ويقال لكلّ مَنْ أراد خِداع صيّدٍ أو إنسانٍ : ختله ، ورَى أمره فلم يُظهره . ومَنْ رواه : « كَأَنِّي حَابِلٌ » فَإِنَّهُ يعني الذي يَنْصِبُ حِبَالَةً للصيّد . الشعر لأبي الطَّمْحَانِ القَيْنِي . والغناء لإبراهيم ماحوريّ وهو خفيف الثقل الثاني بالوسطى . وذكر ابن حبيب أنّ هذا الشعر للمسجاح بن سباع الضبيّ ، فإن كان ذلك على ما قال فلائبي الطمحنان ممّا يُغنى فيه من شعره ولا يُشكّ فيه أنّه له قوله :

[من الطويل]

صوت

أضاءتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثاقِبُهُ
 الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتز أنّ خفيف الرمل لها ، وأنّ الثقيل الثاني لغيرها .

* * * *

الفهرس

- 197] - أخبار الأعشى وبنى عبد المدان وأخبارهم مع غيره 5
- 198] - أخبار عبد الله بن الحشرج 17
- 199] - أخبار الطرمّاح ونسبه 25
- 200] - أخبار بيهس ونسبه 33
- 201] - أخبار محمد بن الحارث بن بسخر 34
- 202] - أخبار معن بن أوس ونسبه 38
- 203] - أخبار الحسين بن عبد الله 45
- 204] - أخبار فضالة بن شريك ونسبه 48
- 205] - أخبار مروان الأصغر 53
- 206] - أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه 59
- 207] - [خبر مقتل الوليد بن طريف] 64
- 208] - [بعض أخبار عبد الله بن طاهر] 68
- 209] - [أخبار متفرقة] 76
- 210] - أخبار أبي زيد ونسبه 86
- 211] - [أخبار متفرقة عن الخطيئة وغيره] 96
- 212] - أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية وما يُعنى فيه من شعرهما 100
- 213] - [بعض أخبار لابن أبي عتيق] 109
- 214] - نسب المتوكل الليثي وأخباره 111
- 215] - نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره 119
- 216] - [خبر النشماش اللص] 121
- 217] - خبر كثير وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر 123
- 218] - [أخبار منظور بن زيان] 137
- 219] - خبر الجحّاف ونسبه وقصته يوم البشر 141
- 220] - [قصة يوم الكلاب الأول] 150
- 221] - خبر عبد الله بن معاوية ونسبه 154
- 222] - أخبار أبي وجزة ونسبه 172
- 223] - أخبار عقيل بن علفمة 183
- 224] - أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه 195
- 225] - أخبار دقاق 203
- 226] - نسب يزيد بن الحكم وأخباره 207
- 227] - أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه 215
- 228] - [أخبار أبي نفيس ونسبه] 244
- 229] - أخبار سويد بن كراع ونسبه 248